

أطلس

العمارة الصليبية على المشرق الإسلامي

في العصور الوسطى



تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المجلوث

العبيكان
Obekan

٢ مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المغلوٲ، سامي عبدالله

أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور

الوسطى. / سامي عبدالله المغلوٲ. - الرياض، ١٤٢٩هـ.

٢٠٠ ص، ٢١ × ٢٩ سم.

ردمك: ٦- ٥٦٤ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- الحروب الصليبية ٢- العصور الوسطى - تاريخ

٣- التاريخ الإسلامي أ - العنوان

١٤٢٩/٤٨١٧

ديوي ٩٥٣،٠٧٣٩٣

رقم الإيداع: ١٤٢٩/١٤٨١٧

ردمك: ٦- ٥٦٤ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

امتياز التوزيع

شركة مكتبة العبيكان
Obekan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر

شركة العبيكان للأبحاث والتطوير
Obekan

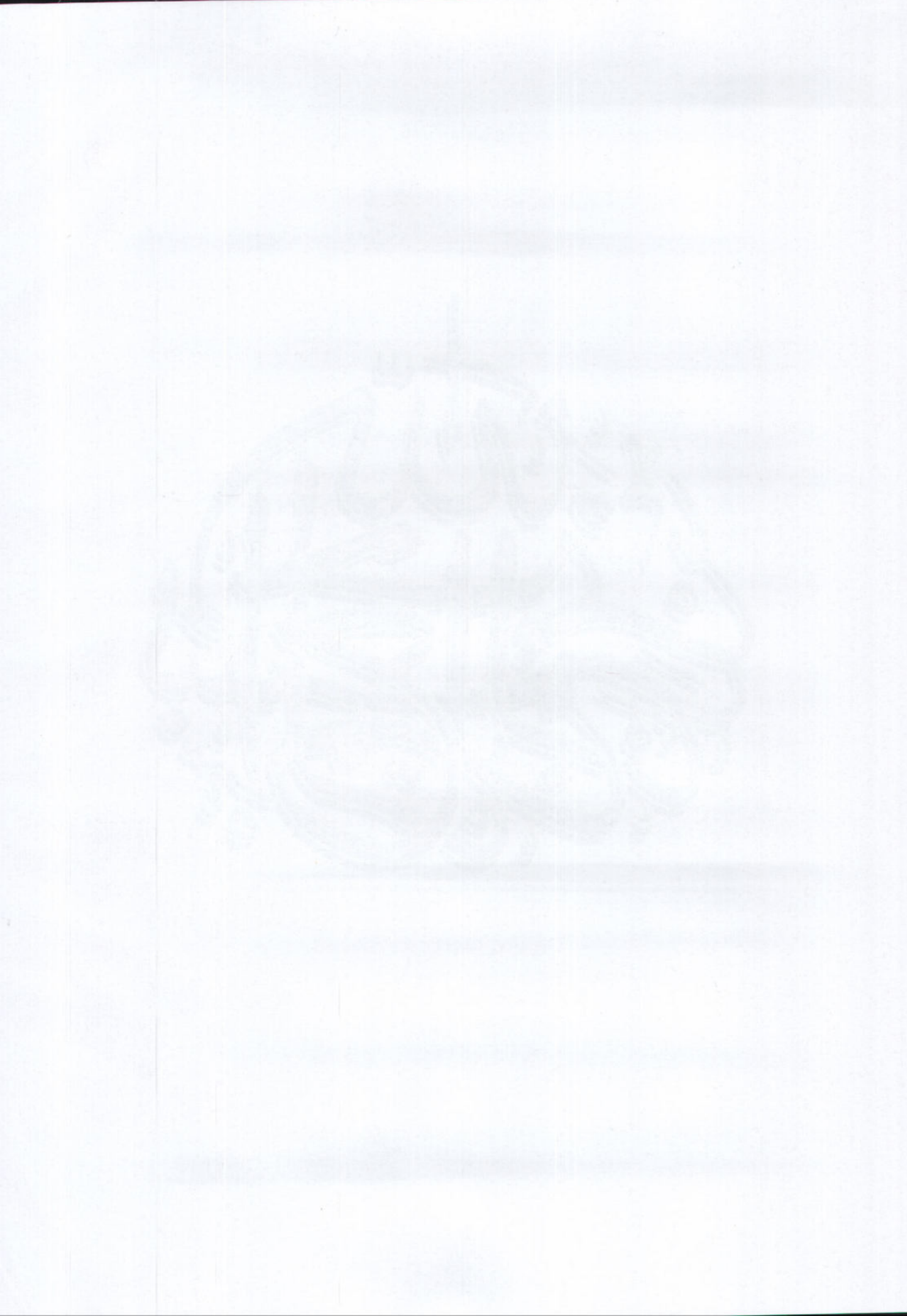
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.





المقدمة

احتدم الصراع بين المسلمين والنصارى أو بين الشرق والغرب بشكل جلي؛ إبّان الحروب الصليبية، التي أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم الحملات الصليبية، وهو ما أحببت أن أعنون لهذا الكتاب باسم "أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى"، بينما يدعوها المؤرخون الغربيون (الحركة الصليبية أو الدينية). وهي في واقع الأمر لا تعدو كونها شكلاً من أشكال الاستعمار البغيض آنذاك؛ أتت فيه القوة والغزو العسكري، وامتدت زهاء قرنين من الزمان، وأنتجت موجات من الكراهية، والعنف، والعدوان، والخراب، سادت العلاقات الدولية طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين حيث بدأت الحروب الصليبية في ربيع الثاني من سنة ٤٩١هـ. مارس من سنة ١٠٩٨م، وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ. أغسطس من سنة ١٢٩١م. وتزامن خلال هذه الفترة أيضاً الاجتياح المغولي على العالم الإسلامي الذي أجهز على البقية الباقية وأسقط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م؛ بل ولم تنته تلك الحروب (الحملات الصليبية) بخروج الصليبيين من بلاد الشام أو انحسار المد المغولي عنها، وإنما استمرت على نحو متقطع طيلة قرنين آخرين من الزمان، حتى توقفت نهائياً بسقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية على يد القائد التركي المسلم السلطان محمد الفاتح؛ وبوفاة آخر البابوات المتحمسين لهذه الحرب الدينية في الغرب سنة ١٤٦٤م.

ونظراً لشغفي بدراسة هذه المرحلة، أخرجت عملاً تاريخياً في عام ١٤١٩هـ باسم الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ثم طورته إلى عمل (ملتيميا) على قرص مدمج بالوسائط المتعددة يضم في داخله مشاهد فيديو، ودروس مصورة، وخرائط متحركة، ولقطات من أرض الحدث، (انظر الصفحة القادمة)، وبصفتي أحد أعضاء فريق تأليف العلوم الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم بمملاكتنا الحبيبة والمشرف على التصميم التعليمي وإعداد الخرائط؛ كلفني الأخ الزميل المشرف العام على المشروع، سعادة الأستاذ / حمد بن منصور العمران؛ مساعد مدير عام التربية والتعليم للشؤون التعليمية بمنطقة الرياض حالياً؛ أن أعرضه على معالي وزير التربية والتعليم آنذاك الدكتور / محمد الأحمد الرشيد، أثناء زيارته لمنطقة القصيم التعليمية، لمتابعة مراحل تنفيذ المشروع الشامل للمناهج (المواد الاجتماعية) والتي حظيت بمنطقة القصيم التعليمية بإعداده.

ونظراً للخبرة الطيبة التي اكتسبتها في مجال الأطالس التاريخية والجغرافية، رأيت إخراج المادة العلمية على هيئة أطلس تاريخي، يتناول الحملات الصليبية الثمانية بشكل مفصل، ولا سيما إنني رأيت الوقوف عن كثر على تلك القلاع والحصون التي خلفتها الحملات الصليبية في المشرق الإسلامي، حينما شعر



الحملة الصليبية

على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى



إعداد وتصميم وإخراج الأستاذ
سامي بن عبد الله بن أحمد الموهلول
١٤٢٤ هـ

القرص المدمج

(CD)



مؤلف ومصمم الأملس يقدم عرضه لعمالي وزير التربية والتعليم

صفحتان من العمل التربوي الخاص بالمشروع الشامل للمناهج عن الحملات الصليبية، من إعداد وتصميم المؤلف



خلفيات إعداد البرنامج الحاسوبي
أولاً - تم بتحميل البرنامج على جهاز الحاسوب .
ثانياً - عند تشغيل البرنامج سوف تظهر لك الشاشة الأولى والتي تحمل أيقونات توضح لك طبيعة هذا البرنامج .

ثالثاً - تم باختيار أحد الأيقونات من الشكل رقم (1)
وتنكس الأيقونة الأولى والتي من خلالها ستنتقل إلى داخل البرنامج فكما هو موضح لك في الصورة رقم (2)
حيث ستعرفك على طبيعة الحملات الصليبية
وأيضا ذلك الوقت سوف تشاهد بعض التقاطات الفيديوية التي تقرب لك مفهوم هذه الحرب بطريقة مشوقة .
رابعاً - عد مرة أخرى إلى شاشة البرنامج الرئيسية ثم تم باختيار أحد الحملات الصليبية العشر ، وسوف يظهر لديك الشكل رقم (3) وسوف تعرف من خلال الأيقونات الداخلية على أسباب ونتائج وتواريخ وقادة كل حملة إضافة إلى خريطة تفصيلية .

خامساً - هناك معلومات إضافية كتكثيراً علمي للعادة تستطيع الحصول عليها من خلال الضغط على شاشة البرنامج الرئيس في خانتي معارك حاسمة وشخصيات جهادية ، ومن خلال الضغط على تلك الأيقونتين سوف تظهر أمامك الشاشة التالية (عن المعارك الحاسمة) كما في الشكل رقم (4) وكذلك الأمر في الشكل رقم (5) والخاس بالمشخصيات الجهادية .



الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى

الوحدة الرابعة

أينها الطالب العزيز : تمعن جيداً في الخريطة الموجودة في هذه الصفحة ، ثم حاول جاهداً أن تتعرف على بعض التسميات الجغرافية والتاريخية فيها ، لتبدأ بعد ذلك باستيعاب البرنامج الحاسوبي الخاص بالحملات الصليبية والموجود في مركز مصادر التعلم في مدرستك ، والذي سيقوم معلمكم مشكوراً بتشغيله بعد أن تدلي ببعض إجاباتك الشفهية إليه .



الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى

عن الحملات الصليبية :

أطلق هذا المصطلح على الحملات العسكرية التي شنتها دول غرب أوروبا على المشرق الإسلامي ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث تحركت جعائل الصليبيين صوب ديار المسلمين بحجة تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، ومن ثم القضاء على شوكة الدولة الإسلامية فيها إثر زعم التنصاري الباطل بمضايقة المسلمين للحجاج التنصاري أثناء تأدية شعائر حجهم في بلاد الشام وفلسطين ، وقد أطلق نداها البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت الشهير بالأراضي الفرنسية .
عنى هذه مؤتمركليرمونت ١٠٩٩

مصطلحات

الهدى : المشرق الإسلامي في العصور الوسطى
التقسيم : تقسيم المشرق الإسلامي
مناطق : مناطق مختلفة في المشرق الإسلامي
معارك : معارك حاسمة وشخصيات جهادية
معارك حاسمة وشخصيات جهادية
معارك حاسمة وشخصيات جهادية
معارك حاسمة وشخصيات جهادية

معارك حاسمة وشخصيات جهادية



الصليبيون (الفرنجة) ومنذ الوهلة الأولى عدم قبولهم بين أوساط المجتمع الإسلامي؛ فلجأوا إلى تلك القلاع المحصنة للحفاظ على وجودهم الاستعماري، فحاولت جاهداً تغطية القلاع الرئيسية والتي لعبت دوراً بارزاً في صمود الصليبيين زهاء قرنين من الزمن، فكان بحمد الله تعالى هذا الأطلس التاريخي . لقد وضعت لهذا الأطلس؛ فلسفة تقوم على استحضار المادة النصية بشكل مختصر مفيد، معزراً المادة العلمية بصور ميدانية قمت بالتقاط السواد الأعظم منها، ومبيناً عبر الخريطة التاريخية والجغرافية مسرح الحدث، واجتهدت بالحصول على مجموعة من المنمنمات التاريخية النادرة لأحداث الحروب الصليبية كما جاءت في الآداب الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية؛ فضلاً عن بعض المرسمات المعاصرة، ومستخدماً تقنية صور الأقمار الصناعية (الاستشعار عن بعد) لبعض المواقع والمواضع المهمة بأحداث تلك المرحلة .

لقد احتك الصليبيون (الفرنجة) بالمسلمين احتكاكاً قوياً طيلة هذه الفترة التاريخية الطويلة وكان يدور خلال هذه الحملات الصليبية الثمانية نقاش جاد وحوار قوي بين علماء المسلمين ورجال الدين النصارى، كانت من نتائجه ظهور مجموعة من المؤلفات تناقش حقيقة النصرانية والرد على أتباعها حول طبيعة المسيح عيسى ابن مريم . عليهما السلام . وأسباب عدم إيمانهم بمحمد . صلى الله عليه وسلم . رغم ذكر بعثته في الإنجيل ، وخير ما مثل هؤلاء العلماء خلال هذه الفترة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية وآخرون .

إن من طبيعة الحياة الإنسانية أن تتردد وتأسن، إذا ابتعد الدعاة والمصلحون، عن منهجهم الدعوي في الدعوة إلى الله تعالى، ويطراً عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها، فلا يكاد الناس يستقيمون على الإيمان والتوحيد حتى تبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليهم شيئاً فشيئاً تسرب الماء الآسن إلى المشرع الروي الزلال :

حَارَ الْهَلَالُ فَمَا يُحَاوِلُ نَهْضَةً إِلَّا رَمَاهُ مُحَلِّقُ الصُّلْبَانِ

وهذا ما حدث للأمة الإسلامية أثناء الحملات الصليبية حين اعترها الضعف والعمور نتيجة بعدها عن الله تعالى؛ ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] . وهذا ما تنبه له القادة الربانيون من أمثال شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي ومن سار في فلكهما، حينما رأوا، أن بداية العلاج الحقيقي يكمن في الرجوع إلى الله، من خلال تأسيس مدارس فكرية لمحاربة البدع والأهواء والعادات المستنكرة في أوساط المسلمين وتبصيرهم بالحق ودليله، ومقاومة المحتل الغاصب للديار والمقدسات والمنتكح للأعراض، حتى جنى ثمار هذا الزرع الطيب جيل نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، والأشرف قلاوون .

لقد أثبت الواقع أن الحملات الصليبية لم تفلح عسكرياً رغم مكوثها هذه الفترة الطويلة بين ظهراني المسلمين؛ فهي لم تفلح عقائدياً أيضاً في تشكيك المسلمين برسالتهم، بل زادتهم تمسكاً بدينهم، حينما انتشر والوعي وقضي على الجهل وأدى في النهاية إلى خروج الصليبيين من أراضي المسلمين دون الفوز بما قدموا من أجله ومع هذا فلا يغفل تأثير الحملات الصليبية على المجتمع المسلم، فقد زاد عدد الكنائس، وبالتالي زاد عدد المنصرين .

ثم جاءت المرحلة التالية بعد ذلك، وهي مرحلة الحملات الصليبية المقنعة بالاستعمار الحديث - كما يسمى - حيث قدمت أوروبا على العالم الإسلامي وقطعته، ومزقته إرباً، وسيطرت عليه. بعد أن عاد الصليبيون بثوب مغاير عن طريق المستعمر؛ والذي قام بتسخير إمكانات العالم الإسلامي لخدمة أهدافه والذي سبق إليه بغزو جيوشه اللغوية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين . حيث تركزت هذه الجيوش في المناطق الخصبة لنموها من حيث سعة الانتشار والأبعاد السياسية، أتت جيوش اللغة إلى مصر والشام على وجه الخصوص في شكل إرساليات علمية، اتخذت صوراً كثيرة منها المدارس العلمية والمعاهد الفكرية، ومنها الكنائس والأديرة والمصحات وغيرها.

ونعود لنقول: إننا نشتم رائحة الصليبية الفائحة في هذه **الحملات الجديدة**، فعندما وقف الجنرال القائد الصليبي النبي الإنجليزي على جبل الزيتون في القدس وقال: الآن انتهت الحروب الصليبية! . وعندما دخل الجنرال الفرنسي "قورو" إلى دمشق، وسأل عن **قبر صلاح الدين**، ثم ذهب إليه وركله بقدمه وقال: **قم يا صلاح الدين ها قد عاد الصليبيون من جديد** وقد كان معه المخططات التي هدفت إلى نشر الحضارة الغربية - كما تسمى - وإبعاد المسلمين عن دينهم، وإقصائهم عن حقيقته، وتزويد هذه الأمة الإسلامية بهذه الحضارة الغربية، ولا يخفى على أحد مؤامرات "كرومر، ودلو"، وغيرهما ممن لا يخفى ذكركم، ولا مجال للإطالة والإفاضة فيه.

لقد سعى المستعمر الصليبي جاهداً إلى خلخلة بلاد المسلمين سنوات طويلة، وقد بذل في هذه السنوات من الجهود الجبارة لحرب الإسلام والمسلمين، ما يعجز القلم عن تحبيره في مثل هذه العجالة، ومن يدقق الطرف ويجيل النظر في تاريخ الاستعمار الحديث لبلادنا يعلم أن هدف المستعمرين محاربة الإسلام وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية .

ويسرف في الخطأ من يعتقد أن عداوة الغرب وسائر أعداء الإسلام، وحروبهم ضدنا ستتوقف إذا وجدت الأمم المتحدة حلاً لقضية فلسطين أو العراق أو أفغانستان أو الصومال أو غيرها. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] إن الحرب المقدسة مع الاستعمار اليوم تقتضي تخليص ضمائر الشعوب أولاً من الاستعمار الروحي والفكري، وتحطيم الأجهزة التي تقوم بعملية التخدير، والحد من كل لسان ومن كل قلم، ومن كل جمعية أو جماعة تهادن معسكراً من معسكرات الاستعمار، التي ترتبط

جميعها بمصلحة واحدة، ومبادئ واحدة. مبادئ العالم الغربي القائم على التعالي على الآخر! لقد لمسنا في تاريخنا المعاصر إن الروح الإسلامية باقية وإن ظنوا أنها قد أهدمت الخلافة، ومزق الاستعمار أراضيها إلى دول شتى. ومخطط الاستعمار الغربي ينفذ اليوم على أيدي العلمانيين والمجرمين الذين يروجون لفكر المستعمر الصليبي .

واليوم يريد النصارى أن ينسى المسلمون الحروب الصليبية حتى تزول الحواجز النفسية التي يظنون أنها هي التي تحول بينهم وبيننا، ومن أجل ذلك انطلقت من أوروبا . " مسيرة مصالحة " نصرانية للاعتذار للمسلمين عن الحملات الصليبية، وقد بدأت هذه المسيرة عام ١٩٩٦م في فرنسا، ثم تبعها في ألمانيا حوالي ١٠٠٠ شخص عام ١٩٩٧م معظمهم من سلالة الصليبيين، وقد زارت هذه المسيرة تركيا ولبنان، والتقت ببعض المسؤولين وبعض المارة وقدم لهم بعض الهدايا مع اعتذار شفهي عن جرائم أجدادهم الصليبيين الذين غزوا المنطقة قبل تسعمائة سنة وارتكبوا فيها المجازر وأحقوا بالبلاد الدمار . وقد ذكرت لك أخي القارئ الكريم، قصة هذا الاعتذار في صفحتي ٢٤٠ و ٢٤١ . لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي لا تزال أسبابها غامضة حتى الساعة؛ أعاد الغرب سياسته الخاطئة وراح يتحالف



جندي أمريكي في العراق يعرض صلب شبيه المسيح ككنوع من التحدي

على الإسلام والمسلمين، ويلصق بهم الإرهاب، ليحتل بعد ذلك بلدين عزيزين هما (أفغانستان والعراق) في خطوة أعلن فيها الرئيس الأمريكي بأنها حرب صليبية ١٩ .

هناك مصادر متعددة تتحدث عن "بوش المتدين" ، حتى إن النيوزويك الأمريكية (٢٠٠٣/٣/١١) خصصت عدداً بعنوان "بوش والرب" . فبوش يتمتع بالسمات الشخصية التالية، التي تجعل من المقبول الاعتقاد بأن حملاته "صليبية" ، وهي:

- بوش، كما وصفه ديفيد فرام، " يحكم بعقيدته الدينية، وهو أكثر تقليدية بطريقة تفكيره" . ووصف إدارته بـ "نظام عسكري" و "ثقافة التنصير" .

- بوش "أعمته معتقداته الدينية عن رؤية العالم المحيط به أو قراءة أحداثه بصورة متوازنة" ، وقد قال لمستعميه مرة: "إن

الولايات المتحدة مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التي منحها الرب لكل إنسان على وجه المعمورة" (نيوزويك ٢٠٠٣/٣/١١) .

- بوش "أخذ بالحمية الدينية" كما وصفه الكاتب النيجيري وول سوينكا (حائز على نوبل الآداب ١٩٨٦م) (الحياة ٢٠٠٣/٣/٢٦) .

إضافة إلى ما سبق فإن متحدثاً باسم الفاتيكان (أذاعت نص كلامه الإذاعة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية) أكد ذلك الوصف على سبيل الاستنكار، وكذلك فعل الرئيس الألماني يوهانس راو (معروف بتدينه الشديد وعمله في بواكير حياته كاهناً كنسياً) فقال: "لم يكن الإنجيل بندقية وحرباً موجهة لغير النصرى، وليس به موضع واحد يتحدث عن الحروب الصليبية التي يتحدث عنها جورج بوش. (إسلام أون لاين.نت)

والمثير في هذا المجال إعلان منظمتين تنصيريتين أمريكيتين (المؤتمر المعمداني الجنوبي، أكبر التجمعات البروتستانتية في أمريكا، الذي يعد أحد المؤيدين السياسيين الموالين لبوش، وفرانكلين جراهام الذي له علاقة قوية ببوش الابن) أنهما تُعدّان فرق عمل لدخول العراق ونشر الديانة المسيحية بين مواطنيه بعد انتهاء الحرب الدائرة حالياً (إسلام أون لاين.نت)

إن هذا التوجه الأمريكي الخطير ينذر بأزمة كبيرة بين الشرق والغرب مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَسْكَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأُولَئِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر ٤٢] .

ورغم هذه السحابة التشاؤمية من قبل المتعصبين من الغرب الصليبي فإن العقلاء من الفريقين، بدأوا يشعرون بخطر وفداحة هذا الأمر إذا استمر هذا التصعيد الغربي بنفسه الصليبي المقيت؛ واليوم تمتد يد الخير والعطاء من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك **عبدالله بن عبدالعزيز** - حفظه الله - حينما أعلن تبنيه الدعوة **لحوار الأديان السماوية** باهتمام بالغ من كافة شرائح المجتمعات الدينية في العالم بهدف تجاوز الشدائد والمحن التي تمر بها الإنسانية في الوقت الراهن، وضرورة توفير مناخ مناسب للحوار بعيد عن النعرات الاستعلائية. وكذلك لا يجوز أن تتخذ هذه الحوارات الدينية ذريعة لسب الأديان الأخرى. ولا بد في الحوار من احترام متبادل وحفظ كرامة الآخر وانتفاء الأنانية، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في كتابي الموسوم بـ (أطلس الأديان) ولا داعي لإعادته في هذه المقدمة .

وأخيراً وليس آخراً أتوجه إلى العلي القدير أن يجعل هذا الأطلس مع سلسلة الأطالس السابقة في موازين أعمال هذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكُتُبِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران ١١٠] .

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

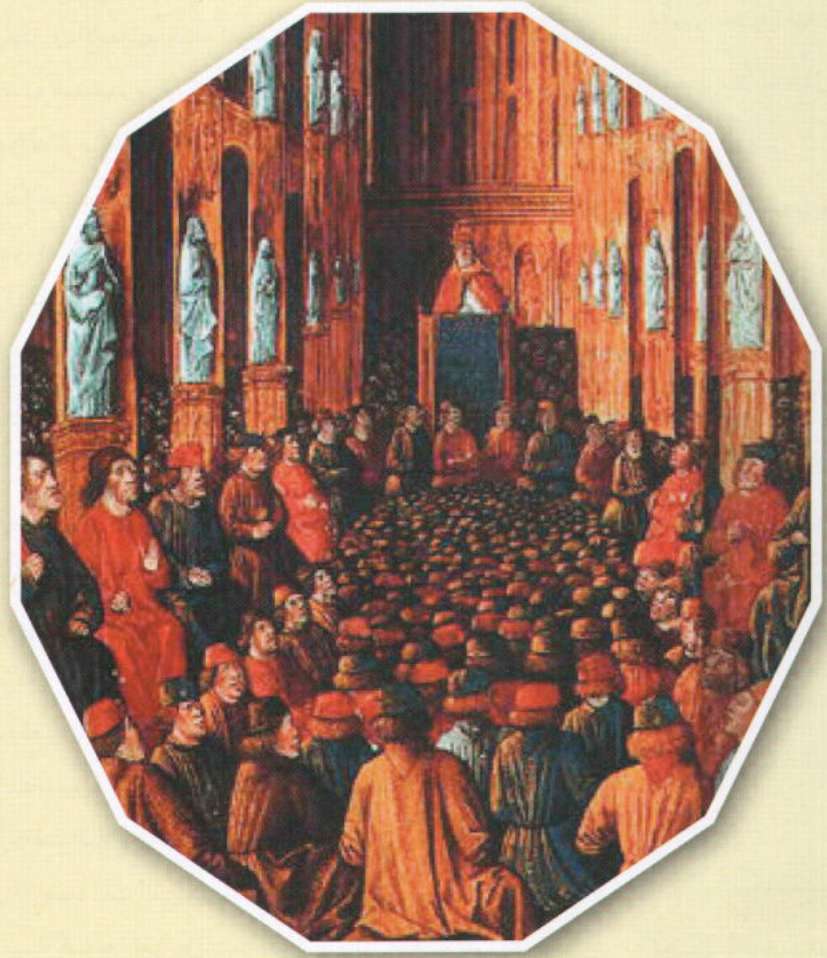
المملكة العربية السعودية - الأحساء - المبرز

١٠ / ٧ / ١٤٢٩ هـ

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣

SAMIMAG4@NASEEJ.COM

الباب الأول



دوافع الحملات الصليبية





دوافع الحملات الصليبية على المشرق

الحروب الصليبية

واجهت الأمة العربية الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (٤٩١ هـ/ ١٠٩٦ م) أشرس غزو استعماري استهدف احتلال أراضيها وتدمير هويتها الحضارية. ذلك هو الغزو العسكري الفاشم والذي أطلق عليه مؤرخو الغرب

اسم الحروب الصليبية أو

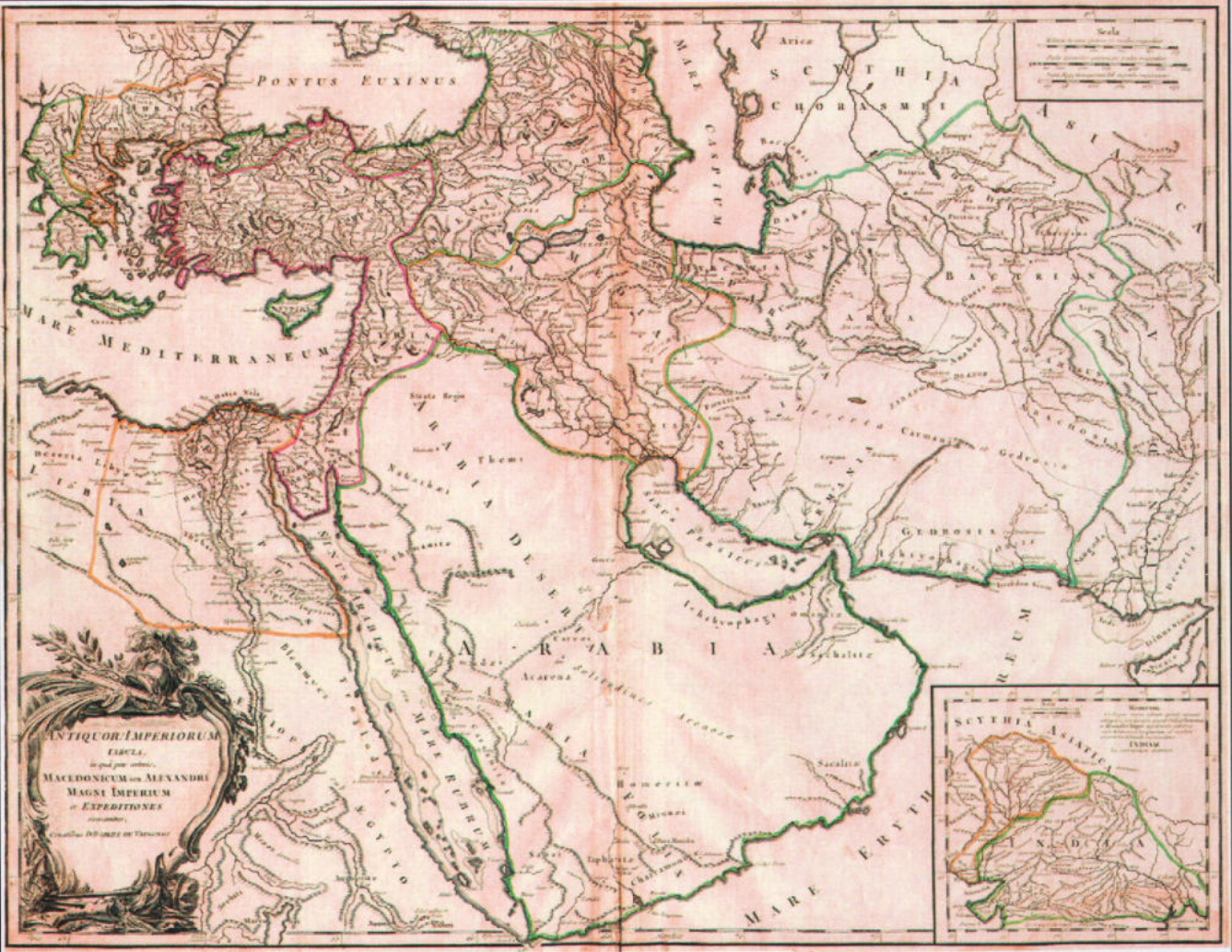
الحملات الصليبية التي امتدت إلى ما يقارب قرنين من الزمن كانت فيها صولات وجولات، حيث تمكنت أولى الحملات من أن تقيم لها في المشرق العربي عدة إمارات صليبية كالرها وأنطاكية ومملكة بيت المقدس وطرابلس.

وقد تبه المسلمون لمخاطر هذه الحملات الصليبية؛ فوحدوا صفوفهم وأوضحوا كلمتهم ولما شملهم، كما سيتضح لك من خلال هذا الأطلس في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى، بدء من شرف الدولة مودود التركي ومروراً بصلاح الدين الكردي ونهاية بالظاهر بيبرس المملوكي ومن بعده.

منذ فجر التاريخ، والصراع قائم بين الحق والباطل، من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وحينما بزغ فجر الإسلام، وعمّ أرجاء الجزيرة العربية في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؛ بدأ أعداء الدين بالتخطيط للنيل منه ومحاربتة بشتى الوسائل والطرق؛ وبما أن الإسلام جاء لتوحيد الله تعالى، وإخراج الشعوب المقهورة والمستعمرة من قبضة مستعمرهم، كما هو الحال في هيمنة الإمبراطورية الرومانية على بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي، وكذلك الأمر بالنسبة للهيمنة المجوسية على العراق، لذلك خرجت طلائع الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - لتخليص هذه الشعوب المقهورة من هذه الحكومات الاستعمارية الجائرة، ولإرساء قواعد العدل الإلهي بين هذه الشعوب جميعاً.

لقد خرج قادة الجيوش الإسلامية يحملون رسالة المحبة والسلام قبل خوضهم أي معركة مع الطرف الآخر، فنجحوا في مهمتهم حتى امتد هذا الفتح الإسلامي المبارك في مشارق الأرض ومغاربها، وتقلصت بلاد النصرانية، حتى حصرت في بعض أوروبا تتربص بالمسلمين وتنتظر منهم غفلة وضعفاً، قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ يَقَالُوا لَوْلَا رَدُّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِن سَطَّاعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*» وحينما تهيأت الظروف لإعادة تاريخها الاستعماري في العصور الوسطى لبست مسوح الدين وأخذت تتباكي على الأراضي المقدسة في أرض فلسطين، من جراء تصرفات بعض المحسوبين على الإسلام للحجاج النصارى، فاتخذت ذلك ذريعة للقيام بحملاتها الصليبية بكل صلف واستكبار؛ لتقذف بلاد الشام وقدها الشريف بالجيوش العاتية، فاحتلت البلاد، وأسست إمارات.

وتحصل كتب التاريخ بذكر الانقسامات التي هيأت النجاح للصليبيين بهذا الاستعمار البغيض في البلاد الإسلامية كنتيجة لعوامل متعددة؛ **أهمها**: البعد عن الله تعالى **وثانيها**: انشغال ولاة الأمر بأنفسهم للحفاظ على مكاسبهم الشخصية، والكيد لبعضهم بعضاً، **وثالثها**: انصراف العلماء عن أداء واجبهم الدعوي من خلال الجهر بالحق والوقوف إلى جانبه - إلا من رحم الله - **ورابعها**: استغلال أعداء الدين وعلى رأسهم الشعوبيون والباطنيون لهذه التفرقة والعمل على توسعتها والحصول على مكاسب بسببها. **وخامسها**: انصراف الخاصة والعامة من المسلمين عن متابعة الجهد العلمي والتفوق فيه إلى مراقبة هذا الصراع المتجدد والمتعدد بين زعماء الأمة الإسلامية وانغماس أكثرهم فيه. **وسادسها**: حصول الهجمات البربرية التي قوضت أركان المعارف والعلوم مرات عدة كما هو الحال بالاجتياح المغولي للخلافة العباسية.



خريطة أوروبية لحملات الإسكندر المقدوني الإستعمارية على أجزاء من بلاد المشرق، تعود إلى سنة ١٧٣٥م

أيهما بدأ بالاعتداء على الآخر؛ الغرب أم الشرق؟

كتب بعض الكتاب النصارى عن الحروب الصليبية أو عن الإسلام معتبرين الفتوح الإسلامية غزواً دينياً لا يختلف عن الغزو الصليبي. قلت: وهذا ظلم جائر؛ سيتم أيضاً.

ومن هؤلاء الكتاب أشخاص بارزين مثل ولسون كاش Wilson Cash الذي كان سكرتيراً لـ C.M.S. وزويمر S.M.Zwemer أحد زعماء الإرسالية العربية التصيرية ودنكان ب. ماكدونالد B.Macdonald Duncan وبالمقابل فإن بعض الكتاب العرب بنوا مواقفهم من النصرانية والعلاقة بين المسلمين والنصارى على ردود فعلهم تجاه الحروب الصليبية.

إن المؤرخ المنصف حينما يكتشف كيف خرج الإغريق من بلادهم اليونان زاحفين نحو الشرق، يجد الإجابة الشافية على سؤاله في تحول حضارة الإغريق الهلينية الاستعمارية إلى الحضارة الهلنستية كنتاج لامتزاجها بالحضارة الشرقية، وحينما ورثت الإمبراطورية الرومانية حضارة الإغريق، قامت هي الأخرى باحتلال سوريا سنة ٦٤ م، وانتهت بضم مصر إليها، ثم غزت شمال إفريقيا بكامله بعد قضائها المبرم والنهائي على مدينة (قرطاجنة) التي صيرتها خراباً إلى يومنا هذا، وذلك بعد حرقها وتدميرها وزرع أرضها بالملح حتى لا تثبت مرة أخرى، وبلغت حدود الإمبراطورية الرومانية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصحراء السورية العربية شرقاً. إذن خضع الشرق الأدنى لاستعمار بغيض، جاء الإسلام فحرر شعوبه، وطمس وتنته.



أطلس اكملات الصليبية على المشرف الإسلامي



مؤلف ومصمم الأطلس أمام أحد المعبد الرومانية والتي تعود إلى كبير آلهة الرومان (جوبيتر) - سبيطة - تونس



معبد روماني من القرن الثالث الميلادي - مدينة قنوت - سوريا

معركة ملاذكرت (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م

قامت الدولة السلجوقية التركية في القرن الخامس للهجرة لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى. وأسسها طغرل بك السلجوقي الذي استطاع أن يسقط الدولة البويهية الشيعية التي كانت مسيطرة على الخلافة العباسية ببغداد عام ٤٤٧ هـ، وأن يؤسس بدلاً منها دولته السنية، ثم توفي سنة ٤٥٥ هـ وتولى السلطنة من بعده ابن أخيه **ألب أرسلان** الذي كان قائداً ماهراً وشجاعاً كعمه، فنشر الأمن في سلطنته الواسعة، ثم التفت نحو توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية ونفوذ السلاجقة.

وأغضبت فتوحاته هذه رومانوس (أرمانوس) إمبراطور الروم، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها **ملاذكرت عام ٤٦٣ هـ**، وتعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، وأثرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة وفيها أقبل ملك الروم **أرمانوس** في جحافل أمثال الجبال من **الروم والكرج والفرنج**، وعدد عظيم وعدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفاً عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل، ومن عزمه قبحه الله أن يبئد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلاً واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لعمرك إنهم لم يسكرتهم بعينهم﴾ الحجر: ٧٢ فالتقاء السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال

الإمبراطورية البيزنطية

هي إمبراطورية تاريخية، عاصمتها القسطنطينية (بيزنطة). وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانية الشرقية وكلمة بيزنطي وضعها مؤرخ ألماني (هيرونيوموس ولف) سنة ١٥٥٧م، ونشرها الفرنسيون في القرن ١٨م، للإشارة للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

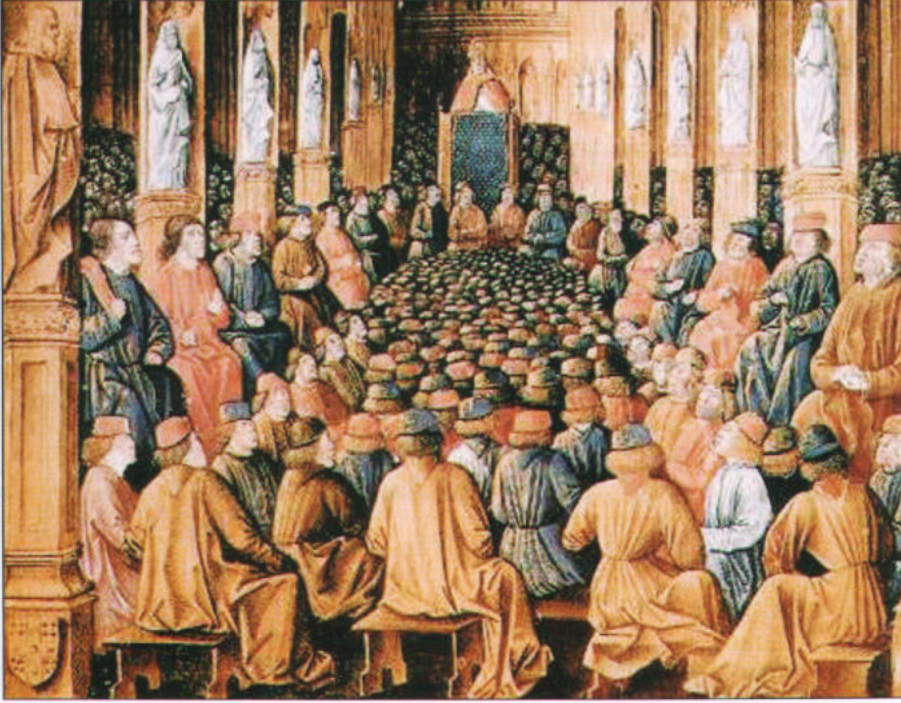
بينما كان رعايا الإمبراطورية يستخدمون كلمة روماني وكان إمبراطورهم يدعى الإمبراطور الروماني. عاشت الإمبراطورية البيزنطية ما يزيد عن ١١ قرناً تقريباً وظلت قائمة حتى عام ١٤٥٢م.

كانت الإمبراطورية معبراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب. وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم هضبة الاناضول بأسيا وأجزاء من اليونان وجزر بحر إيجه وأرمينية وآسيا الصغرى والشام والجزيرة الفراتية السورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر.

كانت هذه الإمبراطورية تأخذ طابعاً إغريقياً في الثقافة والعلوم حيث حافظت على التراث الإغريقي والروماني. كما تأثرت بحضارات وفتون الشام ومصر وبلاد الإغريق وما بين النهرين. لكن البيزنطيين استحدثوا لهم ثقافتهم وطرزهم المعمارية الخاصة بهم ولاسيما في بناء الكنائس والقصور والحمامات والمكتبات والمستشفيات والخانات والأسواق المغطاة وبيوت الضيافة على طرق القوافل. واشتهروا بالأيقونات الملونة. واشتهرت مخطوطاتهم بالترزين والخط البديع وتهميش الصفحات ووضع العناوين. كما اشتهروا بصناعة أبواب القصور والقلاع المصفحة ونسج الحرير الملون وصناعة الأختام من الرصاص والسيراميك (الفسيساء) والزجاج الملون وسك الدنانير البيزنطية الذهبية والتي كانت متداولة في أيام الإمبراطورية.



الدافع الديني :



مرثسم أوروبي لؤتمر كليرمونت، ويظهر فيه البابا أوربان الثاني وهو يخطب في الحشود للدعوة لحرب صليبية

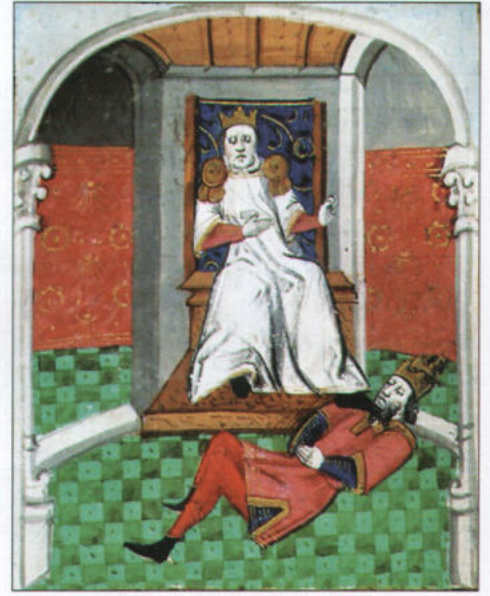
كانت هزيمة ملاذكرت هزيمة قاسية للإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي دعا بالإمبراطور البيزنطي بالاتصال بالبابوية في روما على رغم الخلاف الحاد بينهما من أجل الوقوف صفاً واحداً أمام تنامي قوة السلاجقة الأتراك المسلمين؛ إضافة إلى ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة "بيت المقدس"، وزعم أنه أسيتت معاملته مع غيره من

الزوّار، وفور عودته إلى بلاده، مر **بروما** وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعاه إلى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرّضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ "**قبر المسيح**"، **قال تعالى:**

﴿ فَمَا تَصِفُهمْ مِثْلَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بغيرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بَكْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْثَمٍ هَبْنَا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْثَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهُهُمُ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَلْيُمْنَةِ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء 155 - 158 . فكان لتلك الخطب الحماسية، وتشجيع البابا لهذه الحركة: اثر كبير في قلوب الناس؛ لتهيج مشاعرهما، وإثارة عواطفهما. وكانت أولى ثمار هذا التحرك انعقاد مؤتمر **كليرمونت** في تشرين الثاني 1095م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمرء ورجال الدين **وكبار التجار الإيطاليين** المشاركين في "**مجمع كليرمونت**"، بأن يحيك كل محارب صليباً من القماش الأحمر على رداءه الخارجي من ناحية الكتف، رمزاً للفكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وقد تم تحديد سنة 1097م موعداً **للحملة الصليبية الأولى**. وقد أخرج البابا علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم وقال: (احملوه على عواتقكم، أو على صدوركم، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)، ولم يكتف البابا عند هذا الحد بل أخذ بالتنقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحروب.



له الزهوة، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد ابن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتوافق الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأسر ملكهم أرمانوس، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بي؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تغفو وتأخذ الفداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف دينار وخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء وقبّل الأرض بين يديه، وقبّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً



مرثسم أوروبي مبالغ فيه لسقوط رومانوس أسيراً عند ألب أرسلان

وإكراماً، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها **لا إله إلا الله محمد رسول الله**، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.

وهذه المعركة هي التي مهدت للحروب الصليبية بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك الحملة الصليبية الأولى. كما سيرد تفصيلها في الصفحات القادمة من هذا الأطلس إن شاء الله تعالى.





رأي حول قيام الحروب الصليبية

الدولة العبيدية وهدم كنيسة القيامة بقلم: الكاتب المسيحي الشرقي البابلي (تم نقل النص حرفياً)

كثيراً ما يثير المسلمون قضية **الحروب الصليبية** كلما دار النقاش حول العنف في **القرآن** و **الإرهاب الإسلامي** قديماً وحديثاً. وهي محاولة بائسة منهم لإيهام القراء بأن المسيحية تجيز العنف والاعتداء بينما الحروب الصليبية تخالف روح الإنجيل مخالفة شديدة وتناقض تعاليم المسيح .. إلا إننا في هذا الموضوع لن نطيل في سرد أسباب رفضنا للحروب الصليبية إنما سنخوض في أسبابها تلك الأسباب التي يحاول أن **يخفيها المسلمون** في مواضعهم ومشاركاتهم **لأسباب لا تحفى على اللبيب فأما ذاك مرجعه إلى الجهل أو التدليس والكذب (وهذان لهما مرجعية شرعية)** ولعرفتنا بالأسباب فائدة عظيمة إذ من خلال كشفنا للسبب سنتمكن من صد وتحطيم هذه الأسطوانة المشروخة التي طالما لعبوا بها ومتى عرف السبب بطل العجب ..!

أسباب الحروب الصليبية : إن السبب الرئيس لقيام الحملات الصليبية .. هم : المسلمون أنفسهم !! فسبب معاملتهم الظالمة للمسيحيين وانتهابهم لمقدساتهم والاعتداء على إنسانيتهم قامت تلك الحروب .. وإن كان هناك دوافع أخرى سياسية ولكننا لن نتفرع إليها في هذا المقالة. فالموضوع هنا: رد على المسلمين الذي يصورون أنفسهم للعالم **بأنهم حملان وإن المسيحيين هم الذئاب وهم الصليبيين** الذين اقترفوا الفواجح ضدهم رافعين الصليب دون سبب !! لنبدأ بسرد أهم سبب لقيام الحروب الصليبية وهو : **هدم المسلمين لكنيسة القيامة أقدس بقاع المسيحية!!!**

الدولة الفاطمية : قامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٨ هـ بزعامه عبيد الله المهدي مدعياً أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه خفيد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كثامة) ، وعرفت بالدولة العبيدية. ولما رسخت قواعدها قضت على دولة الأغالبية في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودعيت بالدولة الفاطمية. ولم يستطع الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يدفع قيامها وكل ما فعله أنه أصدر منشوراً بالظعن في نسب المهدي، وقعه وجهاء الهاشيمين بما فيهم البيت الملوي، ومهما قيل في نسب الفاطميين فقد استطاعوا أن يحيوا مجدداً وأن يبنوا نهضة وأن يرفعوا مناراً. غير أن الأمل الذي فتحت بقيامها لم يلبث غير زمن قصير، ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال. وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بأمر الله لسوء تصرفاته، ومنها إقدامه على هدم كنيسة القيامة في القدس وكان هدمها من أسباب قيام الحروب الصليبية. منقول من أحد المواقع المسيحية على الشبكة العنكبوتية، وحاولت جاهداً أن انقل الصورة المتشجعة التي كتب بها هذا الكاتب المسيحي عن أسباب الحروب الصليبية .

الرد على الرأي السابق من خلال استقراء التاريخ المعاصر للحدث

من المتعارف عليه أن بداية الحروب الصليبية جاءت في فترة كانت فيها **أوروبا** قد تنصرت بالكامل تقريباً بعد اعتناق الفايكينج والسلاف والمجر للنصرانية. فكانت طبقة المحاربين الأوربيين قد أصبحوا بلا عدو لقتاله، فأصبحوا ينشرون الرعب بين السكان، وتحولوا إلى السرقة وقطع الطرق والقتال في ما بينهم، فما كان من الكنيسة إلا أن حاولت التخفيف بمنع ذلك ضد جماعات معينة في فترات معينة من أجل السيطرة على حالة الفوضى القائمة. وفي ذات الوقت أفسح المجال للأوربيين للاهتمام بموضوع **الأرض المقدسة** التي سيطر عليها المسلمون منذ عدة قرون ولم يتسن للأوربيين الالتفات لها لانشغالهم بالحروب ضد غير النصارى من الفايكينج والمجريين الذين كانوا يشكلون المشكلة الأقرب جغرافياً سابقاً، وكذلك بدأت الكنيسة تلعب دوراً في الحرب الاستردادية في إسبانيا، حيث **قام البابا الكسندر الثاني** عام ١٠٦٣م بمباركة المحاربين الذاهبين إلى الأندلس، الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في تكوين فكرة الحرب المقدسة.

إذن فكرة الحرب المقدسة؛ ليست وليدة **مضايقات بعض المسلمين** لزوار بيت المقدس، كما يزعمون، - وإن كنا لا نقرأها نحن المسلمين - بل هي تؤكد على طبيعة الحقد الأوروبي البغيض على الإسلام والمسلمين، **فهل إعلان الحرب على المسلمين في الأندلس نتيجة مضايقتهم لزوار بيت المقدس أيضاً ؟!**

معظم المدونات

التاريخية النصرانية
المعاصرة للحروب
الصليبية تنطق بالعداء
السافر، وحسبنا أن
مؤرخي هذه الحقبة
نعتوا المسلمين بأنهم من



أوربان الثاني

« الجنس الشرير، وأعداء الله، والبرابرة الوثنيين، والقتلة وسفاكي الدماء، وأتباع الشياطين، والأمم النجسة » والعبارة الأخيرة، وردت في خطبة **أوربان الثاني** في مؤتمر كليرمونت، انظر نص الرسالة عند: أ. محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦، ص. ١٠٠.



الدافع السياسي :

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها سواء قبل وصولهم الشام وفلسطين أو بعد استقرارهم فيهما والمعروف أن النظام الإقطاعي ارتبط دائماً بالأرض وبقدر ما يكون الإقطاع كبيراً والأرض واسعة بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية في المجتمع وفي ظل هذا النظام كانت المشكلة الكبرى التي يمكن أن تواجه الأمير والفارس هي عدم وجود إقطاع أو أرض له، مما يجعله عديم الأهمية مسلوب النفوذ وأدى هذا إلى بقاء عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض، لأن من القواعد الأساسية في هذا النظام أن الابن الأكبر وحده هو الذي يرث الإقطاع فإذا مات صاحب الإقطاع انتقل الإقطاع بأكمله إلى أكبر أبنائه، وهذا يعني لفناء بقية الأبناء دون أرض، وهو وضع ممقوت في المجتمع الإقطاعي، **الأمر الذي جعل الفرسان والأمراء المحرومين من الأرض يتحايلون للتغلب على هذه العقبة** عن طريق الزواج من وريثة إقطاع، أو الالتجاء إلى العدوان والحرب للحصول على إقطاع وكان إن ظهرت الحركة الصليبية لتفتح باباً جديداً أمام ذلك النفر من الأمراء والفرسان، فلبوا نداء البابوية، وأسرعوا إلى الإسهام في تلك الحركة لعلهم ينجحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق، فتوضهم ما فاتهم في الغرب. **أما الأمراء والفرسان** الذين كانوا يمتلكون إقطاعات فقد وجدوا في المشاركة في الحركة الصليبية فرصة طيبة لتحقيق مجد أكبر والحصول على جاه أعظم .

قال الصلابي: وبادرستنا مراجع الحروب الصليبية نرى أن أطماع أمراء الحملة الأولى تجلت في عدة مظاهر سياسية، فقد أخذوا يقسمون الغنيمة وهم في الطريق أي قبل أن يستولوا على الغنيمة فعلاً، وسوف نرى بإذن الله تعالى كيف استحكمت النزاع فيما بينهم أمام أنطاكية لرغبة كل واحد منهم في الفوز بها وكيف من استطاع منهم أن يحقق لنفسه كسباً في الطريق قنع به وتخلّى عن مشاركة بقية الصليبيين في الزحف على بيت المقدس، وهو الهدف الأساسي للحملة وكثيراً مادب الخلاف بينهم - بعد استقرارهم - حول إمارة أو الفوز بمدينة، وعبثاً حاولت البابوية أن تتدخل لفض المنازعات بين الأمراء وتحذرهم بأن المسلمين يحيطون بهم، وأن الواجب الصليبي يستدعي تضامنهم لدفع الخطر عن أنفسهم ولكن تلك الصيحات ذهبت أدراج الرياح، لأن هدف الأمراء كان ذاتياً سياسياً، ولم يكن يهمهم كثيراً أرضاء البابا أو سخطه، بل إن بعض الأمراء لم يحجموا عن مخالطة القوى الإسلامية المجاورة ضد إخوانهم الصليبيين مما يدل على أن الوازع الديني كثيراً ما ضعف عند أولئك الأمراء أمام مصالحهم السياسية، أما بالنسبة للإمبراطور البيزنطي (الكسيوس) فإنه لم يعترض على أهداف أمراء الحملة، لأنه إذا تسنى للدولة البيزنطية استرداد ما كان لها من أملاك قبل غارات الأتراك عليها، جاز أن تقوم في تخومها إمارات مسيحية حاضرة، لها حق السيادة عليها، ولضمان الحصول على ذلك حرص الإمبراطور على الحصول على يمين الولاء من أمراء الغرب، وبذلك توافقت مصالح كلا الجانبين المسيحيين في القيام بالحرب والعدوان على الأرض الإسلامية والواقع أنه من العسير الفصل بين العوامل المادية والعوامل المعنوية التي دفعت المسيحيين إلى الحروب الصليبية، فالفقر



والرغبة في الكسب، وروح المغامرة كانت عوامل هيات الجو المناسب للحروب، غير أن هذه العوامل لم تظهر إلا بما نجم عن فكرة للحرب " المقدسة " وتخليص الأرض، من حماس ديني، والواضح أن فكرة الحرب نبعت من السياسة البابوية، وسياسة الدولة البيزنطية والحروب الأسبانية الإسلامية، فمما سهل أمر إعلان الحرب

على المشرق الإسلامي، ما درج عليه الأسبان والفرنسيون في قتال المسلمين في بلاد الأندلس، حيث اتخذ هذا القتال صفة الحرب المقدسة، سواء من جهة المسلمين، حيث أثار " المرابطون " في المغرب الإسلامي الجهاد الديني، أو من جهة المسيحيين في الحالة النفسية التي اقترنت بتوجيه الحرب الصليبية إلى الشرق، حتى أن المؤرخ الكبير (ابن الأثير) نظر إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية، واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف العالم الإسلامي - سواء في الشرق والغرب - رافد يصب في النهر الأكبر، وهو الغزو الأجنبي المنظم على أكبر قوة حضارية في العصور الوسطى، وهو الدولة الإسلامية . الأندلس، صقلية، الشام - فلسطين " والتي تكمن في الفرقة، والأطماع الذاتية، وفقدان الروح الوثابة التي تميز بها الحكام والمسلمون الأوائل بناء الدولة الإسلامية هذا وقد كان واضح للعيان أن **الكنيسة الغربية كانت محمومة لتوسيع رقعتها الإقطاعية، والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين**، ومن حقائق التعصب الديني، وجود الجماعات الدينية التي كانت ترتبط بالكنيسة مباشرة وكانت ذات أثر فعال في تلك الحروب، منها فرسان **الاسبتارية** الذين كانوا ملتزمين بالدفاع عن ممتلكات الصليبيين في المشرق، وحماية الأماكن المقدسة وكانوا يرتبطون بالبابا مباشرة، وكانت كنائس بيت المقدس قد خصصت عشر دخلها لمساعدتهم في أداء رسالتهم الدينية المزعومة، وهناك هيئة الفرسان الداوية التي اتخذت مقرها في جزء من هيكل سليمان **عليه السلام** في المسجد الأقصى، وسميت باسم : فرسان المعبد، ثم حرفت إلى اسم **الداوية** هذا وقد كانت للبابوية ورجال الكنيسة القدرة على التأثير والضغط والتهديد بالنسبة لمن لا ينفذ رغبة الكنيسة بإصدار قرارات الحرمان التي تقضي بالحرمان من النعيم في الآخرة ونبذ طاعته في الدنيا على حد زعمهم. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية .

الدافع الاجتماعي :

يتألف المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى من **ثلاث طبقات** :

- طبقة رجال الدين (من الكنيسة والديرين) .
- طبقة المحاربين (من النبلاء والفرسان) .
- طبقة الفلاحين (من الأقتان ورقيق الأرض) .

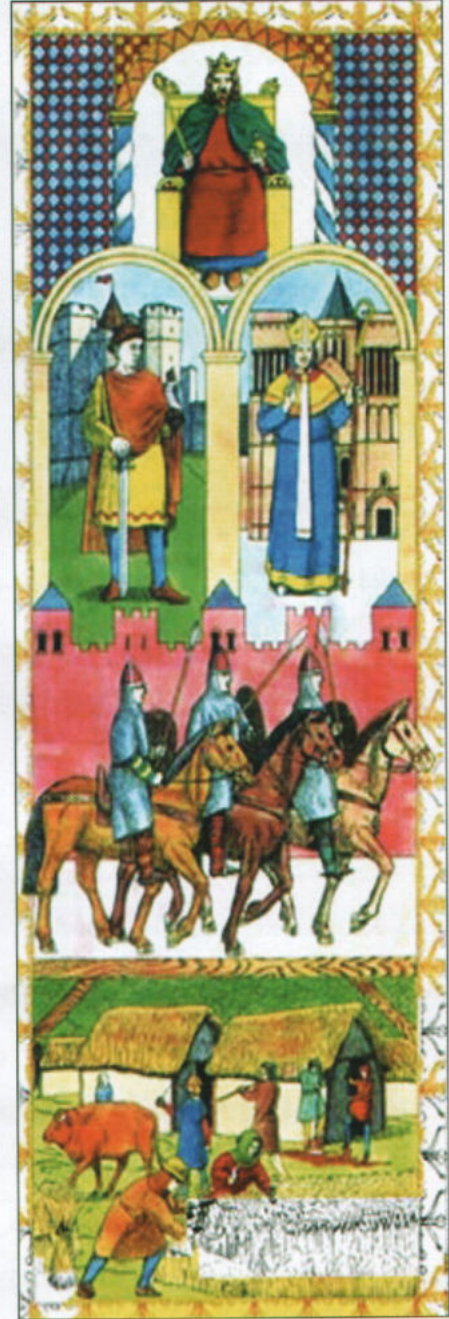
لذلك ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، تمايز طبقي كبير، فقد سادت فيه طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الطبقة الأكبر المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون، ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين.

وكانت الطبقتان الأوليتان تشكلان أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والارستقراطية السائدة، في حين ظلت طبقة الفلاحين تمثل الغالبية المغلوبة على أمرها والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويشقوا ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين. وكان معظم أولئك الفلاحين من العبيد والأقتان الذين ارتبطوا ارتباطاً وراثياً بالأرض التي يعملون عليها وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية. فكل ما يجمعه القن يعتبر ملكاً خاصاً **للسيد الإقطاعي** لأن القن محروم حتى من الملكية الشخصية.

بيد أن أولئك الفلاحين عاشوا مثقلين بمجموعة ضخمة من الالتزامات والخدمات فكان عليهم أن يقدموا خدمات معينة للسيد الإقطاعي مثل فلاحة أرضه الخاصة فضلاً عن تسخيرهم في أعمال شاقة مثل إنشاء طريق أو حفر خندق أو إصلاح جسر.

كذلك كان على الفلاحين دفع مقررات معينة مثل ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنوياً رمزاً لعبوديته، هذا عدا عن الضرائب الأخرى، وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب

أوروبا يحيون حياة شاقة مليئة بالذلّ والهوان. وكان ذلك في الوقت الذي علت فيه الدعوة **للحروب الصليبية** فوجدت تلك الألوف من البؤساء في الغرب الأوروبي فرصتها قد حانت للتخلص مما كانت تعيش فيه من الذلّ ونكد الدنيا. فالموت كان أحبّ إليهم من حياة الجوع والذلّ والعبودية .



التدرج الهرمي للنظام الإقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى



أباحَت الكنيسة استرقاق المسلمين والأوروبيين الذين لم يعتنقوا الدين النصراني، وكان آلاف من الأسرى الصقالبة أو المسلمين يوزعون عبيداً على الأديرة، وكان القانون الكنسي يقدر ثروة أراضي الكنيسة في بعض الأحيان بعدد من فيها من العبيد لا بقدر ما تساوي من المال، فقد كان **العبيد** يعد سلعة من السلع كما يعده القانون الزمني سواء بسواء، وحرّم على عبيد الكنائس أن يوصوا لأحد بأموالهم، وحرّم البابا جريجوري الأول على العبيد أن يكونوا **قساوسة**، أو أن يتزوجوا من النصرانيات الحرّات.



السيد والفارس والقن

اطلس اكملات الصليبيت على المشرف الإسلامي



استغلال الطبقة الكادحة في النظام الاقطاعي



الدافع الاقتصادي :

يعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي، من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية وقد عبر البابا (أوربان) نفسه في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك فقال : لا تدعوا شيئاً يقعد بكم .. ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها البحار وقلل الجبال ضيقة على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً .. إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها بل هي فردوس المباحج وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غربي أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كانت الأزمة طاحنة حيث الجأت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين باباً جديداً للخلاص من أوضاعهم الصعبة وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مروا في أراضيها، كذلك اشتراك عدد كبير من تجار المدن الإيطالية والفرنسية والإسبانية في الحروب الصليبية بغرض استغلالها بحث من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للمشتغلين بها، لذلك قامت أساطيلهم بدور فاعل في الاستيلاء على المراكز الرئيسية في الشام، فساعد الجنوية الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م، وأسهم البنادقة بعد ذلك بعامين في استيلاء اللاتين

وكان هدف هذه الجاليات الأول

الربح والكسب المادي ولم يكن

الباعث الديني إلا بالقدر الذي

يحقق مصالحها، ويكفي أن

نعرف أن شعار البنادقة

الذين عرفوا به وقتذاك

كان : لنكن أولاً بنادقة ثم

لنكن بعد ذلك مسيحيين ،

ولذلك قامت جمهوريات

إيطاليا (جنوا - بيزا -

البندقية) بعقد معاهدات مع

الصليبيين بالمشرق حصلت

على امتيازات اقتصادية كبيرة ، حققت

تريد، وسط ظروف عارمة كادت تعصف بتجارتها .

اتسم كلام

الزعيم الديني البابا (أوربان الثاني) في

موعظته لأتباعه على محاربة المسلمين، وتخليص ما يزعم

بقبر المسيح ﷺ المقدس منهم، وتحرير بيت المقدس والمقدسات

المسيحية في بلاد الشام من أيدي المسلمين. وقد وعد المحاربين بأن تكون

رحلتهم إلى الشرق الإسلامي بمثابة غفران كامل لذنوبهم. لقد أدرك المستمعون

لخطاب البابا ما يعنيه وما يرمي إليه، فصاحوا في حماس جنوني:

"هذه هي إرادة الله... إن الله يريدنا" وحملوا من ساعتها شارة الصليب وقد توجهوا

نحو الشرق الإسلامي كما طلب منهم.

...ومما جاء في خطاب البابا أوربان : "بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين

المسيحيين في أوروبا، ويتجه هؤلاء بأسلحتهم إلى هزيمة الكفرة - يقصد

المسلمين - الآن اذهبوا وأزعجوا البرابرة، وخلصوا البلاد المقدسة

من أيدي الكفار وامتلكوها لأنفسكم فإنها كما تقول

التوراة: تقيض لبتنا وعسلاً".

أمراء

بمقتضاها

من خلالها ما



فرنسا

الموانئ الإيطالية الشهيرة ودورها الاقتصادي في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي



برج بيزا المائل

للشعلة بعنسة: ابن الأعم / م. ماجد أحمد المغاوث

مدينة بيزا الإيطالية والتي شكلت مع جنوا والبندقية موانئ رئيسة لنقل الصليبيين والتجارة مع المشرق

كانت سفن البنادقة والجنوئين والبيازة تنقل المتاجر من مصر والشام إلى أوروبا في العصور الوسطى، وكانت سفن البنادقة بصفة خاصة تحمل الجزء الأكبر من تجارة الشرق إلى ميناء البندقية، حيث تعرض في سوق ريالنتو (Rialto) هناك، لتباع في المزاد العلني للتجار الألمان والإنجليز وغيرهم. وكان سوق "ريالنتو" الكبير في البندقية من أشهر الأسواق التجارية في حوض البحر المتوسط، حيث كانت المتاجر الشرقية توضع في عربات وتزحف بها من هذا السوق متجهة إلى أنحاء أوروبا عن طريق سهل لومبارديا وممرات جبال الألب، وطريق الراين، لتصل أخيراً إلى تجار التجزئة في شتى البلاد الأوربية ليتلقفها المستهلكون هناك.

أهم مصادر ومراجع الباب الأول

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أ. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.
- ٣ - أ. سعيد أحمد برجاوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .
- ٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - د . علي بن محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، نسخة رقمية .
- ٦ - ابن كثير الدمشقي، تاريخ البداية والنهاية . طبعت مختلفة .
- ٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
- ٩ - أمين معلوف، " الحروب الصليبية كما رآها العرب " ، نقلها إلى العربية د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، دمشق، ١٩٨٩ .
- ١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية .
- ١١ - سيد علي الحريري، " الحروب الصليبية . أسبابها، حملاتها، نتائجها " ، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو، دار التضامن دمشق ط١. ١٩٨٨ .
- ١٢ - أمينة بيطار، " تاريخ العصر الأيوبي " ، دمشق، ١٩٨٢ .
- ١٣ - عبد المنعم ماجد، " الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي " .
- ١٤ - ياقوت الحموي، معجم البلدان .
- ١٥ - معين أحمد محمود، " تاريخ مدينة القدس " .
- ١٦ - مواقع إلكترونية عن النصارى .
- ١٧ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ١٩ - محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦ م .



الباب الثاني



الحملة الشعبية (الحملة العامة)

☆ حملة بطرس الناسك

☆ معركة سيفينوت





بطرس الناسك

راهب ذو شخصية مؤثرة (كارازماتي) ومتحدث مفوه اسمه بطرس الناسك من **أمينس**، كان القائد الروحي لهذه الحركة. عرف أيضاً بركوبه لحمار ولبسه لبسيط اللباس. كان قد وعظ بنشاط لأجل الحملة في شمالي فرنسا وبلاد الفلانديرز. وادعى إنه عين من قبل المسيح ذاته (وأنه كان لديه رسالة إلهية لإثبات ذلك)، ومن الجائز أن يكون بعض من أتباعه إعتقدوا أنه هو!، لا البابا أوربان، هو الداعي الحقيقي للحملة إلى الأرض المقدسة. ومن شائع الاعتقاد إن جيش **بطرس** كان فرقة الرهبان الجهلة والغير جديرين والذين لم يكن لديهم أدنى فكرة إلى أين سيذهبون؟، والذين إعتقدوا أن كل مدينة صغيرة أو كبيرة سيطروا عليها في طريقهم أثناء الحملة هي **القدس**، وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحاً إلى حد ما، ولكن التقليد الطويل بالزيارة إلى الديار المقدسة والقدس جعل من موقع وبعد المدينة المقدسة معروفاً جيداً. وبالرغم من أن الإغلبية كانوا من المقاتلين الغير متمرسين. كان هناك قلة من فرسان جيدي التدريب يقودونهم. مثل الفارس Fulcher of Chartres الذي سيصبح لاحقاً مؤرخاً، وWalter Sans-Avoir المعروف أيضاً بوالتر المفلس، والذي، كما يدل اسمه، كان فارساً فقيراً بلا أطيان أو أتباع، ولكنه كان متمرساً في القتال.

الحملة الصليبية الشعبية

سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م

قادة الحملة : بطرس الناسك- والتر المفلس .

سبب الحملة :

هي حملة سبقت الحملة الصليبية العسكرية الأولى وتعتبر جزءاً منها، دامت حوالي ستة أشهر من إبريل سنة ١٠٩٦ م، إلى شهر أكتوبر من العام نفسه.

وعرفت أيضاً بإسم **حملة الشعب أو حملة الأقفان**. حيث قام بها عدد من الأساقفة الذين شاركوا في مجمع **كليرمونت** سنة ١٠٩٥ م "الداعي إلى قيام حرب صليبية ضد المشرق" بإلهاب مشاعر الجماهير النصرانية للمشاركة فيها فاستجابت لهم أعداد كبيرة من فرنسا وألمانيا؛ لاستعادة **كنيسة القيامة**، وما يزعم بقبر المسيح **عليه السلام**.

لم تصبر هذه الجموع الغوغاء حتى موعد الرحيل الذي حدده **البابا** للحملة، ولم تقلح محاولات البابا في ثنيهم عن الرحيل، ولم تجد دعوته استجابة من هؤلاء الغوغاء، ولم تستطع اللوائح التي وضعها "أوربان" علاج الموقف. حيث تحركت جحافل هذه الجموع تحمل محاصيلها فوق عربات ثقيلة تجرها الثيران، وفي صحبتهم الزوجات والأطفال، حتى وصلوا "**كولونيا**" في (١٥ من ربيع الآخر ٤٨٩ هـ = ١٢ من إبريل ١٠٩٦ م)، وظلوا بها فترة من الوقت يتزودون بالمؤن، ويتقوون بانضمام الألمان إليهم حتى تضاعف عددهم. ورأت هذه الفئة أن تتجه شرقاً لتحقيق هدفها الأكبر!!؟

كان الراهب **بطرس الناسك** حينما زار بيت المقدس، عز عليه أن يراه تحت سلطة المسلمين، وهو المكان الذي يقدهه أصحاب الديانات السماوية؛ فما كان منه إلا أن اهتري وروج لتلك الإشاعات الزائفة. بمضايقة المسلمين للنصارى، وهي في واقع الحال مضايقات لا تعدوا أن تكون فردية، فالدين الإسلامي يرفض مثل هذه التصرفات الرعناء.



الحملة الصليبية الشعبية



أطلس اكملات الصليبية على امشرق الإسلامي



مقاطعات الجمهورية الفرنسية اليوم



تعود أسول قائد الحملة الشعبية (بطرس التاسك) إلى من مدينة أمينس الفرنسية



ألمانيا
كولونيا

مدينة كولونيا (كولون) الألمانية والتي تطل على نهر الراين

جمع **بطرس الناسك** جيشه في **كولونيا** في ١٢ ابريل ١٠٩٦م، وكان يخطط التوقف هناك والوعظ في **الألمان** وجمع المزيد من الصليبيين. ولكن **الفرنسيين** لم يكونوا مستعدين لإنتظار بطرس والألمان، وتحت قيادة **واترسانس أفور (المفلس)**، غادر بضعة آلاف من الصليبيين قبل بطرس، ووصلوا إلى هنغاريا (المجر) في ٨ مايو، فعبروا المجر (هنغاريا) دون حوادث ووصلوا نهر ساف على الحدود البيزنطية عند **بلغراد**، تقاجاً أمر بلغراد بالجموع، وكونه ليس لديه تعليمات بما عليه أن يفعل، رفض فتح دخولهم المدينة. مما أجبر الصليبيين على نهب الريف من أجل أن يعتاشوا. أدى ذلك إلى مناوشات مع حامية بلغراد، ومما زاد الأمر سوءاً، قيام ١٦ من **زبانية والتر** نهب سوق في سيملين، على الناحية الأخرى من النهر في هنغاريا، فتم تجريدهم من دروعهم وثيابهم وعلقت على جدران القلعة. أخيراً تم السماح للصليبيين باستكمال طريقهم إلى **نيش** (انظر الصفحة السابقة)، حيث تم إمدادهم بالطعام وظلوا ينتظرون أخباراً من القسطنطينية تسمح بمرورهم. وبنهاية يوليو، وصلت الجيوش إلى القسطنطينية بمرافقة بيزنطية. بينما بقي بطرس وبقية الصليبيين في **كولونيا** حتى ٢٠ أبريل، فخرج معه حوالي ٢٠،٠٠٠، وتبعتهم مجموعة أخرى بعدها بفترة قصيرة. ولما وصلوا **الدانوب**، قرر البعض إستكمال الطريق بالقوارب نزولاً مع الدانوب، بينما قرر السواد الأعظم إستكمال الرحلة على ضفاف الدانوب ودخلوا هنغاريا عند ديبورغ المعروفة اليوم باسم **سويرون**. وهناك إستكملوا الرحلة عبر المجر وعادوا لينضموا إلى من سلخوا الدانوب عند سملين على الحدود البيزنطية. في سيملين، أصبح الصليبيون متشككين، لما رأوا البذات الستة عشر معلقة على أسوار القلعة. وبعدها، أدى خلاف على سعر زوج من الأحذية في السوق إلى الإضطرابات. والتي تحولت إلى هجوم كامل على المدينة من قبل **الصليبيين** (الأمر الذي كان ضد رغبات بطرس على الأغلب)، حيث قتل ٤،٠٠٠ هنغاري. هرب بعدها **الصليبيون** عبر نهر ساف إلى بلغاريا، ولكن ليس قبل مناوشات مع القوات البلغارية. وهرب سكان بلغراد، و**نهب الصليبيون المدينة وأحرقوها**. وأستكملوا بعدها المسير لسبعة أيام وصولاً إلى **نيش** في ٣ يوليو. هناك وعد الأمر بتوفير مرافقة لجيش بطرس إلى القسطنطينية كما وعد بتوفير الطعام، بشرط أن ترحل الجموع فوراً. وافق بطرس، وأنطلق في اليوم التالي.





متحف ماينتس التاريخي

ماينتس زودت الحملة الشعبية بالعدة والعتاد

ماينتس وتسمى ماينز (بالألمانية: Mainz) هي عاصمة وأكبر مدن ولاية راينلاند بالاتينات في جنوب غربي ألمانيا. يبلغ عدد سكانها ١٩١,٠٠٠ نسمة (٢٠٠٥). تشتهر بكونها المدينة التي طبع فيها العالم الألماني **غوتنبرغ** أول كتاب في التاريخ. يوجد بها مقر القناة الثانية الألمانية زي.دي.إف وجامعة يوهانس غوتنبرغ. توجد بمينتس مدينة داخلية قديمة جميلة. وتشمل معالمها العديدة على جامعة جوهانس جوتنبرج التي تأسست عام ١٤٧٧م. وتضم مباني المدينة نماذج من فن العمارة الرومانسكي، والقوطي، والطرز المعماري لعصر النهضة، والطرز الباروكي. وتنتج ماينتس الإسمنت والآلات والسيارات، والمطبوعات، وصناعات أخرى متطورة.



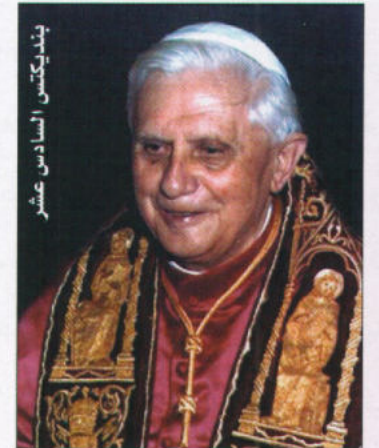
كاتدرائية ماينتس



ريجنسبرج

في هذه المدينة الألمانية **ريجنسبرج** توقف الصليبيون في حملتهم الشعبية للتزود بالعدد والعدة، وبعد قرون مضت عاد "البابا بندكتس السادس عشر" بابا الفاتيكان أثناء محاضرة له بجامعة ريجنسبرج الألمانية يوم ١٢/٩/٢٠٠٦ م ليطلق تعليقات ساخنة حول الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم مما كان لها ردود فعل غاضبة، امتدت باتساع العالم الإسلامي من إندونيسيا شرقاً حتى المغرب غرباً وذلك في تطور جديد للمواجهة المفتعلة بين الغرب والإسلام والمسلمين بصورة تنذر بتداعيات سلبية خطيرة تمتد في مفعولها لتلقي بظلالها القاتمة على مستقبل العلاقة والتفاعل بين الأديان وبطريقة يتدعم ويترسخ معها الاعتقاد أن ثمة صراعاً حضارياً من الممكن أن يتطور ليتحول إلى مواجهة حقيقية بين الغرب والإسلام من الممكن أن تهدد مستقبل العالم وأمنه واستقراره.

لقد جاءت تعليقات "البابا" حول الإسلام ورسوله الكريم لتؤكد من جديد أن الغرب مازال مصراً على أن ينكأ جرحاً لا يريد له أن يندمل بسعيه المستمر لاستفزاز العالم الإسلامي من خلال إثارة قضايا وأمور تمس الإسلام ورموزه في مجملها محاولة الربط بينه وبين "العنف" والادعاء الكاذب بأنه "دين يحض على العنف وعدم تقبل الآخر"، وهذه الادعاءات إن دلت على شيء فإنما تدل على جهل وعدم وعي بحقيقة الإسلام الناصعة والواضحة كوضوح الشمس للجميع إلا من كان في نفسه غرض.



بندكتس السادس عشر



الساحة الرئيسية في فيينا

فيينا هي عاصمة النمسا وأكبر مدنها. وسميت بهذا تطويراً عن اسمها اللاتيني القديم (فيندوبونا) ومعناه الهواء الجميل أو التسييم العليل. وتنقسم فيينا إلى ٢٣ منطقة إدارية إلا أن فيينا هي الأهم سياحياً باعتبارها قلب البلد وأكثرها عراقة، وإن كنا نجد أن كل منطقة لها مميزاتها. ومن أشهر معالم فيينا: قصر الشانبرون بالاس (Schonbrunn Palace)، ساحة ستيفنز وشارع المشاة، شارع ماريا هلفر Mariahilfer Strasse، القصر الإمبراطوري HOFBURG



كاتدرائية فيينا



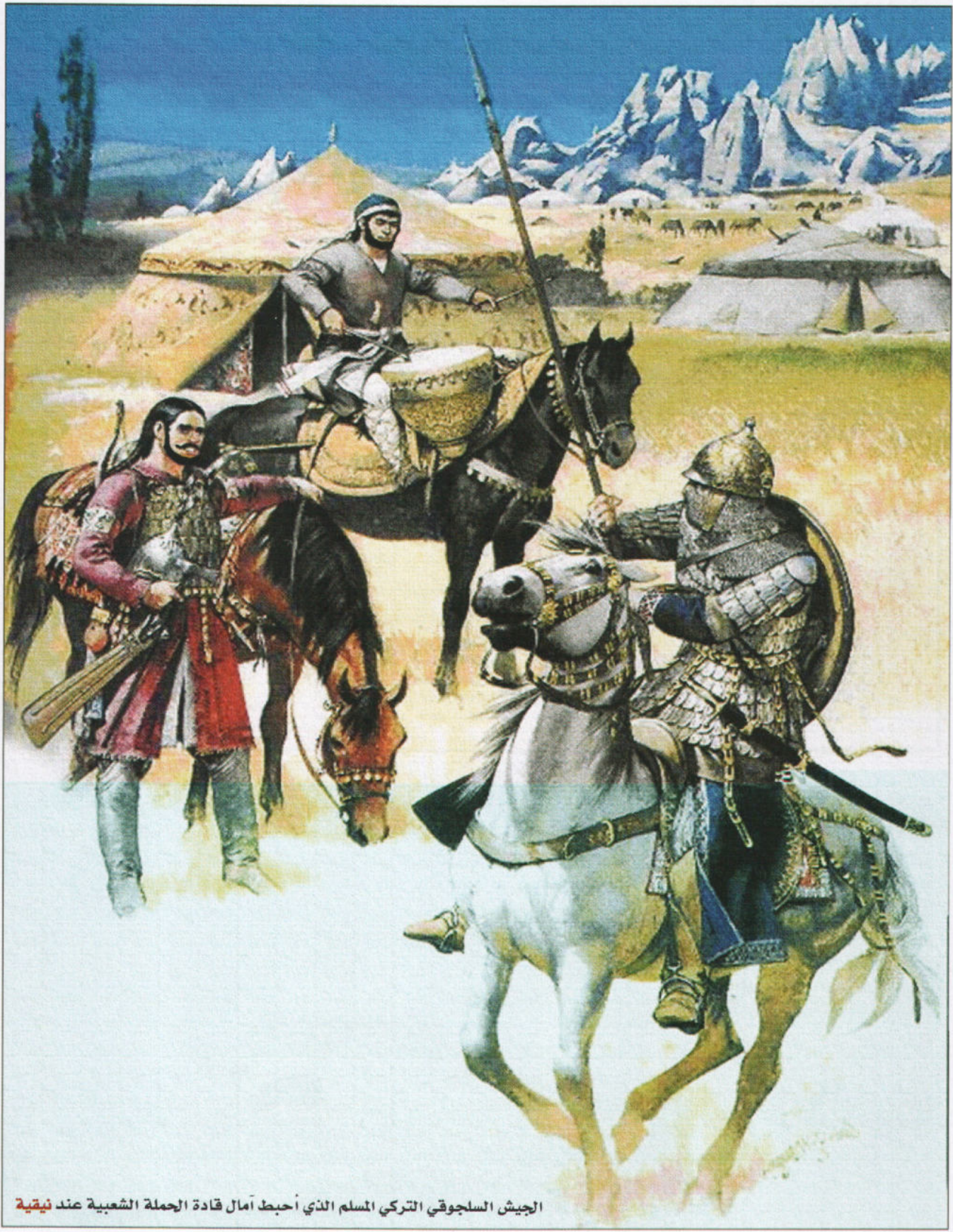
بلغراد (بالصربية: Beograd) هي عاصمة صربيا وأكبر مدنها. تعد واحدة من أقدم مدن أوروبا على الإطلاق إذ يعود تاريخ تأسيسها؛ إلى القرن الثالث قبل الميلاد، على يد قبائل كلتية قبل أن تصبح مستعمرة رومانية تدعى باسم سينجيدنم. كانت عاصمة لصربيا منذ عام ١٤٠٤ م وعاصمة ليوغسلافيا بين عامي ١٩١٨ و ٢٠٠٣ م. كانت بلغراد آخر بقعة نصرانية دانت للمسلمين العثمانيين في البلقان وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي.





نتيجة الحملة الشعبية

لما وصلت جموع المتطوعين الصليبيين **القسطنطينية**، رأى الإمبراطور الكسوس كومين، أن يتقي شرمهم فساعدهم على السير إلى آسيا الصغرى، وحققوا بعض انتصارات محلية على **السلجقة**، مما جعلهم يغتروا بقوتهم ويتمادون في الإغارة على أراضي السلجقة، وانتهز **الصليبيون** - وكانت عدتهم ٢٥٠٠٠ (فارس) عدا الأعداد الضخمة من المشاة المعدمين - فرصة ذهاب بطرس الناسك إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور وقرروا الزحف على **نيقية**، حيث قابلهم المسلمون السلجقة سنة (٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) وأفنوهم عن بكرة أبيهم باستثناء أعداد قليلة بلغ تعدادهم نحو ثلاثة آلاف شخص. وهكذا أخفقت حملة العامة التي قادها **بطرس الناسك** و**التر المفلس**. كما أخفقت حملات مماثلة أخرى. وكانت هذه الحملات بمثابة الطلائع للحملات الصليبية المنظمة التي قادها الملوك والأمراء الأوروبيون فيما بعد.



الجيش السلجوقي التركي المسلم الذي أحبط آمال قادة الحملة الشعبية عند نيقية



اطلس اكملات الصليبية على امشرف الاسلامي

؟ لقد كان لموقف الإمبراطور البيزنطي إلكسس كومين من الزحف الصليبي نتائج خطيرة، جاءت معبرة عن طبيعة العلاقات التي سادت بين شطري أوروبا شرقاً وغرباً، قبل قيام أحداث الحملة الصليبية الشعبية والأولى. كما سيطرت نتائج هذا الموقف فيما بعد على طبيعة العلاقات بين الشطرين، حتى آل الأمر بسقوط القسطنطينية بأيدي اللاتين واحتلالها عام ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ. والثابت تاريخياً: أنه ظلت آثار هذا الموقف مسيطرة في مسيرة العلاقات بين الجانبين حتى سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية النهائي في أيدي الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٢ م / ٨٥٧ هـ.



كنيسة ايا صوفيا باستانبول التركية اليوم، والتي حولها العثمانيون إلى مسجد ثم أصبحت في العهد الجمهوري متحفاً



صورة لترسم تقريبي للقسططنطينية عاصمة بيزنطة أيام الحروب الصليبية اللاتينية (الغربية)



تحت أسوار القسطنطينية، اجتمع بطرس الناسك مع والتر المفلس وعصابات أخرى شعبية انضمت إليهما بعد ذلك. وكان اجتماع تلك العصابات المختلفة، مشجعة لأفرادها، على القيام بالأعمال التي اعتادوها، فأرخوا العنان لغرائزهم الضعيفة، وأخذوا ينيهون ضواحي المدينة الكبيرة، والقرى المجاورة، والكنائس نفسها، مما دعا بالإمبراطور البيزنطي تشجيعهم للانتقال إلى آسيا الصغرى، حيث استطاع رئيس إحدى عصابات الصليبيين (رينالد اللومباردي)، من تمكّن قسم من رجاله الألمان والاطليان، من احتلال أحد الحصون، في ضواحي نيقية، وهو حصن: كزاريجوردون حيث وضع يده على كثير من الماشية والمؤن. والظاهر أن هذه العصابة آثرت البقاء في الحصن، فأرسل رئيسها، يستحث الباقين في قلعة سيفيتوت، للحاق بهم. إلا أن الأتراك لم يمهلوهم، فأقبلوا يحاصرون رينالد ورجاله قبل وصول رفاقهم إليهم، وقد لقي المحاصرون، عنتاً كبيراً، من جراء نفاذ الماء والمؤن لديهم أثناء الحصار، وقد مات منهم عدداً كبيراً، وفي تلك الأثناء، كان بطرس الناسك قد عاد إلى القسطنطينية لتقابلة الإمبراطور الكسوس كومين، فانتهز رجاله الفرصة، بغيا به مهاجمة مدينة نيقية نفسها، فغادروا سيفيتوت، بعد أن تركوا فيها النساء والأولاد واتجهوا نحو عاصمة قلع أرسلان، فعلم بذلك، قائد الأتراك (إخان)، بواسطة عيونهم، ونصب لهم كميناً في وادي دراكون، وقد اغتتم القائد التركي هذه الفرصة، فزحف على قلعة سيفيتوت، ودخلها وقتل من كان فيها، وعندما علم بطرس الناسك من أحد الناجين بذلك، أسرع يخبر الإمبراطور، لكن السلاجقة أخلوا القلعة عاندين إلى نيقية ووراءهم أسراهم في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٠٩٦ م.



أطلس اكملات الصليبية على المشرق الإسلامي



meschier des le mois de novembre
 a dit. m^o. xv. Contreffois vo
 les chais appareils que pour par
 foudre tant d'ingereuse & tant
 besogne conuoit le general par
 tement herauda tant tems et
 aussi pour la predication de la
 crois. Mais restat Quiliter sans sca
 voir. & ses yeus qui furent les

premiers Comme say dit. se dep
 turent du lieu ou ils auoient eu
 trepris eulx assembler le .viii.
 jour du mois de mars auant
 pasques. Lan .m. cc. xv.
 & commencer lan apres la bene
 diction du Saint Esprit
 : lusi qui se fut ou pisenent
 & plus. Lesquelz passerent



صورة لمرثسم تخيلي من العصور الوسطى لهزيمة الجيش الصليبي (الحملة الشعبية) على ايدي السلاجقة المسلمين



ممر تاريخي في إزنيق
(نيقية)، يعود إلى العهد
السلجوقي.

في سنة ١٠٩٢ م وسبب كثرة المتسابقين على عرش السلطنة بين أفراد العائلة، أصبحت المملكة السلجوقية ممالك عدة، تمكن محمود (١١٠٥-١١١٨ م) بتوحيدها من جديد إلا أن أمر التقسيم كان محتوماً، ثم قامت مملكة سلجوقية في العراق وإيران ودامت إلى حدود سنة ١١٩٤ م. وأخرى في الشرق أقامها السلطان سنجار (١١١٨-١١٥٧ م) والتي لم تعمر طويلاً بعده، حيث قضى عليهم شاهات خوارزم (خوارزمشاهات) سنة ١١٩٤ م. ثم قامت ممالك أخرى للسلجقة:

- في كرمان (١٠٤١-١١٨٧ م): المقر: بردشير، سلاجقة كرمان
- في الشام (١٠٩٤-١١١٧ م): المقر دمشق ثم حلب، سلاجقة الشام
- في الأناضول (١٠٧٧-١٣٠٨ م): المقر إزنيق (نيقية) ثم قونية، سلاجقة الروم والذي نحن بصددتها.

السلاجقة أو بنو سلجوق، في البدء ذكرنا في صفحة سابقة شيئاً سريعاً عن السلاجقة ويطلب لنا في هذه الصفحة أن نعرف بهم كسلالة تركية حكمت في أفغانستان وإيران وأجزاء من الأناضول وسورية والعراق والجزيرة العربية ما بين ١٠٢٨-١١٥٧ م، حتى ١١٩٤ م، وينتمي السلاجقة إلى إحدى العشائر المنتزعة لقبائل الغز التركية. دخلت هذه العشيرة في الإسلام أثناء عهد زعيمها سلجوق سنة ٩٦٠ م. دخلوا بعدها في خدمة القراخانات (قره خانات) في بلاد ماوراء النهر. قام أحفاد سلجوق، طغرل (١٠٢٨-١٠٦٣ م) وجفري (١٠٢٨-١٠٦٠ م) بتقسيم المملكة إلى نصفين. النصف الغربي وقاعدته أصفهان، والنصف الشرقي وقاعدته مرو.

بعد انتصار السلاجقة على الغزنويين سنة ١٠٤٠ م بالقرب من دنكان توسعت مملكة طغرل بك إلى الغرب أكثر. ثم ضمت فارس إليها سنة ١٠٤٢ م، وبعض الأجزاء من الأناضول، ثم العراق أخيراً سنة ١٠٥٥ م، بعد القضاء على النفوذ البويهبي في العراق، دخل طغرل بك بغداد في ٢٥ رمضان ٤٤٧هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٠٥٥ م. حيث أطلق المؤرخون على الفترة التي دخل فيها السلاجقة العراق (النفوذ السلجوقي)، حيث كانت يدهم مقاليد الأمور ولم يبق للخليفة العباسي سوى بعض المظاهر والرسوم والدعاء له على المنابر. أعلن طغرل بك نفسه كحام للخلافة العباسية وخلع عليه الخليفة لقب السلطان، بعد وفاة طغرل بك شب صراع على الحكم ولكن لم تلبث الأمور أن هدأت بعد قيام ألب أرسلان بتولي الحكم والقضاء على الثورات. بلغت الدولة أوجها في عهد السلطان ألب أرسلان (١٠٦٠/٦٣-١٠٧٢ م) ثم ملك شاه (١٠٧٢-١٠٩٢ م) من بعده، كما قام وزيره نظام الملك (١٠٦٠/٦٥-١٠٩٢ م) بإنشاء العديد من المدارس لتثبيت مذهب أهل السنة والجماعة في المنطقة. استولى السلاجقة على أرمينيا سنة ١٠٦٤ م، ثم بسطوا سيطرتهم على الحجاز والأماكن المقدسة منذ ١٠٧٠ م. كما حققوا انتصاراً حاسماً على البيزنطيين في **ملاذكورت** سنة ١٠٧١ م. كما تقدم ذكره أكملوا بعدها سيطرتهم لتشكّل كامل الجزيرة العربية تقريباً.



صورة بانورامية لمدينة إزنيق (نيقية) بالجمهورية التركية



سلاجقة الروم، سلاجقة الأناضول (أتاتولو): سلالة تركية حكمت في بلاد الأناضول ما بين ١٠٧٧-١٣٠٨ م. المقر: إزنيق (نيقية) ثم قونية ابتداءً من ١١١٦ م. تفرعت هذه الأسرة عن السلاجقة الكبار. بعد معركة ملاذكرت ١٠٧١ م. وهزيمة الروم، بسط السلاجقة سيطرتهم على الأناضول. كان مؤسس الدولة قتلмыш بن أرسلان من أقرباء الحاكم السلجوقي طغرل بك. استولى ابنه سليمان الأول (١٠٧٧-١٠٨٠ م.) على إزنيق عام ١٠٧٨ م. بدأ حكم الأسرة تحت وصاية السلاجقة الكبار أولاً ثم أتمت استقلالها مع ظهور الدويلات الصليبية في المنطقة.

تصريف ماني قديم في نيقية

أهم مصادر ومراجع الباب الثاني

- ١ - رنيه كروسيه؛ الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه أ. أحمد ايبش .
- ٢ - أ. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.
- ٣ - مواقع إلكترونية عن الحروب الصليبية .
- ٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر.
- ٥ - د . سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، ط . الرابعة.
- ٦ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية ، أ. أحمد غسان سبانو، وأ. نبيل الجيرودي .
- ٧ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو ، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٨١ م .
- ٨ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- ٩ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .





الحملة الصليبية الأولى

- ★ حصار أنطاكية واحتلالها
- ★ حصار طرابلس وسقوطها
- ★ احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيها
- ★ سقوط الرها





الحملة الصليبية الأولى

سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م - ١٠٩٩ م .

قادة الحملة : ريموند دي سنجيل ، روبرت كورت هوز، وغود فري بويون، و بوهيومند .

سبب الحملة :

وصلت هذه الحملة الصليبية إلى أبواب **القسطنطينية** وخاف إمبراطورها منهم فاتفق مع بعض القادة على أن يمددهم بالمؤمن والذخيرة على أن لا يدخلوا المدينة وأن يردّوا عليه ما يستولون عليه من أملاكه، فاجتازوا البوسفور، ووصلوا إلى نيقية فحاصروها، ونقل أميرها قليج أرسلان مقره إلى **قونية**، واتفق مع الإمبراطور أن يدخل جنده **نيقية** دون القادمين من أوروبا وبهذا غضب الصليبيون لأن الإمبراطور بهذا التصرف لم يسمح لهم بنهب المدينة، وبهذا يكون الإمبراطور البيزنطي قد دعم الصليبيين بكل قوته وسار معهم نحو **نيقية**، وحصل خلاف بين الصليبيين القادمين من أوروبا والبيزنطيين إذ وجد الإمبراطور أنه لا يستطيع التفاهم مع هؤلاء القادمين فانصرف لاسترداد **آسيا الصغرى من السلاجقة** فاتجه نحو الغرب ودخل **إزمير وأفسوس** وأخذهما من أمراء السلاجقة فيهما لانقطاعهم عن دولة السلاجقة، ولم يعد يدعم الصليبيين بل حرص أن يضم له ما أخذوه هم، فكان دعمه بقتال المسلمين بجهات ثانية ثم بعد مدة عادة لتقديم الدعم.

اختلف القادة الصليبيون بعضهم مع بعض، فاتجه بعضهم إلى **الرّها** تلبية لدعوة أميرها فدخلها وأسس بها **إمارة نصرانية لاتينية** وكان يطمع بتأسيس دولة صليبية في أرمينيا وقد دعمه في الأمر الأرمن. وسار باقي القادة إلى **أنطاكية** فألقوا الحصار عليها ودخلوها عنوة عام ٤٩١ هـ بعد حصار دام سبعة أشهر وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، ومثلوا بالقتلى والناس، وفعلوا أبشع الجرائم، وولوا عليها أحدهم وقد استقبل النصارى من أهلها والأرمن الصليبيين بكل ترحاب، ثم اتجهوا بعدها نحو **بيت المقدس**، فسار لقتالهم **"كربوقا"** صاحب الموصل، وصاحب دمشق **"دقاق"**، وصاحب حمص **"جناح الدولة"** غير أن الصليبيين قد انتصروا عليهم ودخلوا **معرة النعمان**، ووصلوا إلى **بيت المقدس** ودخلوها عام ٤٩٢ هـ فقتلوا من أهلها أكثر من **سبعين ألفاً** وخاضت خيولهم ببحر من الدماء، وانتخب **غودفري ملكاً على بيت المقدس**، وأخذ لقب حامي قبر المسيح. وكان العبيديون قد استغلوا تقدم الصليبيين من الشمال فتقدموا هم من الجنوب ودخلوا القدس وطرّدوا السلاجقة منها (قبل وصول الصليبيين إليها) وجرت مفاوضات بين الأفضل بن بدر الجمالي الوزير العبيدي وبين الصليبيين على أن يكون شمال بلاد الشام للصليبيين وجنوبها للعبيديين ثم نقض الصليبيون العهد عندما شعروا بالنصر. الشيخ، محمود شاكر، التاريخ



حصار أنطاكية واحتلالها



حصار الصليبيين لأنطاكية

بعد أربعة أشهر من السير المتواصل المنهك، وبالتحديد في ٢١ من أكتوبر ٤٩١ هـ - ١٠٩٧ م، حيث وصلت طلائع الجيش الصليبي الرئيس إلى أنطاكية، وكان **بوهيومند**، على رأس قوة من ٤٠٠٠ مقاتل أول من وصل إليها، فتمركز، تجاه بابها الشرقي، أو باب القديس **بولس**، ثم تتابعت القوات الصليبية، وضربوا حصاراً قوياً على المدينة، وقاموا ببناء المعازل الخشبية والأبراج العالية، فقام واليها السلجوقي المسلم (**ياغيسيان**) بأخذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عنها. استمات المسلمون بالدفاع عن مدينتهم ولاقى الصليبيون أثناء حصارهم كل هول وتعب؛ لأن الحصار استمر من أكتوبر سنة ١٠٩٧ م، إلى يونيو ١٠٩٨ م، وفكت بهم الكثير من الأمراض أثناء حصارهم، وضعفت عزائمهم. وحاول المسلمون نجدة **أنطاكية** وفك حصارها. ولكن دون نتيجة: حاول الأمير **رضوان** صاحب **حلب**، كما حاول قبله **دقاق** أمير **دمشق**. وجاءت نجدة من **سلطان إيران السلجوقي** ولكن بعد فوات الأوان. أما **الدولة العبيدية** فكان موقفها مخزياً، فقد جعلوا من هذا الحصار، واشتغال أمراء السلاجقة به، فرصة ينتهزونها لافتكاك بيت المقدس من أيدي

السلاجقة. وبعث الحاكم العبيدي - المستعلي بالله - وفداً إلى الصليبيين يعرض عليهم الصلح والمسالمة، وتأمين أماكنهم المقدسة، وحماية الزوار النصارى إلى بيت المقدس. ولكن الصليبيين لم يجيبوه إلى ذلك، واستمروا في محاصرتهم لأنطاكية بدون أن يتمكنوا من احتلالها، إلى أن وقعت **خيانة** من أحد حراس الأبراج الإسلامية (**فيروز الأرمني**)، حينما تفاوض سرياً مع **بوهيومند** وسلم إليه البرج؛ فدخل الصليبيون **أنطاكية** وعاثوا فيها فساداً وأباحوها أياماً. ثم جاء عماد الدين كربوغا صاحب الموصل إلى أنطاكية بعد احتلالها وحاصر الصليبيين. واجتمع معه عدد من أمراء السلاجقة. واشتد الضيق على المحصورين وكادوا يستسلمون إلا أن سوء سيرة كربوغا مع بقية قواد السلاجقة وعدم تبادل الثقة بينهم جعل النجدة تبوء بالفشل؛ فتهقرت القوات الإسلامية وفك الحصار عن أنطاكية وبذلك استقرت أنطاكية للصليبيين. وانتصب **بوهيومند النورماندي** أميراً عليها. أما بقية الصليبيين فإنهم اتجهوا نحو بيت المقدس بعد أن استراحوا واستجمعوا قواهم.



أطلس اكملات الصليبية على امشرق الإسلامي



روبارت كورت هوز

روبارت كورت هوز



غودفري بويون



بوهيموند



ريموند دي سانجيل



زحف القوات الصليبية نحو أنطاكية



اطلس اكملات الصليبية على امشرف الإسلامى



نهر العاصى وهو يخرق أنطاكية



أنطاكية :

بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، ... قال الهيثم بن عدي: أول من بنى أنطاكية انطيوخس وهو الملك الثالث بعد الإسكندر؛ وذكر يحيى بن جرير المتطبب التكريتي: أن أول من بنى أنطاكية انطيفونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يتمها فأتها بعده سلوقوس، وهو الذي بنى اللاذقية وحب والرها وأفامية؛ وقال في موضع آخر من كتابه: بنى الملك أنطيفونيا على نهر أورنطس مدينة سماها أنطيوخيا وهي التي كمل سلوقوس بناءها وزخرفها وسماها على اسم ولده انطيوخوس وهي أنطاكية؛ ... ولم تزل أنطاكية قسبة العواصم من الثغور الشامية،



نقش لشبيهة (العذراء) على أحد جبال أنطاكية . يعود إلى عهود النصارى الأوائل في القرن الأول الميلادي، والذين تحاوروا إليها فراراً من اضطهاد الدولة الرومانية. بينما يرى آخرون بأنه يعود إلى أيام الاحتلال الصليبي 15 ويرى المؤلف بالقرب من مغارة بطرس في أنطاكية .

وهي من أعيان البلاد وأمهااتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. وأما فتحها فإن أبا عبيدة بن الجراح سار إليها من حلب وقد تحصن بها خلق كثير من أهل جند قنسرين فلما صار بمهرؤية على فرسخين من مدينة أنطاكية لقيه جمع من العدو ففضهم وأجأهم إلى المدينة وحاصر أهلها من جميع نواحيها، وكان معظم الجيش على باب فارس والباب الذي يدعى باب البحر؛ ثم إنهم صالحوه على الجزية أو الجلاء فجلا بعضهم وأقام بعض منهم فأمّنهم ووضع على كل حالم ديناراً وجريباً، ثم نقضوا العهد فوجه إليهم أبو عبيدة عياض بن غنم وحبیب بن مسلمة ففتحها على الصلح الأول؛ ويقال: بل نقضوا بعد رجوع أبي عبيدة إلى فلسطين



مرتسم أوروبي قديم ؛ يصور حصار الصليبيين لأنطاكية، واستعدادهم لدخولها

فوجّه عمرو بن العاص من إيلياء
ففتحها ورجع ومكث بسيراف حتى
طلب أهل إيلياء الأمان والصلح، ثم
انتقل إليها قوم من أهل حمص
وبعلبك مرابطة، منهم: مُسَلِّم بن
عبد الله جدُّ عبد الله بن حبيب بن
النعمان بن مُسَلِّم الأنطاكي، وكان
مُسَلِّم قَتَلَ على باب من أبوابها فهو
يُعرف بباب مُسَلِّم إلى الآن، وذلك
أن الروم خرجت من البحر فأناحت
على أنطاكية وكان مُسَلِّم على السور
فرماه عِلْجٌ بحجر فقتله؛ ثم أن
الوليد ابن عبد الملك بن مروان
أقطع جند أنطاكية أرض سلوقية

عند الساحل وصير إليهم الفلث بدينار ومُدِّي فَمَحَ فَعَمَّرُوهَا، وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية؛ والفلث: مقدار
من الأرض معلوم كما يقول غيرهم الفدان والجريب؛ ثم لم تزل بعد ذلك أنطاكية في أيدي المسلمين وثغراً من
ثغورهم إلى أن ملكها الروم في سنة ٢٥٢ بعد أن ملكوا الثغور المصيصة وطرسوس وأذنة واستمرت في أيديهم إلى
أن استنقذها منهم سليمان بن قُتَلَمِش السَلْجُوقِي جدُّ ملك آل سلجوق اليوم في سنة ٤٧٧؛ وسار شرف الدولة مُسَلِّم
ابن قُرَيْش من حلب إلى سليمان ليدفعه عنها فقتله فاستقام أمرها وبقيت في أيدي المسلمين إلى أن ملكتها الأفرنج
من واليها بَغَيْسَفَان التُّرْكِي بِحِيلَةٍ تَمَّتْ عليه وخرج منها فَنَدِمَ ومات من الغبن قبل أن يصل إلى حلب، وذلك في سنة
٤٩١، وهي في أيديهم إلى الآن؛ وبأنطاكية قَبْرُ حبيب النَجَّار يُقصد من المواضع البعيدة وقبره يزار؛ ويقال إنه نزلت
فيه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى، قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، وقد نسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم وغيرهم ...

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٢٦٦ - ٢٧٠ .



مرتسم أوروبي قديم ؛ يصور وحشية الصليبيين لبعض المسلمين عند استيلائهم على أنطاكية



سقوط الرها ٤٩١ هـ - ١٠٩٨ م

أراد أهالي الرها من الأرمن: استغلال تواجد الصليبيين على مشارف بلاد الشام، فأخذوا يرأسلون قادة الصليبيين؛ للتخلص من الحكم السلجوقي الإسلامي، فلبى أحد القادة ذلك، فوصل إليهم غود فري بويون وشقيقه (بودوين)؛ منتهزاً هذه الفرصة السانحة، ودخل المدينة، ثم غدر بحاكمها الأرمني طوروس، حيث تعمد غود فري بويون تركه وحيداً ليهلك، ثم

ليصفوا له الجو ويحل محله في حكم الرها في التاسع من مارس آذار ١٠٩٨م وكوّن بذلك إمارة فيها



عملة صليبية سكّت في الرها في عهد بودوين الصليبي

وعلى ما حولها (كونتية فرنجية ذات حكم ذاتي في الرها)، وطرد المسلمين منها واستمرت هذه الإمارة إلى أن أزالها آل زنكي سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م.

الرّها (أورفا): مدينة يعود تأسيسها إلى

العهد الآرامي (٤٠٠) قبل الميلاد، في منطقة ما بين النهرين الغربية الشمالية وبالتفاعل الطبيعي مع المناطق الشرقية وتأسيس مجتمع أورهي - إديسا - الرها - وقد تحولت أورفا إلى منارة "أرامية عالمية" وخاصة مع اعتناقها النصرانية في الفترة الأولى المبكرة من انتشار النصرانية. حيث كانت من مدن المراكز النصرانية الكبرى، بها أكثر من ٢٠٠ كنيسة، اكتسبت اللغة فيها هيمنة على هذه الحياة المستقرة المدينة.. من قبل الآراميين المستقرين على ضفاف الفرات التاريخي العظيم والتسمية الأولى للمدينة بالآرامية (السريانية): "أورهي-أورهيوه" Urhoy ولاحاً في العصور الكلاسيكية عرفت بـ (Edessa) أديسا و بالعربية الرها.

فتحت صلحاً على يد عياض بن غنم سنة ١٧ هـ، غزاها الصليبيون؛ فاسترجعها منهم عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ.

زحف القوات الصليبية نحو الرها





حينما دخل غود فري بويون
إلى مدينة الرها، أقطع شقيقه
بودوين دي بولونيا، مدينتي تل
باشر وراوند (أوائل آب
١٠٩٨م).



الرُّهَاءُ:



قطعة تاريخية من الموزاييك (الرُّهَاءُ)

بضم أوله، والمد والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء ابن البندى بن مالك ابن دُعر، وقال الكلبي في كتاب أنساب البلاد بخط حَجَّج: الرهاء بن سبند بن مالك بن دُعر ابن حُجر ابن جزيلة بن لخم، وقال قوم: إنها سميت بالرُّهَاء ابن الروم بن لبطي بن سام بن نوح، عليه السلام، قال بطليموس: مدينة الرها طولها اثنتان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، طالعها سعد الذابح لها شركة في النسر الطائر تحت ثلاث عشرة درجة من السرطان، بيت ملكها مثلها من

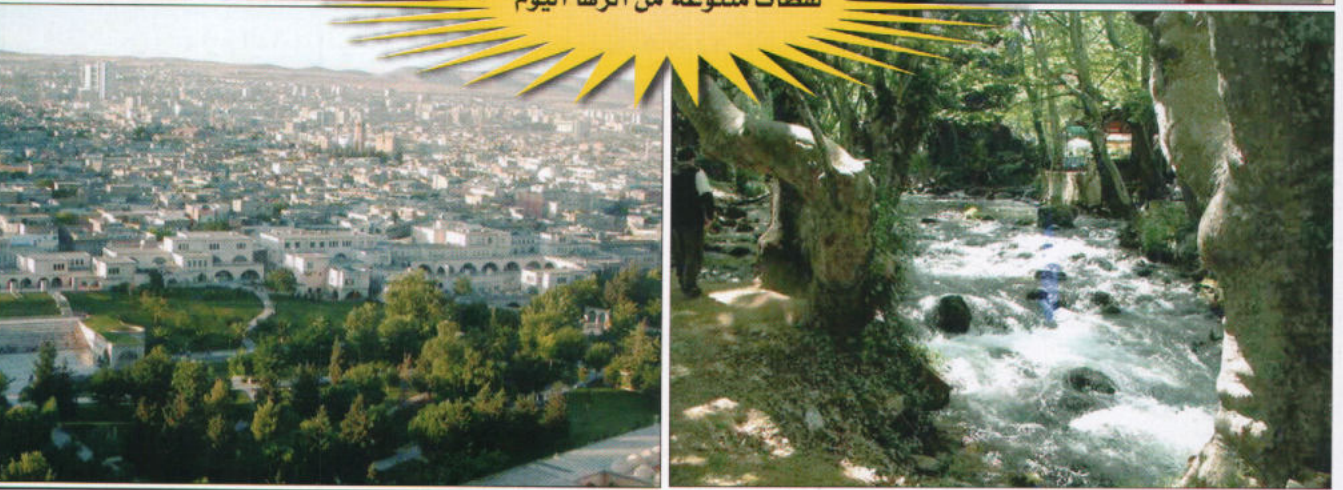
الحمل في الإقليم الرابع، وقال يحيى ابن جرير النصراني: الرها اسمها بالرومية أذاسا، بُنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر، بناها الملك سلوقس كما ذكرنا في أذاسا، والنسبة إليها رُهاوي، وكذلك النسبة إلى رُهاء قبيلة من مَذحج، وقد نسب إليها جماعة من المتقدمين والمتأخرين، • ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١٠٦، ٢.

جامع في مرحلة الترميم بمدينة
الرُّهَاءُ بالجمهورية التركية، أثناء
زيارة المؤلف.





نقطات متنوعة من الرُّها اليوم



تتوافق أورفا (الرُّها) مع أنطاكية (منطلق النصارى الأول) عبر كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية " الكنيسة الأم " .. وهذا التوافق بين أورفا (الرُّها) مع أنطاكية؛ يتركز في أساسيات الفكر الآرامي القديم، لذلك سعى الصليبيون جاهدين، أن تكون الرُّها إمارة مستقلة (كونتية أفرنجية) مع احتفاظها بعمقها الآرامي السرياني لبلاد الشام جنوباً، ولاسيما أنها كانت تشكل مع مدن الجنوب؛ ممالك آرامية لها حضورها الحضاري قبل انتشار النصرانية. فهي تمثل الثغر الآرامي الشامي للانطلاق مع الثقافات الأخرى . للمزيد انظر كتابنا الموسوم (أطلس الأديان) .



الزحف الصليبي نحو بيت المقدس

ثم **عاد غود فري بويون**، إلى أنطاكية من الرُّها، ومضى ريموند دي سنجيل نحو البارة (شرقي العاصي)، واستولى عليها. بعد أن سفك دماء المسلمين فيها، كباراً وصغاراً، من رجال ونساء. وجرى اجتماع للقادة الصليبيين: **بوهيومند وريموند دي سنجيل**، و**غود فري بويون**، و**روبارت كورت هوز**، والكونت دي فلاندر، وأويستاسن كونت دي بولونيا، وتباحثوا بشأن بعض الأمور المستجدة، وانتهى اجتماعهم إلى الاتفاق على إرسال رسائل إلى البابا؛ بغية إعلامه بما وصلت إليه أحوالهم، ودعوته إلى الحضور إليهم في أنطاكية، لقيادة الحملة الصليبية شخصياً، والسير بها إلى بيت المقدس، طالما أن مندوبه أديمار دي مونتيل، قد مات. ويظهر أن البابا أوربان الثاني لم يكن وقتذاك، في وضع يمكنه من ترك أوروبا للانضمام إلى الصليبيين، فلم يجب على الكتاب المرسل إليه منهم، ولم يستجيب لطلبهم، كما كان الحال مع الإمبراطور البيزنطي. ولقد استمر الخلاف على أشده بين بوهيومند وريموند دي سنجيل، بشأن تملك **أنطاكية**. إلا أن الصليبيين توجهوا نحو **معرة النعمان**، ويقول ابن القلانسي، بصد احتلال معرة النعمان:

في المحرم منها زحف الإفرنج (الصليبيون) إلى سور **معرة النعمان** من الناحية الشرقية والشمالية وأسندوا البرج إلى سورها وهو أعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرم، وصعدوا السور وانكشف أهل البلد عنه وانهمزوا بعد أن ترددت إليهم رسل الإفرنج في التماس التقرير والتسليم وإعطاء الأمان على نفوسهم وأموالهم ودخول الشحنة إليهم؛ فمنع من ذلك الخلف بين أهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به وملكوا البلد بعد صلاة المغرب، وقتل فيه خلق كثير من الفريقين وانهمز الناس إلى **دور المعرة** للاحتماء بها، فأمنهم الإفرنج، وغدروا بهم، و**رفعوا الصلبان فوق البلد**، وقطعوا على أهل البلد القطنع ولم يفوا بشيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر إلى **كفر طاب**. ثم قصدوا بعد ذلك ناحية **بيت المقدس** آخر رجب من السنة وأجفل الناس منهم من أماكنهم، ونزلوا أولاً على **الرملة** فملكوها عند إدراك الغلة وانتقلوا إلى **بيت المقدس** فقاتلوا أهله وضيقوا عليهم ونصبوا عليه البرج وأسندوا إلى السور. وانتهى إليهم خروج **الأفضل** من **مصر في العساكر الدثرة لجهادهم والإيقاع بهم** وإنجاد البلد عليهم وحمايته منهم فشدوا في قتاله ولازموا حربه إلى آخر نهار ذلك اليوم، وانصرفوا عنه وواعدهم الزحف إليهم من الغد ونزل الناس عن السور وقت المغرب فعادوا الإفرنج الزحف إليه، وطلعوا البرج وركبوا سور البلد فانهمز الناس عنه وهجموا على البلد فملكوه؛ وانهمز بعض أهله إلى المحراب وقتل خلق كثير و**جمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم** وتسلموا المحراب بالأمان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة وهدموا المشاهد وقبر الخليل **عليه السلام**. ووصل الأفضل في العساكر المصرية وقد فات الأمر فانضاف إليه عساكر الساحل ونزل بظاهر



عسقلان في رابع عشر من شهر رمضان منتظراً لوصول الأسطول في البحر والعرب، فنهض عسكر الإفرنج إليه وهجموا عليه في خلق عظيم **فانهزم العسكر المصري** إلى ناحية **عسقلان** ودخل الأفضل إليها وتمكنت سيوف الإفرنج من المسلمين؛ فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ونهب العسكر وتوجه الأفضل في خواصه إلى مصر وضايقوا عسقلان إلى أن قرروا عليها بعده الإفرنج عشرين ألف دينار تحمل إليهم وشرعوا في جبايتها من أهل البلد، فاتفق حدوث الخلف بين المقدمين فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئاً، وحكي أن الذين قتلوا في هذه الواقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس أ. هـ .

وإذ طالت المدة، وتأخر الزحف على **بيت المقدس**، بسبب هذه الحوادث، بدأ التملل بين الصليبيين، من أولئك الحجاج الذين كان لا يزالون يتشوقون للوصول إلى المدينة المقدسة، هدفهم الأول، وسادت روح التذمر والتأفف بينهم، وقام القسم الذي كان بقي في **معرة النعمان**، **يهدم أسوار هذه المدينة، ومساكنها ومساجدها**، كما يقول كمال الدين، لكي يرغموا البارونات، على متابعة السير إلى القدس (٥ كانون الثاني ١٠٩٩م).

أن الحجاج والجنود الصليبيين، لم يكونوا ليأبهوا لنصائح الأسقف، بيار دي نربون، ولا لقادتهم، بل كانوا يصرخون عالياً بأنهم لم يأتوا إلى الشرق، لافتتاح المدن، إنما أرادوا تكبد المشقات في سبيل خدمة الصليب،



قلعة معرة النعمان

وأن في استطاعتهم، إرغام البارونات بالقوة على مجاراتهم فيما يهدفون إليه). وما كان في وسع الرؤساء الصليبيين، التنكر لهؤلاء الحجاج وإهمال الرأي العام الصليبي، فاستجابوا مكرهين، لمطالبهم، ولرغبات الجنود أيضاً الذين، جاروهم بذلك، وكان أول من أحنى رأسه لهذه الزوبعة، هو الكونت ريموند

دي صنجيل، الذي لم يعد يفكر بأنطاكية ولا بتملكها. فخرج من **معرة النعمان**، حافي القدمين، لابساً المسوح مثل كل حاج، و**حاملاً الصليب بيده** (١٣ كانون الثاني ١٠٩٩م)، يتبعه الآخرون .



وقبل وصول **ريموند دي صنجيل** على رأس جيشه، إلى مدينة **شيزر**، على العاصي، لحق به **تاتكرد (تانكرد)** مع فرسانه الأربعة؛ واستولى الجميع على مدينة **كفر طاب**. ثم وافاهم إليها، **روبارت كورت هوز** مع فرقته، وتابعوا سيرهم إلى **شيزر**. ولم أصبحوا على مقربة منها لم يسع أميرها: عز الدين ابو العساكر سلطان، وهو من بني منقذ من قبيلة (بني كنانة العربية)، إلى المبادرة بتقديم عروضه إليهم، من حيث تأمين المئونة لهم، وإفساح المجال لجيشهم للمرور بأرضه، وإهدائهم مالاً وخيولاً ١٢٠، أملاً منهم بإبعادهم عن إمارته. على أن الصليبيين لم يراعوا جانب هذا الأمير، مع كل ما أصابهم منه من خيرات، فضربوا خيامهم على أبواب مدينته، بهدف الضغط عليه، مما أثار حفيظته وحنقه، فقابلهم بتهديدهم بقطع المئونة عنهم، فخشوا عاقبة الأمر، وأقلعوا من مكانهم، و**برفقتهم دليان عربيان**، يهديانهم إلى الطريق، التي يجب عليهم المضي بها، وخلال سيرهم، توفقوا بالاستيلاء على إحدى القلاع في وادي سروج، واحتجزوا بعض قطعان الماشية، وكميات من الحبوب وافرة.

ثم تابع الصليبيون زحفهم لجهة الغرب، فأتوا **حصن مصياف**، حيث خرج لهم صاحبه، وعقد مع الكونت

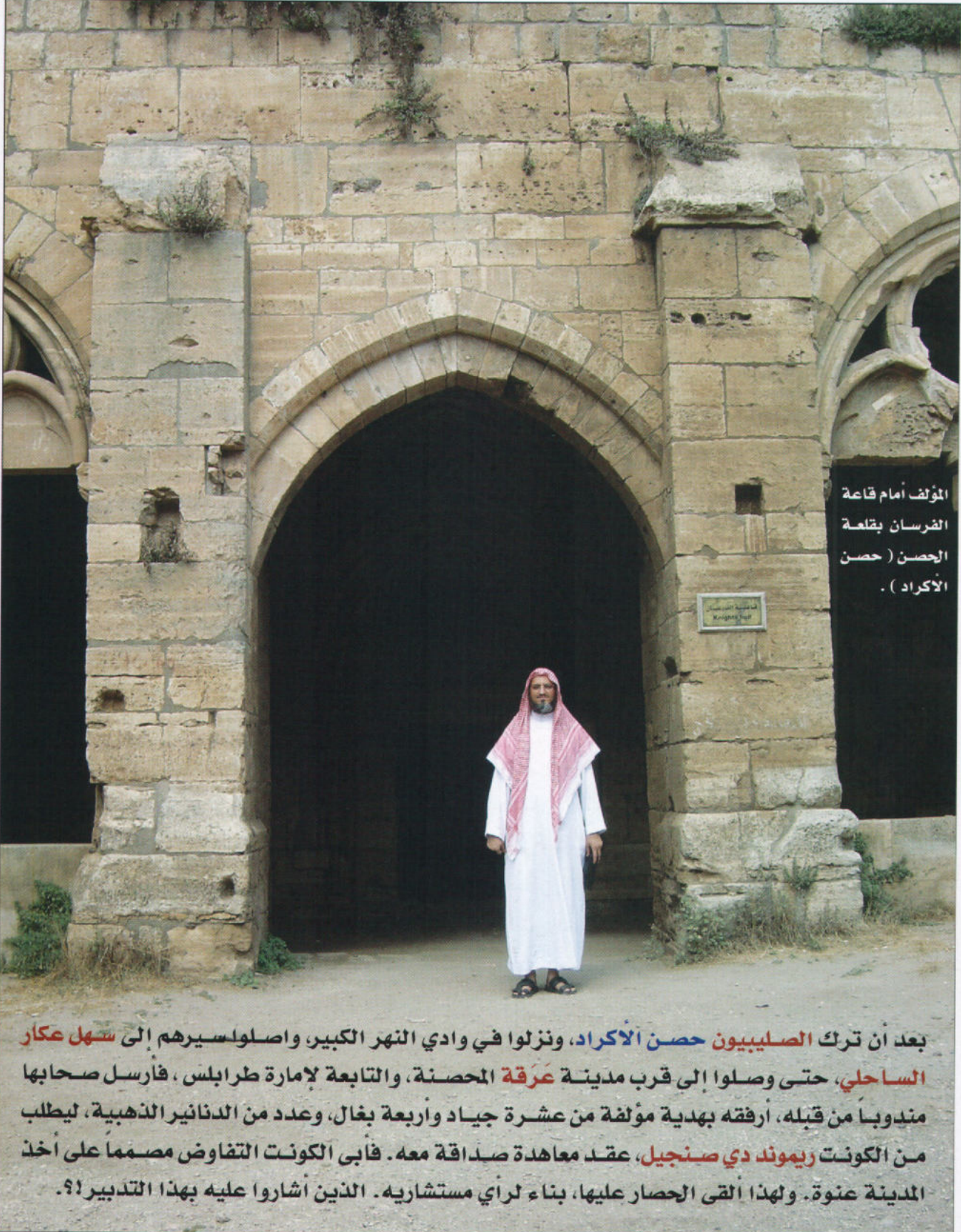
دي تولوز اتفاقاً حياً (٢٢ كانون الثاني ١٠٩٩م) وفي اليوم التالي، توجهوا نحو **حصن رقتية** الذي أخلاه صاحبه قبل وصول الصليبيين إليه، فدخله هؤلاء ومكثوا فيه ثلاثة أيام للراحة، وبعدها اجتازوا بعض الجبال الشاهقة ونزلوا، ما بين **مريامين وحصن الأكراد**، في سهل البقية (boquee)، المروي بنهر العريضة، المتفرع من النهر الكبير



حصن مصياف

(٢٧ كانون الثاني ١٠٩٩م)، فالتجأ أهالي المنطقة من العرب عند ذلك، إلى **حصن الأكراد** (أوقعة الحصن). فهاجمهم الصليبيون فيه. وبعد عدة هجمات قوية تمكنوا من دخوله (٢ شباط ١٠٩٩م)، فأخلاه الأهالي.

وهناك استقبل الصليبيون مبعوثي أمير حمص: جناح الدولة بن ملاعب، الذي قدموا للكونت دي تولوز بعض الهدايا، من الخيول العربية، والذهب، وعقدوا معه معاهدة، تعهد فيها جناح الدولة بمعاملة النصارى، معاملة حسنة^(١).



المؤلف أمام قاعة
الفرسان بقاعة
الحصن (حصن
الأكراد) .

المؤلف أمام قاعة
الفرسان بقاعة
الحصن (حصن
الأكراد) .

بعد أن ترك الصليبيون حصن الأكراد، ونزلوا في وادي النهر الكبير، واصلوا سيرهم إلى سهل عكار الساحلي، حتى وصلوا إلى قرب مدينة عرقة المحصنة، والتابعة لإمارة طرابلس، فأرسل أصحابها مندوباً من قبله، أرفقه بهدية مؤلفة من عشرة جياذ وأربعة بغال، وعدد من الدنانير الذهبية، ليطلب من الكونت ريموند دي صنجيل، عقد معاهدة صداقة معه. فأبى الكونت التفاوض مصمماً على أخذ المدينة عنوة. ولهذا ألقى الحصار عليها، بناءً لرأي مستشاريه. الذين أشاروا عليه بهذا التدبير! 51.



حصار طرابلس

ومن **حصن الأكراد** اتجه **الصليبيون** إلى عرقة شمالي طرابلس وهي تابعة لها، وكانت طرابلس كلها تابعة **لبنى عمار**، ومؤسس هذه الأسرة، هو أبو طالب أمين الدولة الحسن. وكان قاضياً لطرابلس على المذهب الأثنى عشري، وتابعاً للحاكم العبيدي في مصر، فاستقل عنه، واستفاد من الخلاف بين السلاجقة والعبيديين لمصلحته، وبعد موت جلال الملك، خلفه أخوه أبو علي فخر الملك ابن عمار. وهكذا لم ير صاحب طرابلس، غضاضة في التفاهم مع الصليبيين الغزاة، ما داموا يمثلون قوة ثالثة، تضعف القوتين السابقتين، وتحقق له مكاسبه الشخصية !.

قال ابن الأثير: (كان **سنجيل الفرنجي**، لعنه الله، قد لقي قلع أرسلان بن سليمان بن قتلمش، صاحب قونية، وكان سنجيل في مائة ألف مقاتل، وكان قلع أرسلان في عدد قليل، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير، وأسر كثير، وعاد قلع أرسلان بالغنائم، والظفر الذي لم يحسبه. ومضى سنجيل مهزوماً في ثلاثمائة، فوصل إلى الشام، فأرسل فخر الملك بن عمار، صاحب طرابلس، إلى الأمير ياخز، خليفة جناح الدولة على حمص، فأبى الملك دقاق بن تتش، يقول: من الصواب أن يعاجل سنجيل إذ هو في هذه العدة القريبة، فخرج الأمير ياخز بنفسه، وسير دقاق ألفي مقاتل، وأتتهم الأمداد من طرابلس، فاجتمعوا على **باب طرابلس**، وصافوا سنجيل هناك، فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس، ومائة إلى عسكر دمشق، وخمسين إلى عسكر حمص، وبقي هو في خمسين. فأما عسكر حمص فإنهم انكسروا عند المشاهدة، وولوا منهزمين، وتبعهم عسكر دمشق !!).

وأما أهل **طرابلس** فإنهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلما شاهد ذلك سنجيل حمل في المائتين الباقيتين، فكسروا أهل طرابلس، وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل، ونازل سنجيل طرابلس وحصرها. وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها، وكذلك أهل السواد، وأكثرهم نصارى، فقاتل من بها أشد قتال، فقتل من الفرنج ثلاثمائة، ثم إنه هادنهم على مال وخيل، فرحل عنهم إلى مدينة أنطرسوس، وهي من أعمال طرابلس، فحصرها، وفتحها، **وقتل من بها من المسلمين**، ورحل إلى حصن الطوبان، وهو يقارب **رفنية**، ومقدمه يقال له ابن العريض، فقاتلهم، فنصر عليه أهل الحصن، وأسر ابن العريض منه فارساً من أكابر فرسانه، فبذل سنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير، فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك ^(١).

لقد وافق **صاحب طرابلس** على طلب الصليبيين بالدخول إلى مدينته (طرابلس)، وباطلاق سراح ٣٠٠ أسير نصراني. وبعد رفع الحصار عن مدينة عرقة، **دخل الجيش الصليبي مدينة طرابلس**، ومكث فيها ٣ أيام، فعمل الجيش الصليبي أحسن معاملة. ثم تركها حسب الاتفاق مع صاحبها - ابن عمار - الذي حافظ على تعهده ^(٢).



أما وضع القلعة الحاضر، فيعود إلى الترميمات والإصلاحات الجذرية التي قام بها متسلم طرابلس "مصطفى أغا بربر" في بدايات القرن التاسع عشر م .

قلعة طرابلس الأثرية بلبنان



تشرف قلعة طرابلس المعروفة باسم "قلعة صنجيل" على جميع أنحاء المدينة، وقد تعرضت هذه القلعة منذ إنشائها في أيام الصليبيين إلى أعمال توسيع وترميم كثيرة. ومن الممكن اليوم مشاهدة بنية مشتمة الأضلاع تعود إلى العصر العبيدي، كانت في ما مضى مشهداً شيعياً يقوم في وسط جبانة عظيمة كانت تغطي التلة، وقد حوله "ريمون دي صنجيل" مؤسس كونتية طرابلس الصليبية إلى كنيسة على اسم "كنيسة القبر المقدس التي على تلة الحجاج" وهو الاسم الذي كانت تعرف به "تلة أبي سمرا" في تلك الأيام. وفي القلعة أيضاً بعض البنى التي تعود إلى أيام الصليبيين، ومنها أساسات الجبهة الشرقية وبعض أجزاء الكنيسة التي تعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بالإضافة إلى البرج الكبير القائم في وسط القلعة. أما التعديلات التي طرأت على القلعة في أيام المماليك، فقد تناولت بشكل رئيسي جبهتها الشمالية والجنوبية. وهناك أيضاً بعض التعديلات الطفيفة التي تعود إلى العهد العثماني، في بدايات القرن السادس عشر م، والتي تتمثل بالبوابة الرئيسة التي أدخلت على البنية المملوكية.

مؤنص ومصمم الاطلس أمام بوابة قلعة طرابلس



الجيش الصليبية تواصل زحفها نحو بيت المقدس وتغتصب المدن والقرى



أعمدة رومانية مقابل متحف بيروت - لبنان - عدسة المؤلف

وترك الصليبيون ضاحية طرابلس ،
ميممين شطر **بيروت**، يرافقتهم الأدلاء
(١٦ أيار ١٠٩٩ م) فاجتازوا الساحل
الطرابلسي، مروراً بأنفه، فرأس
شكا، الذي تشرف عليه قلعة
المسليحة المحصنة، **فالبترون**، **فجبيل** .
ومن هناك، اتجهوا نحو نهر الكلب،
نهاية حدود إمارة طرابلس.

وفي التاسع عشر من شهر أيار
١٠٩٩ م، مساءً، كان الجيش
الصليبي يربط أمام مدينة **بيروت**،
دون أن يتعرض له أحد بسوء، بالرغم

من أن المنطقة الممتدة من نهر الكلب، إلى بيروت، كانت قد أصبحت تابعة **للعبيديين**، بعد أن تمكنوا من ضم
فلسطين، بما فيها بيت المقدس، إلى ممتلكاتهم، في آب ١٠٩٨ م - ٤٩٢ هـ ، بحيث امتدت حدود الدولة
العبيدية إلى نهر الكلب شمالاً، ومجرى الأردن شرقاً. وما أن وصلت القوات الصليبية إلى **ضواحي مدينة**
بيروت، حتى تقدم أهاليها يعرضون على قادة تلك القوات، تقديم كل ما يحتاجون إليه من مؤن وأقوات،
متهددين لهم بأن يكونوا من أتباعهم، فيما لو حالفهم الحظ باحتلال بيت المقدس. فوافق هؤلاء الآخرون،
على ذلك، وتابعوا سيرهم إلى **صيدا**، ومنها إلى **صور**، حيث عسكروا هناك (٢٣ أيار ١٠٩٩ م) **فأرسوف**، ثم
انعكف من طريق الساحل قبل **يافا**، متخذاً القدس، وجهته نحو الداخل، فاجتاز نهر العوجة، وعسكر قرب
الرملة التي أخلاها أهاليها، عند وصوله إليها . (٢ - ٣ حزيران ١٠٩٩ م) فدخلها وأبقى فيها حامية
صغيرة، بعد أن نصب القادة الصليبيون عليها أسقفاً يدعى : **روبيردي روان** .

ومن ثم تابع الجيش سيره نحو القبية، ومنها أرسلت فرقة كشافه من الفرسان، بقيادة تكرد وبودوان دي
بورج إلى **بيت لحم**، فبلغتها مع الفجر، وعندما رآها مسيحيو البلدة، خرجوا للقائنها، وهم يرتلون الأناشيد
الدينية. ثم رفعوا راية تكرد، وركزوها عالية على كنيسة العذراء.

وفي السابع من حزيران ١٠٩٩ - ٤٩٢ هـ وهو يوم الثلاثاء، كانت الجيوش الصليبية مجتمعة، تعسكر تحت
أسوار مدينة القدس، هدف تلك الجيوش الأسمى^(١) .



مؤلف ومصمم الأطلس عند مدخل قلعة جبيل الصليبية

بعد أن استولى الصليبيون على طرطوس حاصر **سنجيل** مدينة **جبيل** بمساعدة السفن الجنوبية، واستولى على المدينة بهجوم صاعق، وحصل الجنويون على ثلث جبيل لقاء خدماتهم التي قدموها، وفي عام ١١٠٩ م، وبعد الاستيلاء على طرابلس تملكوا المدينة كلها، وعهد بجبيل إلى نبيل جنوي (أوغو أومبرياكو) الذي تولى إدارتها.



بيبلوس الضنيقية (جبيل)



القلعة الصليبية ب**جبيل** اللبنانية

عُرِفَت **جبيل** في العصور القديمة باسم (جبلا) و (جبل) فيما كان يطلق على المنطقة الساحلية التي تقوم فيها اسم (كنعان)، غير أن الإغريق في الألف الأول قبل الميلاد، ومن بعدهم الرومان أطلقوا على الساحل اسم (هينيقيا) كما أطلقوا على المدينة اسم (**بيبلوس**)، وخلال العصر الروماني وتحديداً في أواسط القرن الاول قبل الميلاد، اشتهرت بالآثار التاريخية، أخذت أهميتها تتضاءل حتى بداية القرن الـ١٢ عندما سقطت في أيدي الصليبيين إذ احتلها هؤلاء عام ١١٠٤ م.



احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيها

تحركت باقي جموع الصليبيين نحو بيت المقدس بعد أن مكثوا نحو خمسة عشر شهراً في شمالي بلاد الشام، نجحوا خلالها في احتلال كثير من المدن والقرى، وفي الطريق إلى بيت المقدس كان بعض الحكام المسلمين يدخلون في طاعة الصليبيين، مؤثرين السلامة على المواجهة، ولم يكتفوا بذلك بل نزلوا على شروط الصليبيين بتقديم العون والمساعدة لهم، وتوالى سقوط المدن الساحلية وغيرها - كما أسلفنا في الصفحات السابقة - في أيدي الصليبيين حتى بلغوا أسوار بيت المقدس في (١٥ من رجب ٤٩٢هـ = ٧ من يونيو ١٠٩٩م) وكان "افتخار الدولة" حاكم بيت المقدس من قبل الدولة العبيدية قد اتخذ استعداداً لمواجهة الصليبيين، فسمم آبار المياه وقطع موارد المياه، وطرد جميع من بالمدينة من النصارى لشعوره بخطورة وجودهم أثناء الهجوم الصليبي، وتعاطفهم معهم، وقوى استحکامات المدينة.

كانت قوات الصليبيين التي تحاصر المدينة المقدسة تقدر بأربعين ألفاً، وظلت ما يقرب من نحو خمسة أيام قبل أن تشن هجومها المرتقب على أسوار المدينة الحصينة، وكان الجند في غاية الشوق والحماصة لإسقاط المدينة، فشنوا هجوماً كاسحاً في يوم الإثنين الموافق (٢٠ رجب ٤٩٢هـ = ١٢ من يونيو ١٠٩٩م) انهارت على إثره التحصينات الخارجية لأسوار المدينة الشمالية، لكن ثبات رجال الحامية العبيدية وشجاعتهم أفشلت الهجوم الضاري، وقتلت الحماس المشتعل في نفوس الصليبيين، فتراجعت القوات الصليبية بعد ساعات من القتال.

كان موقف الصليبيين سيئاً، فهم يعانون العطش وقلة المؤن، وكان يمكن للحامية العبيدية أن تشن هجوماً مضاداً على الصليبيين وهم في هذه الحالة من الإنهاك، فتستأصل شأفتهم وتقضي عليهم، لكنها لم تفعل ثقة منها في مناعة أسوارها، وعدم قدرة الصليبيين على الاستمرار وهم في هذه الحالة، ثم قدر الله - تعالى - أن تصل سفن حربية من جنوه الإيطالية إلى يافا لتستولي عليها، وتمد الصليبيين بالمؤن والإمدادات والأسلحة والمواد اللازمة لصناعة آلات وأبراج الحصار، وكان لهذه النجدة أبلغ الأثر في نفوس الصليبيين فقويت عزائمهم وثبتت أركانهم، وطمعوا في الفوز المرتقب.

استطاع النصارى

بواسطة البرج الثاني وتحت رماية مكثفة من المنجنيق والرمح من الصعود إلى أسوار الحصن، وبدأ القتال على أسوار القدس، وسقطت أخيراً الحامية العبيدية، واستسلمت القدس للنصارى، والواقع أن الذي سلم القدس للنصارى هم العبيديون، فهم لم يرسلوا جيشاً لمساعدة المسلمين، ولم يقدموا يد العون لحاميتهم في القدس، وتعد هذه خيانة عظيمة في تاريخهم، بتصرف عن د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، ص ١١٤.

تأمل:

فحق ضائع وحمي مباح

وسيف قاطع ودم صبيب

وكم من مسجد جعلوه ديراً

على محرابه نصب الصليب

أمور لو تأملهن طفل

لطفل في عوارضه المشيب



المستعمرات الصليبية في بلاد المشرق الإسلامي



تألفت الجيوش الأساسية التي أرسلها البابا من الفرنسيين المدربين جيداً والفرسان النورمانيين. وشارك فيها غودفري البولوني، وريموند كونت تولوز، وروبرت الفلاندري، وبوهيموند من تارتو. وانضمت إليهم القوات البيزنطية في القسطنطينية وتمكن الجيش الموحد من الاستيلاء على نيقية عام ٤٩١هـ، ١٠٩٧م. وبعد ذلك، انقسم الجيش وسار الأوروبيون الغربيون نحو القدس، وخاضوا العديد من المعارك الدموية على طول الطريق، وكان أكثرها صعوبة حصار أنطاكية (مدينة تركية الآن)، حيث هلك الكثيرون بسبب الهزيمة التي أحققها بهم الأتراك، ورحل الآخرون. ووصل الأوروبيون القدس في صيف ٤٩٣هـ، ١٠٩٩م، واستولوا على المدينة المقدسة (بيت المقدس) بعد ستة أسابيع من القتال، ثم عاد معظمهم لأوطانهم. وقسم القادة الأراضي التي احتلوها إلى أربع دول سمّوها دول الصليبيين اللاتينية، وتضم مقاطعة إديسا (الرّها) وإمارة أنطاكية، ومقاطعة طرابلس، ومملكة القدس.

اطلس أعمال الصليبية على المشرق الإسلامي



جرائم الصليبيين في بيت المقدس

بعد أن دخل الصليبيون المدينة المقدسة تملكتهم روح البطش والرغبة في سفك دماء العزل الأبرياء، فانطلقوا في شوارع المدينة يذبحون كل من يقابلهم من رجال ونساء وأطفال، ولم تسلم المنازل الآمنة من اعتداءاتهم الوحشية، واستمر ذلك طيلة اليوم الذي دخلوا فيه المدينة.

وفي صباح اليوم التالي استكمل الصليبيون الحاقدون مذابحهم قتلوا المسلمين الذين احتموا داخل المسجد الأقصى، وكان أحد قادة الحملة قد أمنهم على حياتهم، فلم يراعوا عهده معهم، فذبحوهم وكانوا سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارقوا الأوطان وأقاموا في هذا الموضع الشريف.

ويعترف مؤرخو الحملات الصليبية ببشاعة السلوك البربري الذي أقدم عليه الصليبيون، فيذكر مؤرخ صليبي ممن شهد هذه المذابح وهو "ريموند أوف أجيل"، أنه عندما توجه لزيارة ساحة المعبد غداة تلك المذبحة لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء القتلى إلا بصعوبة بالغة، وأن دماء القتلى بلغت ركبتيه. وكتبوا إلى البابا يفتخرون بما فعلوا دون وازع من خلق أو رادع من دين، فما لامهم ولا استنكر فعلتهم!

واختار الصليبيون **غودفري** حاكماً على المدينة المقدسة، وراحوا يتطلعون إلى المزيد من الصليبيين الجدد من أوروبا، وأقاموا بطريركية رومانية، وصبغوا البلد بالصبغة الكاثوليكية. أحمد تمام.

تأهب الصليبيون بعد هذه النجدة؛ لمهاجمة أسوار المدينة بعد أن نجحوا في صناعة أبراج خشبية ومعها آلات دك الأسوار، وكانت **تلك الأبراج تتكون من ثلاثة طوابق: الأول** لفرق تدفع البرج من أسفل على عجلات، و**الثاني** مخصص للفرسان، و**الثالث** لرماة السهام.. وعجل من الإسراع بالهجوم ما وصل إلى الصليبيين من أن الوزير العبيدي الأفضل الجمالي في طريقه من مصر على رأس جيش ضخم لإنقاذ مدينة بيت المقدس.

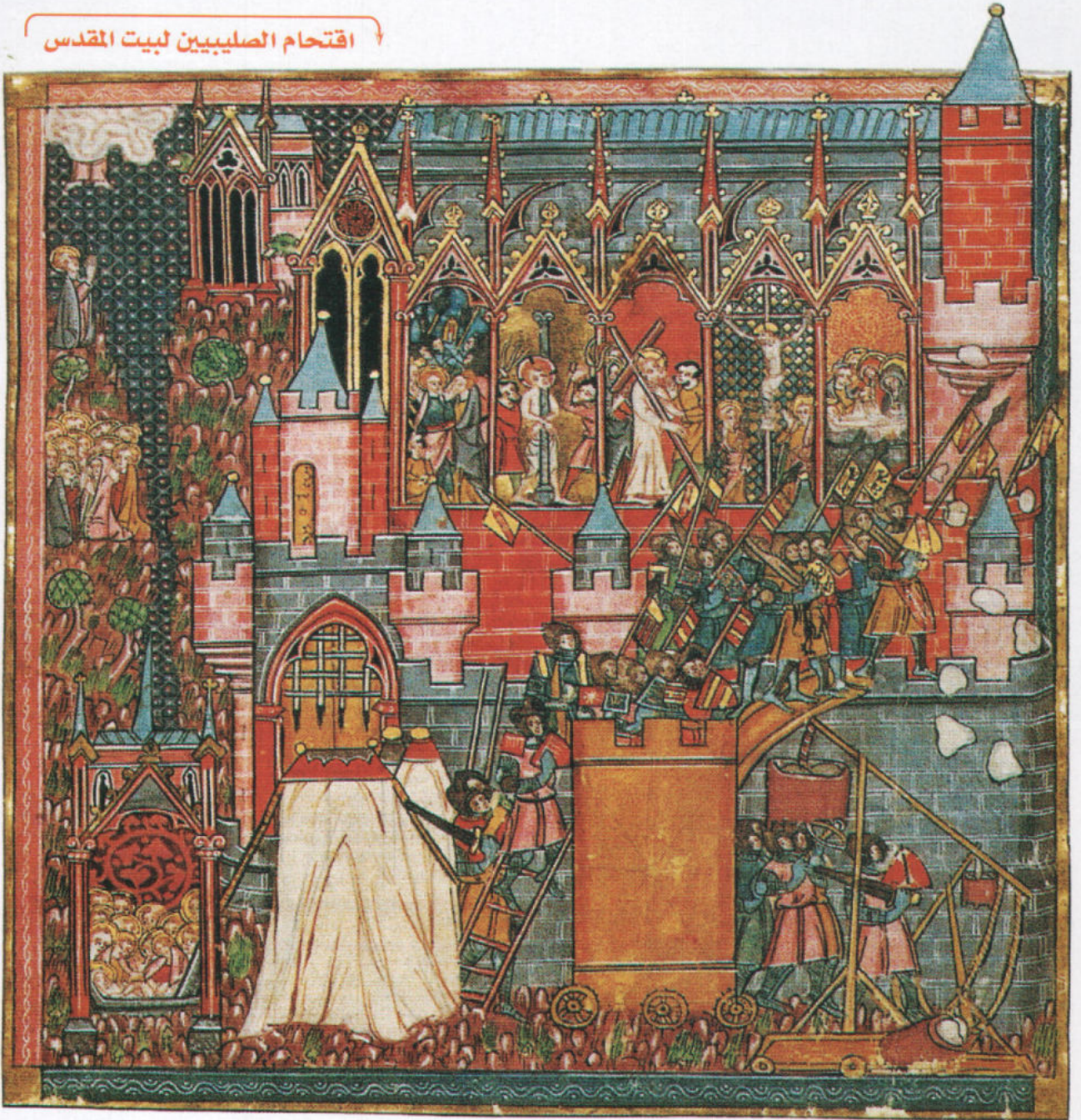
اختار الصليبيون أضعف الأماكن دفاعاً عن المدينة لمهاجمتها بأبراجهم الجديدة، ولم يكن هناك أضعف من الجزء الشرقي المحصور بين جبل صهيون إلى القطاع الشرقي من السور الشمالي وكان منخفضاً سهل ارتقاؤه، وحرك الصليبيون أبراجهم إلى السور الشمالي للمدينة.

وفي مساء الأربعاء الموافق (٢١ من شعبان ٤٩٢ هـ = ١٣ من يوليو ١٠٩٩م) شن الصليبيون هجوماً كاسحاً، ونجح "أفتخار الدولة" في حرق البرج الذي اقترب من السور الواقع عند باب صهيون، ولم يملك الصليبيون إزاء هذا الدفاع المستميت والخسائر التي تكبدوها سوى الانسحاب بعد يوم من القتال الشديد.

لكن هذا الفشل، زاد (**الصليبيين**) إصراراً، وأوقد الحماسة في نفوسهم لاقتحام المدينة، والاستيلاء عليها مهما كان الثمن، فشنوا هجوماً ضارياً فجر يوم الجمعة الموافق (٢٣ من شعبان ٤٩٢ هـ = ١٥ من يوليو ١٠٩٩م)، واستمر القتال متكافئاً حتى تمكن البرج المتبقي لهم من الالتصاق بالسور، وإنزال الجسر المتحرك الذي يصل بين قمة البرج وأعلى السور، فعبر خلاله الجنود واستولوا على جزء من السور الشمالي للمدينة، ونجح عدد كبير من المهاجمين في الاندفاع إلى المدينة، وفرت الحامية العبيدية الأدبار نحو داخل المسجد الشريف حيث توجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، واحتموا بهما، **وبذلك سقطت المدينة في أيدي الصليبيين** ؟!



اقتحام الصليبيين لبيت المقدس



يروى المؤرخ الفرنسي (جوستاف لوبون) هذه القصة عن الكاهن (ريمون دوجلوس) الذي حضر المشهد، ويقول: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان حتى صارت الجثث تعوم على الدماء، وصارت الأيدي والرجل تسبح، وما عاد الجنود يطيقون رائحة البخار الذي يخرج من الجثث !!). ويروي أيضاً في قصة أخرى عن (دوهمن): اقتيد الأسرى الباقون فجمعوا في برج القصر، وأكثرهم من الأطفال والنساء والعجائز والشيخوخ، فأمر الحاكم الصليبي بذبح الأطفال والنساء والعجائز والشيخوخ، وإبقاء الشباب على قيد الحياة، ثم تم أخذهم عبيداً وبيعوا في أنطاكية.



هذه الخريطة؛ خريطة فسيفسائية بيزنطية رائعة تظهر **القدس** والأماكن التاريخية الأخرى. وتوجد هذه الخريطة داخل كنيسة القديس جورج التي تعود للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بالأردن.



خريطة تاريخية تصور حصار الصليبيين لبيت المقدس من أرض فلسطين

تعتبر **الخريطة** التي يأتي السائحون لرؤيتها بمدينة مادبا الأردنية، أقدم خريطة فسيفسائية في العالم، وربما الأهم لأنها أقدم خريطة لأرض فلسطين. وقد اكتسبت هذه الخريطة الفسيفسائية شهرة عالمية، منذ اكتشافها قبل أكثر من قرن. وهي تثير اهتمام طلبة العلم، وأرباب المعرفة، وقاصدي الثقافة، ويعود تاريخ الخريطة إلى عام ٥٥٠م، وترتبط بشكل وثيق بفترة من تاريخ مادبا الأردنية التي يوجد فيها جبل نبو المطل على أرض فلسطين الحبيبة. وتمتد هذه الخريطة على جزء من أرضية كنيسة القديس جورج، ولقد وقفت عليها وشاهدتها، والتقطت لها صورة في هذا الشأن، ويقدر حجمها بنحو ٧٣، ١٥ في ٦٢، ٥م عرضاً وطولاً، وتشكل مدينة القدس مركزاً لها. وتظهر فيها مواقع في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر، ويمكن تتبع مواقع



مؤلف ومصمم الأطلس بجانب الخريطة الفسيفسائية

صور وصيدا وبعليك، إلى الجليل الفلسطيني، ووادي الأردن، والشاطئ الشرقي للبحر الميت وغور الأردن، ونابلس، وبيت لحم، ومواقع على البحر الأبيض المتوسط، وأخرى في دلتا النيل مثل دمنهور، وكذلك سيناء والإسكندرية وغيرها.



موقع بيت المقدس على أرض فلسطين



بيت المقدس، هي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبيلة الشرايط ومهبط الوحي. بناها داود وفرغ منها سليمان، عليهما السلام، وعن أبي بن كعب: أن الله تعالى أوحى إلى داود: ابن لي بيتاً. فقال: يا رب أين؟ قال: حيث ترى الملك شاهراً سيفه! فرأى داود ملكاً على الصخرة بيده سيف، فبنى هناك، ولما فرغ سليمان من بناها أوحى الله تعالى إليه: سلني أعطك! فقال: يا رب أسألك أن تغفر لي ذنبي! فقال: لك ذلك! قال: وأسألك أن تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه، وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولد! فقال: لك ذلك! قال: وأسألك لمن جاءه فقيراً أن تغنيه! قال: ولك ذلك! قال: وأسألك إن جاءه سقيماً أن تشفيه! قال: ولك ذلك، وعن ابن عباس: البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء، وما فيه موضع شبر إلا وصلني فيه نبي أو قام فيه ملك، واتخذ سليمان فيها أشياء عجيبة: منها قبة، وهي قبة كانت فيها سلسلة معلقة ينالها المحق ولا ينالها المبطل حتى اضمحلت بالحيلة المعروفة، ومنها أنه بنى فيها بيتاً وأحكمه وصقله، فإذا دخله الورع والفاجر كان خيال الورع في الحائط أبيض، وخيال الفاجر أسود. ومنها أنه نصب في زاوية عصا ابنوس، من زعم صادقاً أنه من أولاد الأنبياء ومسها لم يضره، وإن لم يكن من أولاد الأنبياء إذا مسها احترقت يده، ثم ضرب الدهر ضربانه واستولت عليها الجبابرة وخربوها، فاجتاز بها عزيز، عليه السلام، فأراها خاوية على عروشها، فقال: أتى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وقد عمرها ملك من ملوك الفرس اسمه كوشك، فصارت أعمر مما كانت وأكثر أهلاً، والتي عليها الآن أرضها وضياعها جبال شاهقة، وليس بقربها أرض وطئة، وزرعها على أطراف الجبال بالفؤوس لأن الدواب لا عمل لها هناك. وأما نفس المدينة فهي فضاء في وسط ذلك، وأرضها كلها حجر، وفيها عمارات كثيرة حسنة، وشرب أهلها من ماء المطر. ليس فيها دار إلا وفيها صهريج. مياهها تجتمع من الدروب، ودروبها حجرية ليست كثيرة الدنس، لكن مياهها رديئة، وفيها ثلاث برك: بركة بني إسرائيل، وبركة سليمان، وبركة عياض. قال محمد بن أحمد البشاري المقدسي، وله كتاب في أخبار بلدان الإسلام: إنها متوسطة الحر والبرد، وقلمها يقع بها ثلج، ولا ترى أحسن من بنائها ولا أنظف ولا أنزه من مساجدها! قد جمع الله فيها فواكه الغور والسهل والجبل والأشياء المتضادة: كالآلج واللوز والرطب والجوز والتين والموز، إلا أن بها عيوباً منها ما ذكر في التوراة: أنها طلست ذهب مملوء عقارب، ثم لا يرى أقدن من حماماتها ولا أثقل مونة منها! وهي مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى، وفيهم جفاة على الرحبة والنفادق والضرائب تقال على ما يباع فيها، وليس لظلم ناصر وليس بها أمكن من الماء والأذان. بها **المسجد الأقصى** الذي شرفه الله تعالى وعظمه وقال: إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. وقال، صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا. وهو في طرف الشرق من المدينة. أساسه من عمل داود، عليه السلام. طول كل حجر عشرة أذرع، وفي قبلته حجر أبيض عليه مكتوب: محمد رسول الله، خلقه لم يكتبه أحد. وصحن المسجد طويل عريض طوله أكثر من عرضه، وهو في غاية الحسن والإحكام، مبني على أعمدة الرخام الملونة، والفسيفساء الذي ليس في شيء من البلاد أحسن منه. وفي صحن المسجد مصطبة كبيرة في ارتفاع خمسة أذرع، يصعد إليه من عدة مواضع بالدرج، وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة مثمثة على أعمدة رخام مستقيمة برصاص، ممتعة من داخل وخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون. وفي وسطها الصخرة التي تزار، وعلى طرفها اثر قدم النبي، عليه السلام، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج يصلى فيها، ولهذه القبة أربعة أبواب، وفي شرفها خارج القبة أخرى على أعمدة حسنة يقولون: إنها قبة السلسلة. وقبة المعراج أيضاً على المصطبة، وكذلك قبة النبي، عليه السلام. كل ذلك على أعمدة مطبقة أعلاها بالبرصاص، وذكر أن طول قبة الصخرة كان اثني عشر ميلاً في السماء، وكان على رأسها ياقوتة حمراء كان في ضوئها تنزل نساء أهل بقاء، وبها مربط البراق الذي ركب النبي، عليه السلام، تحت ركن المسجد. القريظي: آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١، ص ٦٣.

كيف سقطت الوردة الندية (القدس) في كف العفريت الإفرنجي (الصليبيين) ؟

تقدم معنا سرد المرحلة الأولى لتثبيت الصليبيين أقدامهم في السواحل الشمالية الشرقية من بلاد الشام وما والاها من بلاد الروم، وكيف أنهم استولوا في تلك المرحلة على **أنطاكية والرُّها والمعرة وغيرهم**، ثم توجهوا في جحافلهم الجرارة صوب **بيت المقدس**.

- محاولات يائسة لإيقاف الخطر:

يقول ابن تغري: لما كان يوم الجمعة ثالث عشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة سار الفرنجة من أنطاكية ومقدمهم (أميرهم) كندهري في ألف ألف: منهم خمسمائة ألف مقاتل فارس، والباقون رجاله وفَعلة وأرباب آلات من مجانيق وغيرها، وجعلوا طريقهم على الساحل. ويبدو أن بعض **عساكر السلجوقيين** كان قد اعترض طريقهم بعد احتلال المعرة، لكنه لم يُغن شيئاً، فانهزم واستشهد ممن معه ألوف، **مما دفع صاحب حمص إلى مصالحة الفرنجة** والخضوع لهم قبل أن يتوجهوا إلى بيت المقدس.

- الوضع السياسي للقدس قبل الاحتلال:

كانت بلدة **القدس** تتداولها أيدي السلاجقة تارة والعبيديين تارة أخرى. وقبل وصول الفرنجة إليها بأربع سنوات كان أميرها أرتق بن أكسك التركماني، وهو من عمال محمد ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي. ولما توفي أرتق، ترك القدس لولديه **أيلغازي وسقمان**، فحكما معاً القدس وسائر فلسطين إلى أن جاء الأفضل أمير الجيوش العبيدية من مصر إلى القدس، فحاصرها ونصب عليها المنجنيق وقتل أهلها أربعين يوماً... وتواطأ بعض سكان بيت المقدس مع الأفضل بعد أن أمّنهم، ففتحوا له أحد أبواب سور القدس عام (٤٧٩هـ) فدخل منه، وخرج سقمان وأخوه أيلغازي من باب آخر. وأظهر المقدسيون الطاعة لأمير الجيوش العبيدية الأفضل بن بدر الجمالي، ووئى عليهم رجلاً من قبله يُلقب بـ**افتخار الدولة**، يتبع الحاكم العبيدي المستعلي حاكم مصر.

- الصليبيون يحاصرون مدينة القدس:

وصلت جحافل الصليبيين إلى مشارف **بيت المقدس** تاركين عكاً وراء ظهورهم بعد أن عجزوا عنها، فحاصروها وضيقوا عليها الخناق أكثر من أربعين يوماً متوالية. حتى إذا ظنوا أن المقاومة انهارت، نصبوا برجين على السور بقصد الوصول إلى مواقع المدافعين عن البلدة أعلى السور، ولكن أهل بيت المقدس -الذين كانوا قد طلبوا النجدة من الحاكم العبيدي في مصر- استطاعوا أن يلقوا النار على البرج الذي كان قبالة باب صهيون جنوبي القدس وقتلوا من كان فيه إلا أنهم فوجئوا -في غمرة انشغالهم بإحراق هذا البرج- أن البرج الآخر الذي كان قبالة باب العمود وباب الأسباط استطاع المهاجمون فيه النزول على السور بأعداد كبيرة، مما أدخل الرعب في قلوب المدافعين فانشمروا هاربين. وجاء المستغيث يصيح أن المدينة قد ملكت من الجانب الشمالي. يقول **صاحب النجوم الزاهرة**: وأما البرج الآخر فزحف به **الفرنج** حتى الصقوه بالسور وحكموا به على



وكشفوا من كان عليه من المسلمين، ثم رموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد، فانهزم المسلمون، فنزلوا إلى البلد وهرب الناس إلى **الصخرة والأقصى** ... وكان دخول الصليبيين إلى بيت المقدس ضحوة نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان.

- مذابح يندى لها الجبين في القدس :

وكان سقوط القدس ودخول الصليبيين لها في ذلك اليوم مرعباً وفضيعاً في ذاته داخل البلدة المقدسة، وفي صداه ودويه في جميع بلاد المسلمين!!!. إذ لم يدخلوها دخول العابد الخاشع المعظم لحرمتها، ولا دخول الفاتح النبيل الذي لم تسكره نشوة الظفر، ولم يدخلوها دخول الملوك الذين إن قتلوا قرناءهم



مرتسم أوروبي قديم آخر، لحاصرة الصليبيين لبيت المقدس

من القادة تجاوزوا عن السوق العامة واستبقوهم، وإن تلذذوا بمنظر إذلال المقاتلين وقهرهم رفقاً بمنظر النساء والأطفال والشيوخ وعجزهم... يقول الأستاذ عارف باشا العارف، في كتابه تاريخ القدس: وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم بقي فيها بالموت، فقتلوا سبعين ألفاً، ولم يجد المسلمون توسلهم ولا التجاؤهم إلى المسجد الأقصى، ولم يختلف اثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا من المسلمين في استنطاق المنكرات التي اقترفتها الصليبيون، تلك المنكرات التي أقل ما قيل فيها: إنه يندى لها جبين الدهر، وإنها مناقضة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام الذي زعموا أنهم إنما جاؤوا لنصرته... وأرسل الصليبيون بعد انتهائهم من هذه المجزرة البشرية إلى **البابا** رسالة أخبروه فيها بما جرى قائلين له: إن القدس فتحت على أيديهم، وإنهم قتلوا عدداً لا يحصى من المسلمين، وإن خيولهم في إيوان سليمان كانت تخوض في بحر من دماء المسلمين حتى ركبها...

عبد الله نجيب سالم، المجد النبيل للقدس الشريف، ج 1، ص 79.



غصة المسلمين بسقوط القدس:

ثم أخذ الصليبيون يديرون المدينة كما يشاؤون، فاستولوا على معظم المباني والممتلكات التي كانت فيها... ولقد حولوا **قبة الصخرة إلى كنيسة**، واستعملوا المسجد الأقصى (وبهوه الواسع) لمصالحهم، فأنقصوا من حجمه كثيراً، وقسموه إلى أقسام، فاتخذوا قسماً منه كنيسة، وقسماً آخر مسكناً لفرسان الهيكل، والباقي استعملوه مستودعاً لذخائرهم، واتخذوا السرايب التي تحت المسجد الحالي اسطبلًا لحيواناتهم.

تثبيت الصليبيين أقدامهم في القدس: ولما تمت هذه الحادثة هزت أرجاء العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وكان أول الصارخين **دمشق** المجاورة التي صعقت لما حدث، ولكنها كانت أضعف من أن تغيث أو تتجد فاهتزت خوفاً وقلقاً. **يقول ابن كثير:** وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى **العراق** مستغيثين على الفرنج إلى **الخليفة والسلطان**، وخرج المستنفرون من دمشق مع قاضيه زين الدين أبي سعد الهروي. والكلام هنا لابن تغري مع ابن كثير. فوصلوا بغداد وحضروا في الديوان وقطعوا شعورهم وبكوا، وقام القاضي في الديوان وأورد كلاماً أبكى الحاضرين، وتناقلت منابر **بغداد** كلامه وأخباره، فلما سمع الناس **ببغداد** هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد **ليحرضوا الملوك على الجهاد**، وندب من الديوان من يمضي إلى العسكر السلطاني ويوفهم المصيبة، وخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يُعْنِ ذلك، ووقع التقاعد لأمر يريده الله، فإننا لله وإنا إليه راجعون. هذه صورة السقوط المريع للدرة النفيسة والوردة الندية والعذراء البكر بأيدي الفجرة الصليبيين الذي لا يعرفون خلقاً ولا ديناً.

صرخة في واد. لأبي المظفر محمد الأبيوردي بعد احتلال القدس

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرصة للمراجع
فأبها بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تمام العين ملى جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم
تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض ففعل المسالم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذ الحرب شبت نازها بالصوارم
أتهوية في ظل أمن وغبطة ... وعيش كنوار الخميلة ناعم
وإخوانكم بالشام يضحى مقبلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
وكم من دماء قد أبيضت ومن دمی ... تواری حیاء حسنھا بالمعاصم
بھیث السیوف البیض محمرة الطبا ... وسمر العوالی دامعات اللهازم
وتلك حروب من يغيب عن غمارها ... لیسلم یقرع بعدها سن نادم
یکاد لهن المستجير بطیبة ... ینادی بأعلى الصوت یا آل هاشم
ویجتنبون النار خوفاً من الردی ... ولا یحسبون العار ضربة لازم
فلیتهمو إذ لم یذودوا حمیة ... عن الدین ضنوا غیرة بالمحارم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبری ... فلا عطسوا إلا بأجدع راغم
نراقب فینا غارة عریبة ... تطیل علیھا الروم عض الأباهم
وبین اختلاس الطعن والضرب وقفة ... تظل لها الولدان شیب القوادم
سللن بأيدي المشرکین قواضبا ... ستعمد منهم فی الكلى والجمام
أرى أمتی لا یشرعون إلى العدی ... رماحهم والدین واهی الدعائم
أترضى صناید الأعراب بالأذى ... ویغضی علی ذل کماة الاعاجم
وان زهدوا فی الأجر إذ حمس الوغا ... فهلا أتوه رغبة فی الفنائم
دعوناکم والحرب ترنوا ملحة ... إلینا بالحاظ التسور القشاعم
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... رمینا إلى أعدائنا بالجرائم

ابن الأثیر. التامل فی التاريخ، ص ۱۸۹ .

مرثية إسماعيل المغربي، وهما عبارة عن بيتين لنفسه
وكتبهما على حائط كنيسة صهيون بالقدس بعدما خربت!

هي الديار فققت في ربيعها الخالي

لا يوحشك فهو العاطل الخالي

واستسقه القطر والشم تربة سحبت

أذيالها في تراها تربة الخال

م . بقية الطلب في تاريخ حلب



جامع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ المجاور لكنيسة القيامة في بيت المقدس

شهادة مؤرخ فرنسي: ينقل الأستاذ / رهيقي التميمي في كتابه (الحروب الصليبية) عن المؤرخ الفرنسي (فلك برنتانو) وصف سقوط مدينة القدس بأيدي الغزاة الصليبيين من كتابه المسمى كذلك (الحروب الصليبية) فيقول: حين سقطت المدينة أخذ المسلمون يفرّون من الشوارع الضيقة، ولجأت طائفة كبيرة منهم إلى هيكل سليمان (يقصد المسجد الأقصى) وهو المكان الذي اتفقوا مع (طنكرو) أحد قواد الحملة أن يلجأوا إليه فوعدهم للدفاع عن أنفسهم، وكان سلمهم راية ليركزوها هناك دلالة على حمايته لهم، وغص المكان بالوف اللاجئين حتى ضاق بهم، فصعد فريق منهم على السطح.

و حين احتل **الصليبيون** المدينة انقضوا على **المسلمين**، وأخذوا يذبحونهم ذبح النعاج دون أن ينظروا إلى راية طنكرو، وإلى ما كانت تحملها تلك الراية من الوعود، فسالت الدماء في المعبد، وملأته حتى بلغت ما يوازي ارتفاع اليد. وقد دُبح أيضاً المسلمون اللاجئون إلى السطح ثم رُموا إلى أسفل البناء فكانت تتفلق جماجمهم وتتكسر عظامهم !!! **ولجأ المسلمون إلى جامع عمر** رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهم بحالة جزع وفزع لا مزيد عليهما إزاء الدماء التي ملأت المسجد وارتفعت حتى ركبتي الفارس الصليبي كما أكده كثير من الصليبيين. وبغض النظر عن استثناءات نادرة فإن المدينة نظفت من سكانها المسلمين رجالها ونساءها وأطفالها، وكانت الشوارع تعج بجماجم الموتى وأذرعهم وأرجلهم المقطعة، وكان **الصليبيون** يتعمّنون في تعذيب وإماتة هؤلاء المساكين. وبعد سقوط القدس قلع غود فري بويون عشرين فارساً مسلماً مخالفاً بذلك سنة الفروسية. وشهادة مؤرخ صليبي: ويقول المؤرخ الصليبي، ريموند داكيلر: لقد عذب الكفرة، وشويت أجسادهم على نار حامية، وخطر على بال الصليبيين احتمال ابتلاع المسلمين لدراهم ذهبية، فأخذوا يبقرون بطونهم ليخرجوا تلك الدراهم منها، ثم رأوا أن بقر بطن الواحد تلو الآخر عملية طويلة تتنافى مع شره الصليبيين وغرامهم في التعذيب، فأخذوا يجعلون من الأسرى أكواماً مكدسة ثم يحرقونها، وينتظرون انتهاء عمل النار، ليبدأوا بالتحري عن النقود الذهبية الذائبة بين الجثث المحترقة. المنج المنيف للقدس الشريف - (ج ١ / ص ٨٢)

بيت المقدس بعد سقوطه في أيدي الصليبيين

أخذت **البابوية** على عاتقها ومنذ غزو **بيت المقدس** بإرسال **إمدادات صليبية** إلى **فلسطين** لتحقيق احتلالها (انظر **الحملة الثانية**)، وتمثلت الإمدادات الأولى من البيزنطية ثم اللومباردين الذين قدموا من القسطنطينية إلى آسيا عام ١١٠١م، وسلك الصليبيون طريقاً طويلاً على طول شمالي آسيا الصغرى، وأحكم حولهم **الأتراك** الحصار وأبادوهم كلية ما بين أنوة وأماسية في تموز/ يوليو ١١٠١م.

وأعقب ذلك إرسال جيشي إمداد صليبي؛ يقود **أحدهما**: **كيوم دي نيفير**، و**الآخر**: **كيوم دي بواتيه** مع ثلث الرابع دوق بافاريا، والذين سلكا طريق الحملة الصليبية الأولى ولكنها لم يفتتا من البوار بالقرب من أريكلي في كابادوكيا، وفقد فيها حوالي ٢٠٠ ألف مقاتل صليبي، وحدث عجز لديهم في سورية، ولم يصل هذا الجيش إلى الجهة المعينة له. لذلك لم يعد أمام **غود فري بويون** إلا إثبات جدارته وقدرته القيادية رغم إمكانته البسيطة، ونجح خلال فترة حكمه للقدس (١٠٩٩ - ١١٠٠م) في توسيع رقعة الغزو الصليبي في محيط القدس إلى السامرة والجليل، ومنح حكم الجليل (**إمارة طبرية**) إلى أمير إيطالي نور ماندي هو (**تاتكريد**) الذي نجح في إجلاء المسلمين من منطقتهم واحتلال **حيفا** في أغسطس/ آب ١١٠٠م. فهو بذلك أراد أن يؤكد تغلبه على رغبة البابا وكنيسته حينما جعل **بيت المقدس** مملكة، فما أن تولى **غود فري بويون** حكم بيت المقدس حتى أعطى بذلك لفرسانه حجة في أن يصروا على أن يظل **حكمها ملكياً**، كراهية في البطريرك الذي كان يتولى بيت المقدس من قبل الدولة البيزنطية (الأرثوذكسية)، ووقوفاً في وجه أطماعه ولقب **غود فري بويون**؛ **بحامي القبر المقدس**. وبعد وفاة **غود فري بويون** سعى عدد من الأمراء إلى تولية أخيه (**بلدوين**) أمير الرها الذي كان قد عين أميراً لها سنة ١٠٩٨م، فما أن جاءت الرسالة للحضور إلى بيت المقدس سبتمبر ١١٠٠م حتى حضر إليها في نوفمبر سنة ١١٠٠م. وتوج ملكاً على بيت المقدس في ديسمبر ١١٠٠م.

وقد كان **بلدوين** من أقوى ملوك الصليبيين الذين حكموا بيت المقدس بالنار والحديد، وقد استطاع أن يستولي على الشواطئ الفلسطينية التي تواجه مملكته، فنجح في الاستيلاء على **أرسوف** و**قيسارية** سنة ١١٠١م، ثم **حيفا** و**يافا**، واتجه نظره إلى أهم الثغور والموانئ على البحر المتوسط وهي: **عسقلان** و**صور** و**عكا** و**صيدا** و**بيروت**. وقد استولى على **عكا** في سنة ١١٠٤م - ٤٩٧هـ، وسريعاً ما استولى على سائر هذه الثغور بسهولة ما عدا **عسقلان** التي أضنته هي **صور**.

الحملة الثانية

الحملة البيزنطية

١٠٩٩م - ١١٠٠م، بقيادة دمبيروأسقف مبيرا، وعلى أثرها تم انتخاب دمبير بطريركاً على القدس في كانون الأول ١٠٩٩م.

الحملة اللومباردية

١١٠٠م - ١١٠١م، بقيادة أنسيلم دي بوي وأسقف ميلان، وغيبير دي بارم وعلى أثرها، استولى الصليبيون على أنقرة في ١١٠١م، لكنهم تكبوا في أماسيا في آب ١١٠١م.

الحملة النيزنية

١١٠١م، بقيادة غليوم الثاني كيوم دي نيفير؛ لكن الصليبيين هزموا في هرقله في أيلول سنة ١١٠١م.

الحملة الأكيثانية - البافارية

١١٠١م، بقيادة دوق أكيثانيا، وولف الرابع البافاري، لكنها لم تحقق الهدف المرجومنه، رغم حاجة الصليبيين خلال هذه الفترة الحرجة للإمدادات الوجستية.



سنوات الاحتلال الصليبي على بلاد الشام

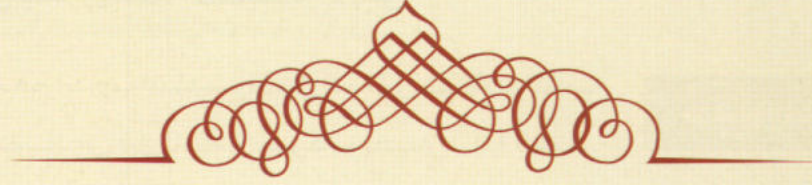


تعاقت على مملكة **بيت المقدس** في الفترة التي خضع فيها **للصليبيين** أكثر من عشرة ملوك، غير أن أشهرهم وأكثرهم عملاً وتثبيتاً للصليبيين في بيت المقدس كان بلا شك **بلدوين الأول** شقيق غودفري بويون ثم بلدوين الثاني. وقد اتسعت مملكة بيت المقدس جغرافياً لتشمل **إقليم ما وراء الأردن شرقاً**، وبيروت وصيدا وصور وسكان دليون وحيفا وعكا وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان - من الشمال إلى الجنوب - غرباً وهونين وتبنين شمالاً وحبرون وغزة والداروم جنوباً. بل امتدت في بعض الأحيان لتشمل دمشق وبصرى وعمّان من جهة الشرق وشيدت **قلاع** على الطرف الجنوبي لهذه المملكة. أما من الناحية السياسية فكان ملك بيت المقدس أبرز ملوك الصليبيين في الشرق الإسلامي، بل كان في أغلب الأحيان هو السيد لكل الأمراء الصليبيين.

أهم مصادر ومراجع الباب الثالث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - د. السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، أنست باركر، نقله إلى العربية دار النهضة العربية، بيروت، لبنان .
- ٣ - ١ . سعيد أحمد برجواوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .
- ٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - د . علي بن محمد الصّلابي، دولة السلاجقة و بروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، نسخة رقمية .
- ٦ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعت متعددة .
- ٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
- ٩ - ١ . بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م.
- ١٠ - الشيخ / محمود شاکر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية .
- ١١ - سيد علي الحريري، " الحروب الصليبية . أسبابها، حملاتها، نتائجها "، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو، دار التضامن دمشق ط١ . ١٩٨٨ .
- ١٢ - د. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٦ م.
- ١٣ - يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، دار المعارف ١٩٨١ م.
- ١٤ - ١ . أحمد تمام إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .
- ١٥ - ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦ م.
- ١٦ - محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البداري الأصفهاني دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ١٧ - موسوعة ويكيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ١٩ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩ م.
- ٢٠ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ٢١ - د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري - الكويت.
- ٢٢ - رنيه كروسه؛ الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه أ . أحمد ابيش .
- ٢٣ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
- ٢٤ - د . سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، ط . الرابعة.
- ٢٥ - انتوني بروج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية . أ . أحمد غسان سبانو، و أ . نبيل الجيرودي .
- ٢٦ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو ، الإسكندرية ، ١٩٨١ م .
- ٢٧ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- ٢٨ - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، نسخة رقمية .
- ٢٩ - عبد الله نجيب سالم، المجد المنيف للقدس الشريف، (تاريخ مدينة القدس وأهم معالمها التاريخية والحضارية)، وزارة الأوقاف . إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية .
- ٣٠ - ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب .
- ٣١ - ابن القلانسي، تاريخ أبي يعلى، الموسوعة الشاملة الإلكترونية .
- ٣٢ - د . فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون، بيروت، لبنان .
- ٣٣ - فولفغانغ مؤلر - فينر ، القلاع (أيام الحروب الصليبية) ، ترجمة محمد وليد الجلاذ، مراجعة سعيد طيّان .
- ٣٤ - د . محمد أبو الفرج العث، النقود العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث - الدوحة - قطر .
- ٣٥ - شار بهنام باكوز حنوننا، تاريخ الكنيسة السريانية، نشر وتقديم الخور اسقف بهنام هندو، في ٢٩ اذار ٢٠٠٦ مشيفان، أمريكا .





بِقِظَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَجِيءَ الْحَمْلَةُ الصَّلِيبِيَّةُ الثَّانِيَةُ

☆ استرداد الرُّها ☆ صمود دمشق في وجه الصليبيين

☆ معركة حطين واسترجاع بيت المقدس

☆ حصار عكا





يقظة العالم الإسلامي بعد الحملة الصليبية الأولى

من تاريخ الحشاشين الباطنيين

هم من غلاة الإسماعيلية ويطلق عليهم النزارية ومؤسس دولتهم الحسن بن الصباح، وتذكر كتب التاريخ: أن فخر الدين الرازي كان يعلم الناس في حلقاته في المسجد ما يراه حقاً، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة، وفي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرت، وبدأت تتشر الإزهاب واغتيال قادة المسلمين، فاغتالوا، شرف الدولة مودود، ونظام الملك، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، **وكل ذلك إرضاءً للصليبيين**، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية، وكان أحد هؤلاء الحشاشين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقد أو يقاتله، وسئل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله، ثم خرج الشيخ إلى داره، وفي ناحية من الطريق انفراد الحشاشين بالشيخ - وكان الحشاشين ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً، ثم جلس على صدره، وسل خنجره وقال: عدني ألا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له: يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً، لأن لهم حججاً ثقيلة؛ وأخرى حادة 15. بتصرف عن د. محمد حامد الأميري، أطراف القضية الجزائرية.

تحت ضغط العلماء وجهدهم الدؤوب لتنشيط وإشعال الحماس في قلوب الشعب والحكام، بدأ أول تحرك مضاد من قبل المسلمين بحركة جهادية بقيادة العلماء، واستجاب لهم حاكم **الموصل** فقط بين جميع البلاد الإسلامية، وكان يحكم الموصل رجل تركي مسلم اسمه (**مودود**) دعا هذا الرجل للجهاد؛ فاستجاب له خلق كثير، وبدأ الناس يتوافدون إليه، ثم ما لبث أن قاد جيشه هذا نحو (**الرُّها**) واستطاع أن يفتحها ويقتل العدو المغتصب ويأسر بعضهم، ومن الأسرى أخذ بعض الأرمين الذين تعاونوا معهم، وبدأ بعض الأمل يعود للمسلمين بهذا الفتح.

في عام 507 هـ 1113 م، توافدت جموع من المسلمين الذين بعثتهم بوادر الأمل إلى (مودود) فشكل منهم جيشاً وتحرك نحو **القدس**، وشعر النصارى بخطر الجيش الزاحف نحوهم، ولم يكن لدى مودود إلا جيش بسيط متناثر الأطراف، في مواجهة قوة عظيمة من النصارى كانت قد تجمعت بعتاد وأعداد ضخمة، ثم اشتبك الطرفان في معركة هائلة لم يستطع أحد الطرفين أن يحسمها لصالحه، ورأى مودود أن يعيد ترتيب صفوفه فانسحب نحو دمشق، وكانت لاتزال تابعة له، وفي **دمشق** نزل في المسجد الأموي يوم الجمعة فتربص له أحد رجال (الحشاشين) وهي **فرقة باطنية** ضالة، وقتلته غيلة. ولعل في ذلك قمة الخيانة أن يعمد أحد ممن يدعون الانتساب للإسلام فيقتل مجاهداً مسلماً بعث الله فيه أمل الأمة المكلمة، ولكن هذا - كان ولا يزال - ديدن الفرق المنحرفة والباطنية، فهم يضمرون العداة للمسلمين ومن خالفهم أكثر من عدائهم للكفار والنصارى واليهود ومن والاهم.

د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، 115.

معركة قسطنطين X 513 هـ 1119 م

وُتِدت هذه الحركة الجهادية في مهدها، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح، لكن العلماء لم يلبثوا أن بثوا العزيمة والحماس في نفس حاكم آخر، وهو حاكم مدينة **ناردين** فجمع هذا الأخير جيشاً وتحرك به مرة أخرى نحو **الرُّها**، وبعد معركة بسيطة تسمى معركة (**قسطنطين**) استطاع الجيش المسلم التغلب على النصارى ودحرهم، وانتشر مجدداً الأمل والتفاؤل بين الناس بهذا القائد الجديد، وبدأت عمليات استعدادات الجهاد والنهضة في الأمة مرة أخرى. السويدان، المرجع السابق، ص 116.



القائد التركي؛ عماد الدين زنكي (رحمه الله)

استطاع **عماد الدين زنكي** بفضل الله ثم بجهوده الميمونة؛ أن ينتزع من الصليبيين إمارة **الرُّها** التي تأسست في الشرق الإسلامي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م بزعامة **بلدوين الأول** وكان تحريرها في عام ٥٣٩هـ، وقد ساعد عماد الدين زنكي عوامل عديدة في فتح الرُّها من أهمها؛ تنامي حركة الجهاد الإسلامي حتى عصره وحصار تجربة المسلمين في ذلك المجال، فلا ريب في أن التجارب السابقة أثبتت أن إمارة الرُّها مرشحة أكثر من غيرها لكي تكون أولى الإمارات الصليبية المعرضة للسقوط في أيدي قادة الجهاد الإسلامي حينذاك، وقد اجهدها أمر الإغارات المستمرة من جانب **أمراء الموصل** خلال فترة تزيد على أربعة عقود من الزمان على نحو مثل: (موتاً بطيئاً لها) إلى أن تم الاجهاز عليها في العام المذكور ويضاف إلى ذلك براعة عماد الدين العسكرية الذي فاجأ تلك الإمارة الصليبية بالهجوم، بعد أن أطمأن الصليبيون إليه وتصوروا أنه لن يهاجم فاستغل فرصة غياب أميرها **جوسلين الثاني** عنها، ووجه لها ضربته القاضية التي انتهت بإسقاطها، وهكذا أثبت ذلك القائد الكبير أنه اختار التوقيت الملائم لذلك العمل العسكري العظيم لقد حقق عماد الدين زنكي بفتح الرُّها؛ أهم إنجازاته التي قام بها ضد الصليبيين طوال مدة حكمه وكان لهذا النصر نتائج هامة في العالمين الإسلامي والنصراني ومن **أهم تلك النتائج على الإجمال** :

١- تؤكد للمسلمين أن حركة الجهاد الإسلامي وصلت سن الرشد وتجاوزت المراهقة السياسية والعسكرية دون أن يكون ذلك إجحاف بإنجازات القادة السابقين على زنكي لاسيما الأمير مودود بن التونتكين وإذا كانت أولى الإمارات الصليبية تهافت تحت أيديهم فإنها البداية، واليوم أسقاط الرُّها وغداً إسقاط باقي الكيان الغازي الدخيل، وهذا ما حدث فعلاً ومن الآن فصاعداً لن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، بل التقدم إلى الأمام بكل ثقة، وإباء.

٢- تؤكد منطق التاريخ من أن مثل تلك الكيانات الصليبية الغير شرعية لن تستمر على الأرض المسلمة، لأن أبناء المنطقة أصحاب الهوية الدينية الموحدة لن يقبلوا بذلك الوضع السياسي والعسكري الدخيل وبالتالي عاد التجانس لمنطقة شمالي العراق ولم تعد الرُّها تمثل دور الفصل والكيان الصليبي الحاجز المانع من الاتصال بين كل من سلاجقة آسيا الصغرى، وسلاجقة الروم، وكذلك بلاد فارس.

٣- كما أدى سقوط الرُّها بمثل هذه الصورة إلى تحرك الحلف الدفاعي الاستراتيجي القائم بين الكيان الصليبي في الشرق والرحم الأم، فلم يكن ذلك الغرب يسمح لامتداده السياسي، والتاريخي في الشرق أن ينهار قطعة قطعة، بل لابد من التدخل من أجل إعادة الأمور إلى نصابها وإجهاز فعاليات **إمارة الموصل** ومن ثم كان قيام **الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤٢هـ** وهي من النتائج المباشرة **لإسقاط الرُّها** وهو أمر يوضح لنا بجلاء كيف أن قادة الجهاد الإسلامي حاربوا قوى عالمية، ولم تكن مجرد قوى محلية محدودة التأثير والفعالية، وأنهم بالفعل كانوا جزءاً من صراع قاري أو عالمي على نحو يجعل لهم مكانة بارزة في تاريخ المسلمين وقد مدح الشعراء الإنجاز الكبير الذي قام به عماد الدين لفتحه إمارة الرُّها.

د. علي محمد محمد الشلبي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التتغلل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية.



عندما تولى **عماد الدين زنكي الموصل** تسنى له أن يرى الأوضاع على الجهة الشامية عن قرب حيث كانت الصورة قاتمة؛ **فالصليبيون**؛ قد احتلوا معظم سواحل الشام، وأقاموا أربع إمارات صليبية بالبلاد الشامية، أما **المدن والحصون التي تحت حكم المسلمين**؛ فهي تعاني من الفرقة والإختلاف والتنافر، وربما التقاتل فيما بينها، فكل وال على مدينة يتعامل فيها كأنه ملك مستقل عن سائر البلاد، وأغلبهم بل كلهم يتقي شر الصليبيين ويتحاشى الصدام معهم خوفاً على ضياع ملكه وانهدام دنياه، وهذا الخذلان من ولاة الأمصار سهل للصليبيين مهمتهم وجعل وجودهم في الشام يترسخ شيئاً فشيئاً. أضف إلى ذلك أن الأمصار الإسلامية كلها تقريباً كانت في حالة فوضى واضطراب، فالخلاف على أشده بين أمراء البيت السلجوقي بعضهم بعضاً، كذلك الخلاف بين السلطان مسعود السلجوقي والخليفة العباسي المسترشد بالله على أشده. ومن خلال النظر في هذه الأوضاع كلها قرر عماد الدين زنكي أخذ زمام المبادرة والقيام بعمل لم يسبقه فيه أحد ووضع نصب عينيه هدفاً عظيماً طالما حلم المسلمون بتحقيقه ولكن يتعد نطاقه الأحلام إلى الحقيقة، قرر البطل تحرير بلاد الشام من الوجود الصليبي، وحقق الله له ما أراد؛ حينما حرر إمارة الرها مكن قبضة الصليبيين الغزاة.

مدينة **الموصل** القاعدة الرئيسة لعماد الدين زنكي؛ لتحرير بعض الإمارات الصليبية في بلاد الشام





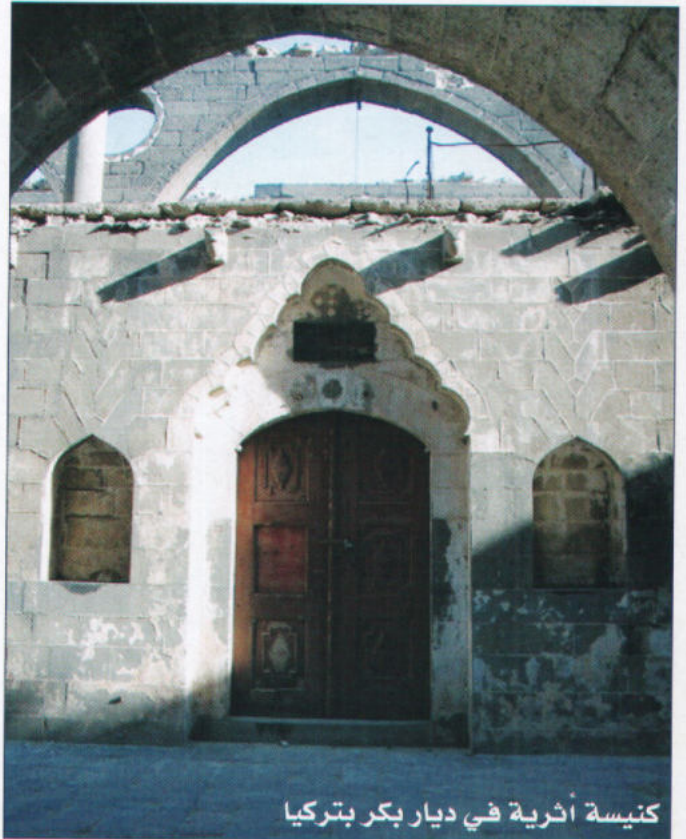
من المسلمات الأساسية في قتال أي عدو وطرده أي محتل وتحرير أي أرض؛ أن تكون جبهة المقاومة والدفاع واحدة صلبة مجتمعة، إذ كيف يجاهد المسلمون بصف مهترى ممزق لذا كان أول ما سعى عماد الدين لتحقيقه؛ هو تكوين وبناء القاعدة الصلبة للمسلمين بتوحيد الجبهة الداخلية لسوريا، وربما كانت هذه المهمة هي أصعب مرحلة في مراحل الانتصار .

بدأ عماد الدين زنكي بمدينة **حلب** الهامة في المنطقة الشمالية من بلاد الشام في ١ محرم سنة ٥٢٢ هجرية أي بعد شهور قليلة من ولايته على **الموصل** مما يوضح أن هذا الرجل الفذ كان يملك خطة شاملة ورؤية واضحة معدة سلفاً لحركته بأرض الشام، ولم يكن ضمه لمدينة حلب بالشيء السهل فلقد ظل محاصراً لها عدة شهور قبل فتحها وكان عليها بعض الطامعين المتغلبين، ثم قام بعدها بضم مدينة **حماة** في السنة التالية ٥٢٣ هجرية، ثم ضم مدينة **سرجى ودارا** ثم حصن الأتارب وكان **بيد الصليبيين**، ثم انشغل عماد الدين زنكي بالخلافات العنيفة بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود بل تورط فيها وذلك لعدة سنوات، ثم عاد بعدها لهدفه الأسمى وضم عدة قلاع للأكراد الحميدية والهكارية وقلعة الصور وواصل سعيه حتى استقامت له **ديار بكر** وإقليم الجبال سنة ٥٢٨ هجرية .

استقامت معظم بلاد الشام لعماد الدين زنكي عدا ما كان بيد الصليبيين ودمشق قلب الشام وحاضرتهم، وقد حاول زنكي ضم دمشق سنة ٥٢٩ هجرية، ولكنه لم ينجح وبقيت خارج سلطته وبقي يخطط ويفكر كيفية الوصول إليها.



عملتان برونزيتان ؛ باسم الملك عماد الدين زنكي، الأولى سكت في نصيبين ، والثانية سكت في سنجار .



كنيسة أثرية في ديار بكر بتركيا



القائد التركي؛ نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (رحمهما الله)

ولد **نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي**، في ١٧ من شوال ٥١١هـ، وهو ثاني أولاد عماد الدين زنكي بعد سيف الدين غازي، وقد تأثر أبناء عماد الدين بما كان لأبيهم من خلال وفضائل، فكانوا جميعاً من رجال الجهاد وفرسانه، على تفاوت في ذلك بينهم. وبعد وفاة عماد الدين زنكي، اقتسم ولداه: سيف الدين غازي ونور الدين محمود دولته، فحكم الأول **الموصل** وثبت أقدامه بها، وانفرد الآخر بحكم **حلب**، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو **نهر الخابور** في الجزيرة الفراتية، وكان كلا الأخوين مؤهلاً لما وجهته له الأقدار، فكان سيف الدين غازي صاحب سياسة وأناة، على حين كان نور الدين مجاهداً مخلصاً جياش العاطفة صادق الإيمان، ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين وإخراج الأعداء من ديار المسلمين، مفضولاً على الرقة ورهافة الشعور؛ وهو ما جذب الناس إليه، وحبب القلوب فيه.

وكان على نور الدين أن يواصل سياسة أبيه في جهاد الصليبيين، يدفعه إلى ذلك طبيعته المفطورة على حب الجهاد، وملازمته لأبيه في حروبه معهم. وقرب إمارته في حلب بشمال سوريا من الصليبيين جعله أكثر الناس إحساساً بالخطر الصليبي.

مقتل عماد الدين زنكي؟

فكر الصليبيون في كيفية التخلص من **عماد الدين زنكي** وبعد تفكير وتقلب في من سيقوم بهذه المهمة قرروا إسناد مهمة الإغتيال إلى جماعة معروفة بذلك وبالفعل وفي ٦ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ والبطل الفذ عماد الدين زنكي يحاصر أحد القلاع المطلة على نهر الفرات واسمها **قلعة جعبر** قامت مجموعة من الباطنية بالاتفاق مع الصليبيين بعد أن قبضوا الثمن بالتسلل إلى معسكر عماد الدين زنكي واندسوا بين حراسه وفي الليل دخلوا عليه خيمته وهو نائم وقتلوه رحمه الله وهكذا مات البطل وترجل الفارس وحط الراكب بعد حياة طويلة كلها جهاد وكفاح ونصرة للإسلام وأمله، وبعد أن أحيما ما كان مندثراً وأعاد ما كان مفقوداً ووضع الأساس المتين لمن جاء بعده فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له ما كان من خطايا وزلات.

استول نور الدين حكمه في سوريا بالقيام ببعض الهجمات على إمارة **أنطاكية** الصليبية، واستولى على عدة قلاع في شمالي الشام ومنطقة الساحل السوري، ثم قضى على محاولة **"جوسلين الثاني"** لاستعادة **الرُّها** التي فتحها عماد الدين زنكي وكانت هزيمة الصليبيين في الرُّها أشد من هزيمتهم الأولى، وعاقب نور الدين من خان المسلمين من **أرمين** الرُّها، وخاف بقية أهل البلد من النصارى على أنفسهم فغادروها.

كان نور الدين دائم السعي إلى استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشام وشمال العراق وكسب ودها وصد اقتها؛ لتستطيع مواجهة العدو الصليبي، ففقد معاهدة مع **"معين الدين أنر"** حاكم **دمشق** سنة (٥٤١هـ = ١١٤٧م) وتزوج ابنته، فلما تعرض أنر لخطر الصليبيين وكانت تربطه بهم معاهدة وحلف لم يجد غير نور الدين يستجير به، فخرج إليه، وسارا معاً؛ صاحب دمشق، ونور الدين، واستوليا على **بصري** و**صرخند** في جنوبي سوريا قبل أن يقعا في يد الصليبيين، ثم غادر نور الدين دمشق؛ حتى يبعث في قلب حاكمها الأمان، وأنه لا يفكر إلا في القضاء على الصليبيين؛ فتوجه إلى حصون إمارة أنطاكية، واستولى على أرتاح وكفر لاثا وبصرفوت وغيرها.

وعلى أنر ذلك ملك الرعب قلوب الصليبيين من نور الدين، وأدركوا أنهم أمام رجل لا يقل كفاءة وقدرة عن أبيه عماد الدين، وكانوا قد ظنوا أنهم قد استراحوا بموته، لكن أملهم تبدد أمام حماسة ابنه وشجاعته، وكانت سنه إذ ذاك تسعاً وعشرين سنة، لكنه أوتي من الحكمة والتدبير خيراً كثيراً.

وفي سنة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت **الحملة الصليبية الثانية** على الشام بزعامة لويس السابع وكونراد الثالث، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، كما سيتضح لنا في الصفحة ما بعد القادمة، وعجزت عن احتلال **دمشق** أهم مدن الشام، ويرجع الفضل في ذلك **لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفوفهم**. وكان للقوات التي جاءت مع سيف الدين غازي وأخيه نور الدين أكبر الأثر في فشل تلك الحملة، واستغل نور الدين هذه النكبة التي حلت بالصليبيين وضياح هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ = ١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة **حارم** الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لتجديتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ = آخر يونيو ١١٤٩م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج.



الموقف العام على الساحة الشامية بعد مقتل عماد الدين زنكي





الحملة الصليبية الثانية

سنة ٥٤١ هـ - ٥٤٣ هـ - ١١٤٧ - ١١٤٩ م .

قادة الحملة : كورنراد الثالث ملك ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا.

سبب الحملة :

استطاع المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي ومن ثم ابنه نور الدين محمود من استرجاع **الرُّها** من أيدي الصليبيين كما أوضحنا في الصفحات السابقة.

وتحتل الرُّها مكانة دينية كبرى لدى النصارى - لكثرة ما فيها من الأديرة والكنائس، ويؤمن النصارى : أن بكنيستها العظمى مندبل المسيح ﷺ، كما بها معالم إسلامية: كجامع ينسب للخليل ﷺ، وأماكن أخرى - فخشى الأوروبيون بعد فقدان الرُّها على مصير الإمارات الصليبية الباقية نتيجة لهذه الصحوة الإسلامية.

وكان الداعي المحرض لهذه الحملة الصليبية **الراهب الفرنسي (سان برنارد)** وكان البابا إذ ذاك (أوجان الثالث) ، حيث عقد مجمع كنسي في مدينة فيزولاي في مارس ٥٤٠ هـ - ١١٤٦ م، واستجاب لذلك **ملك فرنسا (لويس السابع)** وإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث) .

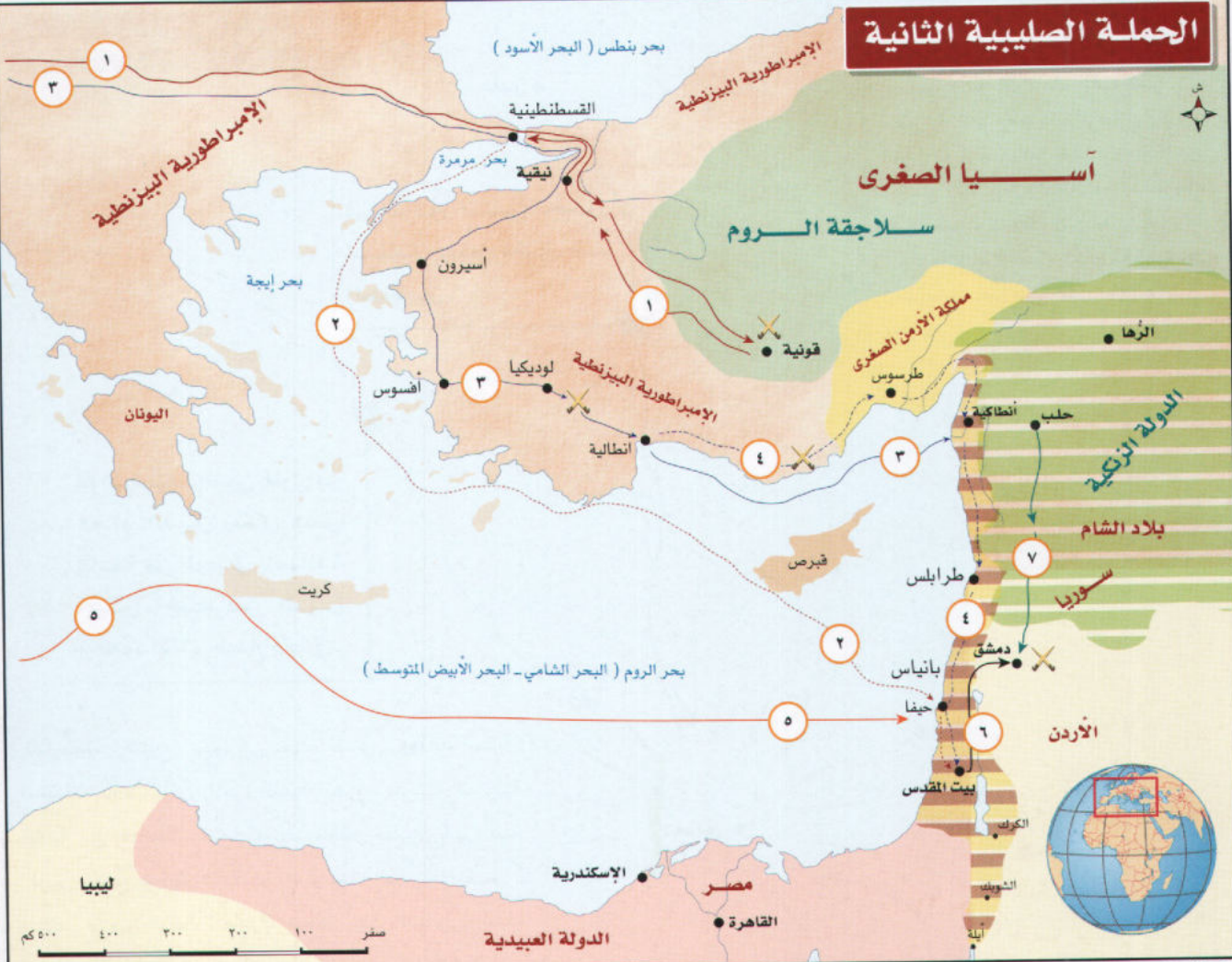


الراهب الفرنسي (سان برنارد)، وهو يحرض في حشد من الناس لحملة صليبية ثانية

سار إمبراطور ألمانيا مع نفس مسار الحملة الأولى واصطدم مع السلاجقة الأتراك المسلمين في **قونية** مما أدى إلى رجوعه إلى **نيقية** ثم **القسطنطينية** لاستخدام سفن حربية للوصول لبيت المقدس بحراً؛ بينما سلك **لويس الفرنسي** طريق الساحل الأناضولي (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة لتوضيح ذلك) ، ثم واصل من أنطاكية إلى بيت المقدس حيث كان يريد للحاق بملك ألمانيا قبل أن يصل إلى بيت المقدس. **فسار أكبر جيشيين في أوروبا الغربية لاسترداد الرُّها** وتعزيز الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي .



الحملة الصليبية الثانية



أطلس أكمالات الصليبية على المشرق الإسلامي

1	←	إمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث)	الإمبراطورية البيزنطية
2	←	المسار الآخر لإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث)	سلاجقة الروم
3	←	ملك فرنسا (لويس السابع)	الدولة العبيدية
4	←	الفرع الآخر لملك فرنسا (لويس السابع)	الإمارات الصليبية
5	←	إمدادات بحرية صليبية أخرى	الدولة الزنكية
6	←	الجيوش الصليبية تتجه لحصار دمشق	مملكة الأرمن الصغرى
7	←	نور الدين محمود يتوجه لمساعدة حاكم دمشق	أراضي إسلامية
	✕	مواقع معارك مع الصليبيين	



الصلبيون على أبواب دمشق

في سنة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، وعجزت عن احتلالها ويرجع الفضل لله سبحانه، ثم لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم، إضافة للقوات المساعدة التي جاءت مع سيف الدين غازي من الموصل لتشكل مع أخيه نور الدين محمود سداً منيعاً أفضل خطة الصليبيين وحملتهم.

قوات نور الدين محمود
تساند حاكم دمشق،
ضد الصليبيين.

قوات سيف الدين غازي بن
عماد الدين زنكي وهي
قادمة من الموصل، تساند
جيش أخيه نور الدين
محمود أثناء حصار دمشق.

تابع "لويس السابع" سيره إلى "بيت المقدس"، وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن للمرة الثانية انخرفت الحملة الصليبية الثانية عن أهدافها، عندما تم عقد مجلس صليبي كبير، ضم "لويس السابع" و"كونراد الثالث" - الذي سبقه إلى "بيت المقدس" - والملك "بلدوين الثالث"، وأمراء مملكة "بيت المقدس"، وعدداً كبيراً من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين، حيث اتفق الجميع على مهاجمة "معين الدين أنر" حاكم "دمشق" الفعلي، الذي كان حليفاً للصليبيين، ولكن نور الدين زنكي حاكم حلب؛ تناسى غدر حاكم دمشق به ووقف بجانبه. وبالفعل، جهز الصليبيون جيشاً لهذه الغاية وزحفوا إلى دمشق (ربيع الأول ٥٤٢هـ = حزيران ١١٤٨م) فحاصروها، ولكن أهالي دمشق تصدوا لهم بقوة بمشاركة الزهاد والفقهاء في القتال، الذين كان لهم دور كبير في إذكاء شعلة الصمود والتصدي، وبدأت قوات "معين الدين أنر" تتزايد، وتدفقت التجنيدات إلى "دمشق" من الأبواب الشمالية، وهو ما جعل الصليبيين يتحولون من الهجوم إلى الدفاع.

والذي زاد من حرجة الموقف الصليبي هو تلك الشقاكات والخلافات التي وقعت بينهم حول تبعية "دمشق" ومصيرها، وأحقية كل فريق منهم في ضمها إليه في حالة سقوطها والاستيلاء عليها.

قادة الحملة الثانية ملك فرنسا "لويس السابع" وإمبراطور ألمانيا "كونراد الثالث" والملك "بلدوين الثالث" ملك بيت المقدس، يتوجهون لحصار دمشق.

بيت المقدس
بيت لحم





أطلس أكملات الصليبية على المشرف الإسلامي



فتوحات نور الدين محمود على أرض الشام



١ استغل نور الدين هذه النكبة (ال فشل في حصار دمشق)، والتي حلت بالصليبيين وضياح هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة حارم الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية ليجدها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج وممن قال فيه القيسراني في قصيدته المشهورة التي أولها:

هذي العزائم لا ما تدعي القضب ... وذي المكارم لا ما قالت الكتب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها ... براحة للمساعي دونها تعب
أغررت سيوفك بالأفرنج راجفة ... فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ظهرت أرض الأعادي من دمائهم ... طهارة كل سيف عندها جنب

وهذه الهمم اللاتي متى خطبت ... تعثرت خلفها الأشعار والخطب
ما زال جدك بيني كل شاهقة ... حتى بنى قبة أوتادها الشهب
ضربت كبشهم منها بقاصمة ... أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب



مدخل قلعة شيزر



قلعة شيزر : شيدت على أكمة صخرية تحاذي نهر العاصي من الغرب يعود تاريخ بناء القلعة الى الفترة السلوقية نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وقد حارب امراء شيزر الصليبيين في **أفاميا** أثناء حروب الفرنجة واستمر بنو المنقذ في حكم شيزر وجوارها حتى عام ٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م عند وقوع الزلزلة الكبرى التي أفتت سلالة بني المنقذ ولم ينجو إلا الأمير أسامة الشاعر المشهور، وقد **أعاد نور الدين زنكي** بناء القلعة وولى عليها مجد الدين بن الداية .



من آثار أفاميا

تقع قلعة المضيق غربي مدينة أفاميا وتترعب في منظر مهيب مطل على المنطقة وهي إحدى القلاع الكثيرة المنتشرة على امتداد جبال الساحل السوري . ويعتقد أن القلعة كانت أكبر ولا لها ثم أصبحت في العهد الروماني موقعا حربيًا وهي قلعة جميلة تترعب بالقرب من أفاميا. أما حالياً فيعتبر بناء الحصن عربياً وكذلك طراز هندسته، والبناء العربي للقلعة **هي من آثار نور الدين محمود بن عماد زنكي**، والقرية التي داخل الحصن كبيرة حافلة بالدور المنيية من أنقاض السور والأبراج ومباني أفاميا القديمة. للقلعة سور عظيم مرتفع على هيئة مضلع غير منتظم، ركبت عليه أبراج كثيرة مربعة الشكل، وللقلعة باب كبير تعلوه قنطرة وحوله برجان مربعان للحراسة.

ومعظم السور ما زال بحالة جيدة ماعدا أحجار التضاريس التي كانت عليه التي تهدمت في بعض جوانبها إلا في القسم الغربي من السور. لم يزد الصليبيون على القلعة أي أثر جديد بعد أن استولوا عليها عام ١١٠٦م واستقروا فيها وجعلوها معقلاً حامياً لعاصمتهم **أنطاكية** على الساحل السوري وبقيت في حوزتهم حتى استخلصها **نور الدين زنكي** عام ١١٤٩م، وقد أصابها الزلزال في أوائل القرن ١٢ (١١٥٧م) فهدمت معظم منشأاتها وأمر نور الدين زنكي بأعادة ترميمها وإعادة بناء سورها .



قلعة المضيق (أفاميا)



لقطة ثانية للجامع الأموي بدمشق

تركز النشاط العلمي في **الجامع الأموي** على تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والفقهاء، كما عُقدت في هذا الجامع العديد من مجالس الإملاء والسماع اجتمع إليها عدد من العلماء وطلاب العلم حتى أصبح هذا **الجامع** من أبرز مواطن الثقافة في دمشق تناوب فيه جلة من أعلام العلماء الذين لا تزال أسماؤهم لامعة في ميادين العلوم الشرعية، ولا تزال آثارهم ومؤلفاتهم باقية حتى اليوم **ويصور أحد الشعراء المعاصرين للملك نور الدين محمود، وهو علي بن منصور السروجي المتوفى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م) نشاط التعليم في هذا الجامع في قصيدة وصف بها النشاط العلمي الذي شهدته دمشق في العهد الزنكي فيقول:**

كانها جنة للخُلد دانية

❖ قُصورها فتحت منها المقاصير

في كل قطر بها للعلم مدرسة

❖ وجامع جامع للدين معمور

يُتلى القرآن به في كل ناحية

❖ والعلم يذكر فيه والتفاسير

تكامل الحسنُ فيه مثل ما كملت

❖ أوصاف مولى بنشر العدل مشهور

الملك والدينُ والدنيا بأجمعها

❖ وللخليفة من أنواره سُورٌ^(١)

١- د. علي محمد الضلّالي: عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي.



الصراع على ضم مصر بين نور الدين والصلبيين

مسألة في العبيديين

يقول ابن تيمية - موضعاً رأي أهل السنة في ملوك الدولتين الأموية والعباسية - : " ما قال أهل السنة أن الواحد من هؤلاء كان هو الذي تجب توليته وطاعته في كل ما أمر به، بل كذا وقع، فيقولون تولى هؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة؛ فاننظم لهم الأمر، وأقاموا مقاصد الإمامة من الجهاد وإقامة الحج والجمع والأعياد وأمن السبل ولكن لا طاعة في معصية الله" وعندما طعن العلماء في نسب **العبيديين** الذين كانوا بمصر والذين تسموا **(بالفاطميين)** . وقالوا: ليس لهم أي صلة بنسب علي ابن أبي طالب، وأنهم مجوس ملحدون، فهذا الطعن له أهمية كبيرة، ويساعدنا على فهم تصرفات هذه الدولة. فهؤلاء العلماء من أمثال أبي حامد الإسفراييني وأبو الحسن القدوري والبيضاوي وابن الأكفاني وغيرهم لا يمكن أن يشهدوا هذه الشهادة تقرباً وتملقاً للخليفة العباسي ببغداد، كما يريد أن يصورهم البعض، وهؤلاء أجل من أن يشهدوا زوراً من أجل الخليفة. مجلة البيان، ع ٤، ص ٩٠.

كان فتح **مصر** من أعظم منجزات **نور الدين محمود** - رحمه الله -، فقد تمكن من إسقاط **الدولة الفاطمية العبيدية**، التي استمرت أكثر من قرنين تنشر الفساد السياسي والخلل العقدي في أنحاء العالم الإسلامي، فهي التي أعانت الصليبيين في احتلال بلاد الشام بتحالفها وتآمرها معهم وهي التي تبنت المذهب الباطني ونشرته في ديار المسلمين، وعندما سادت الفوضى إدارة الحكم فيها، وتحكم الوزراء بالأمر دون الخلفاء، **طمع الصليبيون بغزو مصر** فهاجموها المرة تلو المرة وعندها جرد نور الدين محمود حملاته العسكرية لتخليص مصر من مطامعهم، ولإعادة أرض الكنانة إلى منهج أهل **السنة والجماعة**، وجمع كلمة المسلمين، ويمكن تلخيص أبرز الدوافع التي أدت إلى غزو مصر ما يأتي :

الدافع الأول : حالة الفوضى التي سادت مصر آخر أيامها فقد أصبحت الدولة تعاني كثيراً من مظاهر الانحلال والفساد، حتى صار من الأمور الشائعة، أن يصبح الخليفة أو الوزير مقتولاً، خلال الصراع الدائر بين الوزراء أنفسهم، أو بين الوزراء والخلفاء فقد قتل الظافر على يد وزيره، وتحكم الوزراء فيمن جاء بعده وفي اختيار من يشاءون، وقتل الوزراء بعضهم بعضاً، فقد تولى الوزارة في عام واحد ثلاثة وزراء : **العادل بن رزيك، وشاور وضرغام**، فضعفت الدولة وسادة الفوضى في البلاد ومن أواخر هذا الصراع خروج شاور من مصر، بعد أن طرده " ضرغام" ومن ثم استجاده بنور الدين محمود، الذي وجد الفرصة مواتية لتوحيد الوحدة الإسلامية في بلاد الشام ومصر.

الدافع الثاني : إن مطامع الصليبيين شجعت القائد المجاهد نور الدين على التفكير جدياً بضم مصر إلى الجبهة الإسلامية، كما أن تلقيه العهد من الخليفة العباسي باطلاق يده في بلاد الشام ومصر عام ٥٤٩ هـ شد من عزيمته لإنجاز هذا الأمر .

الدافع الثالث : من أقوى الأسباب التي أدت إلى القضاء على الخلافة الفاطمية العبيدية، العامل العقدي، فقد كانت دولة باطنية المعتقد، إسماعيلية المذهب فرقت وحدة المسلمين وتآمرت مراراً مع أعدائهم . فكان لا بد من إقامة وحدة قوية في عقيدتها، شرعية في توجهها تضم إلى الخلافة العباسية أرض الكنانة مع بلاد الشام^(١).

١ - بتصرف عن د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ص ١٣

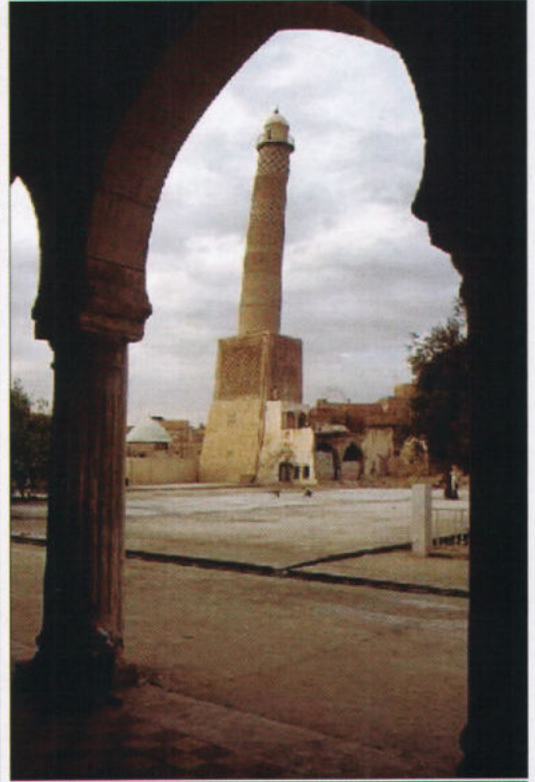


على عادة الحكام العبيديين، كان الحكم بيد الوزراء الذين تحت إمرتهم، وبسبب التنافس المحموم بين الوزراء الثلاثة (شاوور، ضرغام، العادل بن زنك)، قام شاوور بقتل العادل، لكنه هُزم أمام جيش ضرغام، ففر شاوور من مصر إلى الشام، لجأ شاوور إلى القائد نور الدين محمود لمساعدته لإقصاء ضرغام، وأخذ يفري نور الدين بدخول مصر بصفتها البوابة الجنوبية للصليبيين التي ينبغي تضيق الخناق عليهم منها، استجاب نور الدين لذلك، لدهر الغزاة الصليبيين، ووعد (شاوور) نور الدين بإمداده بالجيش والعتاد إذا ساعده لإعادة حكمه في مصر؛ فوجه نور الدين قائده جيشه (أسد الدين شيركوه) ويصحته ابن أخيه الشاب الباغ يوسف صلاح الدين الأيوبي، ابتدأت من سنة (٥٥٩هـ = ١١٦٤م) واستمرت نحو خمس سنوات وهشلت عدة مرات بسبب خيانة صاحب مصر وتعاونه مع الصليبيين والفساد المتفشى، حتى تمكن الزنكيون من دخول مصر مرة ثالثة وقتل شاوور الخائن وتعيين شيركوه وزيراً عليها .

مصر تحت حكم الدولة الزنكية

كان **نور الدين محمود** يرى إزالة **الدولة العبيدية** هدفاً استراتيجياً للقضاء على **الوجود الصليبي**، و**النفوذ الباطني** في بلاد الشام، ولذلك حرص على إعادة مصر لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ فوضع الخطط اللازمة وأعد الجيوش المطلوبة وعين الأمراء ذوي الكفاءة المشهوددة فتم الله له ما أراد على أيدي جنديه المخلصين (أسد الدين شيركوه) وابن أخيه الفتى اليافع والقائد الصالح يوسف صلاح الدين الأيوبي، والأخير طبق سياسة نور الدين الحكيمة الرشيدة، وحق للأمة الإسلامية وزعمائها أن تفرح بهذه البشرية الكبيرة من إزالة هذه الدولة الباطنية. فلما انتهى الخبر إلى **الملك العادل نور الدين** بالشام أرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد يعلمه الخبر مع ابن أبي عسرونن فزينت بغداد، وغلقت الأبواب وعملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديداً وكانت الخطبة قد قطعت من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي حين تغلب العبيديون (الفاطميون زوراً) عليها أيام المعز العبيدي، بأني القاهرة إلى هذه الأوان، وذلك مائتا سنة وثمانين سنين، وقد تفاعل الشعراء مع هذا الحدث المدوي في أرجاء الدنيا فقد قال العماد الأصفهاني في قصيدته المشهورة :

- توفي العاضد الدعي مما * * يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا * * يوسفها في الأمور محتكما
قد طفئت حمرة الغواة وقد * * داخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شملُ الصلاح ملتماً * * بما وعقد السداد منتظماً
لما غدا مشعراً شعار بني * * العباس حقاً والباطل اكتما
وبات داعي التوحيد منتظراً * * ومن دعاة الإشراك منتقماً
وظل أهل الضلال في ظلل * * داجية من غياهبه وعمى
وارتبك الجاهلون في ظلل * * لما أضاعت منابر العلماء
وعاد بالمستضيء متهيداً * * بناء حتى قد كان منهيداً
واعتلت الدولة التي اضطهدت * * وانتصر الدين بعدما اهتضما
واهترت عطف الإسلام من جدل * * وافتترت نغر الإيمان واهتسما
واستبشرت أوجه الهدى فرحاً * * فليقرع الكفر سبته نهدما
عاد حرمة الأعداء متتهك * * الحمى وفيه الطغاة مقتسماً
قصور أهل القصور آخرها * * عامر بيت من الكمال سماً
أزعج بعد السكون ساكنها * * ومات ذلاً وأنفه رغباً^(١)

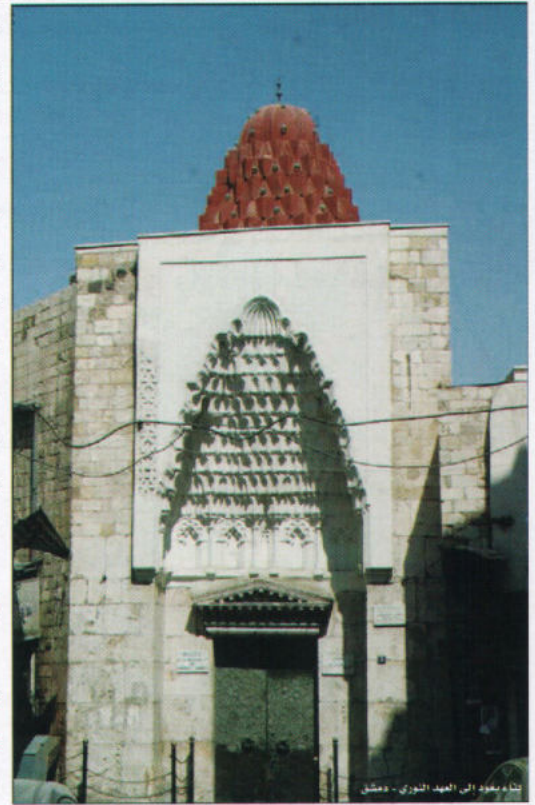


منذنة الجامع الثوري المائلة. وتُعرف بإسم الحديدية، وهي من أشهر معالم مدينة الموصل. ومن أقدم المآذن في العالم الإسلامي.

منبر نور الدين؛ منبر تاريخي شهير يمثل روعة الفن والزخرفة الإسلامية، بناه نور الدين زنكي (رحمه الله) عام ٥٦٤ هـ. ١١٦٨ م، ليحمل إلى المسجد الأقصى بعد تحريره من الصليبيين، لكنه مات قبل أن يحقق ذلك، فلما حرر صلاح الدين بيت المقدس كما سنذكره في الصفحات القادمة - إن شاء الله تعالى -، أمر بإحضاره من **حلب**، وذلك بعد أكثر من عشرين عاماً من بنائه، ووضعه داخل الجامع القبلي؛ المصلى الرئيسي في المسجد الأقصى المبارك. والمنبر مصنوع من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس، تقن التجارون والصناع والمهندسون في صناعته الصناعة المتميزة، وكان لترديد النظر فيه على الأيام ألماً، له بوابة يرتفع فوقها تاج عظيم ثم درج يرقى إلى قوس أعلاه وشرف خشبية. أتت النيران عليه فدمرته بالكامل يوم أحرق الجامع القبلي في حريق الأقصى عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، ولدى إعادة ترميم الجامع بين العامين ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م استحدث منبر حديدي بسيط الصناعة، لا فن فيه ولا نضارة، مكان منبر نور الدين، وهو منبر مؤقت بقي هناك حتى تم إنشاء منبر آخر مطابق للمنبر الأصلي وبنفس المميزات والمواد في الأردن، وتم تركيبه في بداية شهر فبراير عام ٢٠٠٧ م.

وفاة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي :

كانت وفاة نور الدين - رحمه الله تعالى - بسبب خوانيق اعترته عجز الأطباء عن علاجها وقد توفى يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة تسع وستين وخمسة مئة" ودفن بقلعة دمشق ثم نقل إلى تربة تجاور مدرسته التي بناها لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله جوار الخواصين في الشارع الغربي من دمشق (رحمه الله تعالى) .



بناء يعود إلى العهد الثوري - دمشق



القائد يوسف صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ هـ - ٥٨٩ هـ)

نسب ومولد صلاح الدين الأيوبي

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين. اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين) وهي بلدة في آخر أذربيجان وأنهم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانة، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد.

يقول أحمد بن خلكان: قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي جد صلاح الدين. قد أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد. ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ بقلعة **تكريت** لما كان أبوه وعمه بها والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة ٥٣٢ هـ التي ولد فيها صلاح الدين أوفي سنة ثلاث وثلثين لأنهما أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلثين.

ذكر المؤرخون: أن أسد الدين شيركوه؛ لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان **صلاح الدين يوسف بن أيوب**، ابن أخيه فبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه، وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد، استعداداً لمواجهات مستمرة مع الصليبيين المعتدين من جهة، ومع بدع الدولة العبيدية من جهة أخرى. فقي الربع الأخير من القرن السادس الهجري/



الثاني عشر الميلادي، قامت **الدولة الأيوبية** في خضم الأحداث المضطربة وأخذت على عاتقها مهمة قيادة العالم الإسلامي ومكافحة القوى الأجنبية الغازية؛ فكان على **الصليبيين** أن يواجهوا السياسة التي رسمها الأيوبيون والقائمة على أساس الجهاد ومكافحة الصليبيين. فبعد وفاة نور الدين زنكي، استطاع صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩ هـ / ١١٧٣-١١٩٣ م) أن يرسخ جذور دولته ويوسع حدودها لتشمل **مصر ومعظم بلاد الشام والجزيرة واليمن والموصل**. وبذلك أصبحت ممتلكات الأيوبيين تغطي مساحة شاسعة من العالم العربي آنذاك، ويرجع الفضل الأعظم في تأسيس الدولة الأيوبية بمصر واستمرارها زهاء ثمانين عاماً إلى شخصية السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القوية وحنكته السياسية، وقدراته العسكرية العالية، وجهاده المتواصل ضد قوى الصليبيين المغتصبين لديار المسلمين، وعن طريق توحيد الجبهة الإسلامية، وجمعه لشمل المسلمين في مصر والشام والجزيرة، والحجاز واليمن، وتأليف كلمتهم، وحسم مادة الفتن بينهم تجنباً لتمزقهم فبذلك ورث صلاح الدين راية الجهاد التي رفعها شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي، وورث الروح التي سادت في البلاد الإسلامية لدعم الجهاد في سبيل الله لتحرير بيت المقدس، كما ورث جزءاً كبيراً من الجيش الذي أعد للجهاد وأضاف عليه جيش مصر، و**جيش المغرب** الذي انتدبه سلطانه للمشاركة في تحرير بيت المقدس وفلسطين، هذا إلى جانب الجيوش الإسلامية الأخرى.



صلاح الدين الأيوبي وصاحب حصن الكرك (أرناط)



عملة صليبية تعود إلى أرناط، (صاحب الكرك)

بعد أن أصبح الجيشان الشامي والمصري تحت قيادة واحدة، رأى **صلاح الدين** تأديب **صاحب الكرك**؛ ففي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م. قام أحد القادة الصليبيين يدعى رينو الشاتينيوني (Renaud de Chatillon)، صاحب حصن الكرك (جنوب شرقي الأردن)، والمعروف في المصادر الإسلامية باسم **أرناط**، بتجهيز مراكب

وشحنها بالرجال والآلات القتال، ومضى بها نحو **عيذاب**، فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهوا إلى أرض **رابغ بالحجاز** وتعذر على الناس وجه الاحتراز فغظم البلاء... وأشرف أهل **المدينة النبوية** منهم على خطر **ويرى ابن جبير** : أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإخراجه من الضريح المقدس. فلما وصل الخبر إلى **مصر**، أمر الملك العادل (شقيق صلاح الدين ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فعمر المراكب بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية، مع أنجاد من المغاربة البحريين وسار إلى **إيلة**، فظفر بالمركب الفرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جندها، ثم عدى إلى **عيذاب** وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها وأطلق المسورين من التجار ورد عليهم ما أخذ لهم... وعاد إلى **القاهرة** ومعه الأسارى. فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف. بعداً دينياً، بمعنى أن هدفها كان هو الهجوم على الأراضي الإسلامية المقدسة (إخراج رفات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف).

حرص القائد **صلاح الدين** منذ تأسيسه للدولة الأيوبية بتأمين سلامة المرور في البحر الأحمر، وتأمين الملاحة فيه للسفن الإسلامية، إذ كان قيام إمارة **الكرك الصليبية** حافزاً على بذل مزيد من الجهود لتنفيذ سياسته في البحر الأحمر سواء ما يتعلق بالتجارة الشرقية أو **بسلامة الحجاج** الذين كانوا يسلكون منذ أن سيطر الصليبيون على المناطق الجنوبية من الشام الطريق النهري عبر النيل إلى قوص ومنها في الصحراء الشرقية عبر وادي العلاقي إلى ثغر عيذاب ومن عيذاب بالسفن المعروفة بالجلاب إلى **جدة** وتحول درب الحج بذلك من سيناء إلى عيذاب، ولتأمين الملاحة في البحر الأحمر، وقصره على خدمة المصالح الإسلامية كان لزاماً عليه التصدي لكل محاولة للعبث في هذا البحر والبطش بأي قوة صليبية تقدم على التسلل إلى عمق هذا المعبر المائي الهام اقتصادياً واستراتيجياً. ولهذا حرص على تحصين مدخل البحر الأحمر الشمالي بالسيطرة على قلعة إيلة التي كان الصليبيون قد اتخذوها لاعتداءاتهم المتكررة منذ أن أسسها **بلدوين** ملك بيت المقدس في سنة ٥١٠ هـ وحصنها وبنى قلعة أخرى منيعة في جزيرة فرعون القريبة من الساحل فأصبحت هي وقلعة إيلة تتحكمان في القوافل المارة بين مصر والشام والحجاز.



الصراع بين المسلمين والصليبيين في البحر الأحمر

المقر الجديد لقيادة صلاح الدين

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط - البحر الشامي)

أسطول الجيش المغاربي المسلم

الدولة الأيوبية

تشير المصادر التاريخية؛ إلى أن المغاربة شاركوا إخوانهم بمصر في التصدي لما عرف في التاريخ بحملة البحر الأحمر ويعتقد أحد الباحثين المعاصرين، أن اسم حسام الدين يدعو إلى التفسير في الأمير حسام الدين لؤلؤ، قائد أسطول صلاح الدين الذي أنزل بقوات أرناط صاحب إمارة الكرك الصليبية هزيمة تكراء في موقعة الحوراء سنة ٥٧٨ هـ. فقد عرف المغاربة بمهارتهم في قيادة السفن والملاحة في البحر منذ عصر مبكر وذاعت شهرتهم في الجهاد البحري في العصر الأيوبي، فكان البحريون منهم موضع احترام للناس وتبجيلهم، فكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله، وكان قد اشترك منهم عدد كبير في مهاجمة مراكب الصليبيين عند رابغ وعيذاب وقت تعرضها لعدوان أرناط، واستعان الحاجب حسام الدين لؤلؤ بجماعة من أنجادهم في مراكب عمرت من مصر والإسكندرية في مهاجمة مراكب الفرنج وحرقتها وأسر من كان بها.

تحول طريق الحج المصري من سيناء إلى عيذاب نتيجة سيطرة الصليبيين على بلاد الشام وأرض فلسطين.

وصول الإسطول المصري إلى رابغ ليقطع على الصليبيين الوصول إلى المدينة النبوية، وإنزال الهزيمة بالجيش الصليبي على ساحل حوراء هزيمة كبيرة.

أطلس أكمالات الصليبيات على المشرق الإسلامي



حدود المستعمرات الصليبية في المشرق الإسلامي

الدولة الأيوبية

الجيش الصليبي ١

الجيش الإسلامي ٢



قلعة الكرك بالملكة الأردنية الهاشمية والتي شيدها الصليبيون بعد احتلالهم لبيت المقدس



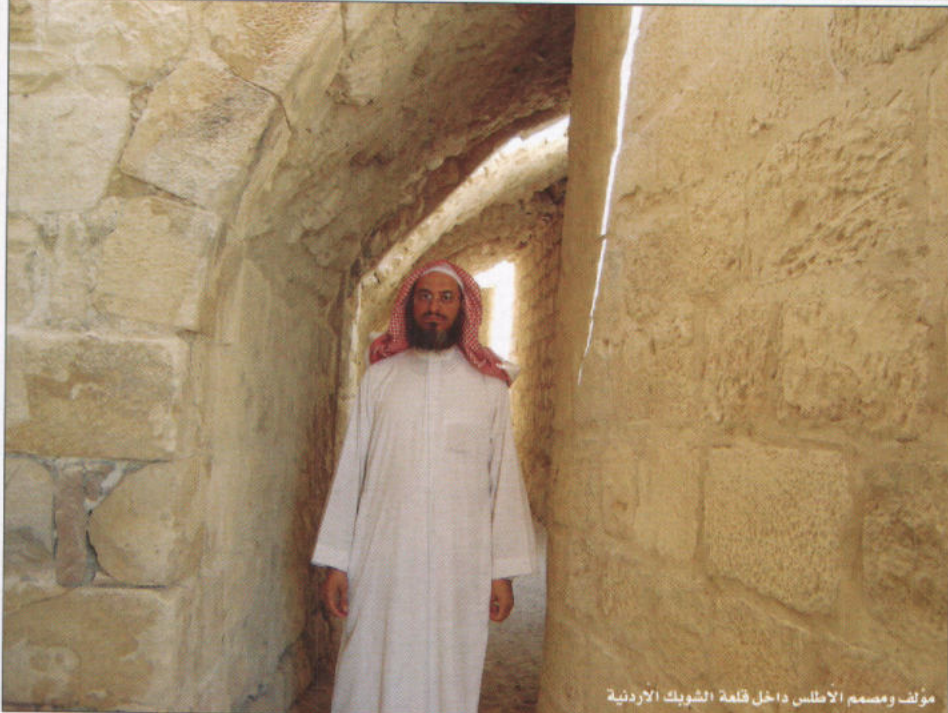
مؤلف ومصمم الأطلس داخل قلعة الكرك الأردنية



قلعة الكرك، بناها فولك أوف أنجو (١١٣١، ١١٤٣م)، ملك مملكة بيت المقدس الأفرنجية. أمّنت القلعة السيطرة على جنوبي المملكة، ومكنت الملك فولك من بسط سيطرته على حقول القمح في الكرك، وطرق التجارة والقوافل. فتحها صلاح الدين الأيوبي وقتل حاكمها رينالد دوشابتون المعروف بـ **أرناؤط**. احتلها العثمانيون في عام ١٥١٦م. قال ابن بطوطة (محمد ابن عبد الله ١٣٠٣-١٣٧٧م) عن قلعة الكرك، في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: "لم يرحلون إلى حصن الكرك، وهو أعجب الحصون وأمتعها وأشهرها، ويسمى بـ حصن الغراب، والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد، ومدخل دهليزه كذلك، وبهذا الحصن يتحصن الملوك، وأليه يلجأون في التوابع وله لجأ الملك الناصر، لأنه ولي الملك وهو صغير السن، فاستولى على التدبير مملوكه سلاز النائب عنه، فأظهر الملك الناصر أنه يريد الحج، ووافقه الأمراء على ذلك، فتوجه إلى الحج، فلما وصل إلى عقبة إيلة، لجأ إلى الحصن وأقام فيه أياماً إلى أن قصده أمراء الشام، واجتمعت عليه المماليك وكان قد ولي الملك في تلك السنة بيبرس الشنتكر وهو أمير الطعام وتسمى بالملك الطفر، وهو الذي بنى الخانقاه اليبوسية بقربية من خانقاه سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين الأيوبي. فقصدته الملك الناصر بالساكر، فخر بيبرس إلى الصحراء، فبذعه الساكر فقبض عليه، فأتى به إلى الملك الناصر فأمر بقتله، فقتل، وقبض على سلاز وحبس في جب حتى مات جوعاً، ويقال أنه أكل جيفة من الجوع. نموذج بالله من ذلك." أ. هـ - عدسة المؤلف



قلعة الشوبك (مونتريال) بالملكة الأردنية الهاشمية والتي قام الصليبيون بإعادة بنائها بعد احتلالهم للكرك



مؤلف ومستمع الأملس داخل قلعة الشوبك الأردنية

قلعة الشوبك، يرجع تاريخ إنشاء هذه القلعة إلى عصر الأنباط، وظلت كذلك طوال الحكم البيزنطي لمنطقة شرقي الأردن، ثم تجدد بناؤها في فترة الصراع الحربي بين الساسانيين والبيزنطيين وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس قام بلديين الأول بإعادة بناء **قلعة الشوبك**، وسماها **مونتريال**، ثم استسلمت هذه القلعة لقوات صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٨٩ م بعد حصار طويل دام سنين، وقد أهتم بها الأيوبيون وكذلك المماليك، وقد أقدم إبراهيم باشا في سنة ١٨٤٠ م على نسفها بالديناميت. والقلعة بمظهرها الحالي هي قلعة إسلامية في منشأتها. عدسة المؤلف



معركة حطين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م)

لمحات من المعركة

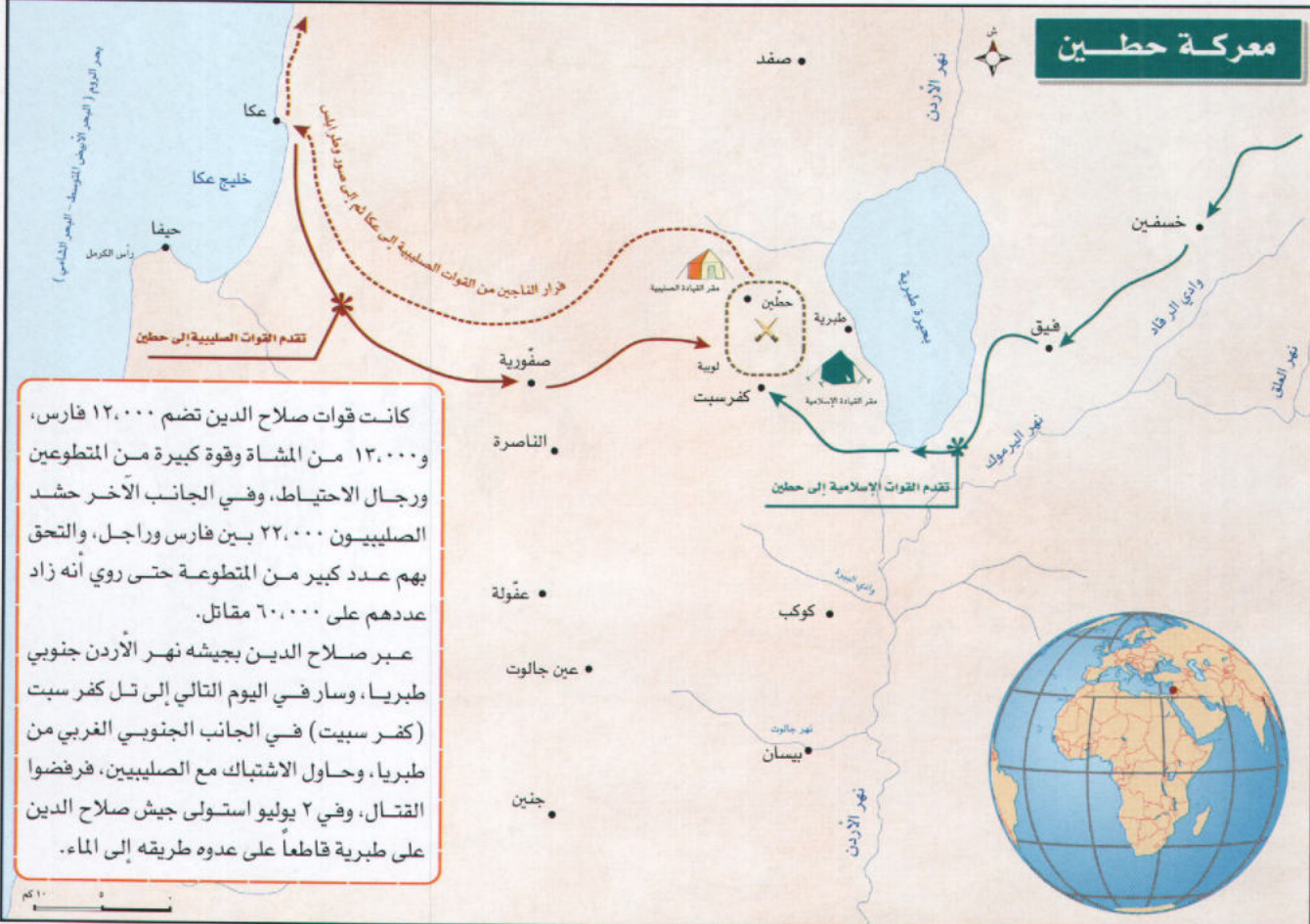
لما وصل الصليبيون إلى السهل الواقع بين لوبيا وحطين شن صلاح الدين هجوماً ففسروا إلى تلال حطين، فحاصرت قوات صلاح الدين التلال، وأقبل الليل وتوقف القتال، في اليوم التالي ٤ يوليو ١١٨٧ وفي قيظ شديد ونقص في مياه الشرب قامت معركة حطين، ولف الفرسان الصليبيون الذين انتظموا على مرتفع حطين سحب الدخان المتصاعد إلى أعلى، فالتحم الجيشان على بعد ميلين من حطين، فتضعفت صفوف العدو وأهلكت سهام جيش صلاح الدين الصليبيين، ثم شن هجوماً بالسيوف والرماح، فقتل وجرح وأسر الكثير، فاستسلم الألوف منهم، وقام الصليبيون بمناورة، فتقدم قائد الفرسان ريمون الثالث أمير طرابلس بأمر من غي دي لوسينيان ملك القدس، وزحزح بهجومه هذا قوة يقودها تقي الدين عمر، فظن الصليبيون أنهم فتحوا ثغرة في صفوف صلاح الدين فاندفعوا فيها، وحصر جيش صلاح الدين جزء من الجيش الصليبي فقسمه إلى شطرين. ودامت المعركة نحو ٧ ساعات على التوالي. سقط فيها الآلاف بين جرحى وقتلى، ووقع الملك غي دي لوزينيان ملك القدس آنذاك في أسر صلاح الدين، بالإضافة إلى العديد من القادة والبارونات، ولم ينج إلا بضع مئات فروا إلى صور واحتموا وراء أسوارها.

كانت معركة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ في وسط نهار الجمعة وكان صلاح الدين كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية، وكانت تجاوز العد والحصر على تعبئة حسنة وهيئة جميلة، وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج **صفورية بeka** عندما بلغهم اجتماع الجيوش الإسلامية . فسار ونزل على **بحيرة طبرية** ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر هجوم الصليبيين عليه؛ إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلهم، وكان نزولهم يوم الأربعاء ٢١ ربيع الآخر، فلما رأهم لا يتحركون نزل على طبرية وهاجمها، وأخذها في ساعة واحدة وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها، فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها، ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها، وذلك في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر وحال الليل بين المعسكرين قياماً على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة، فركب الجيشان وتصادما والتحم القتال واشتد الأمر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا، وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور، وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور، ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق إلا الظفر ووقع الويال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه، وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت؛ فطلب كل من الفريقين مقامه وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد؛ فحملت جيوش المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين، ولما أحس القوم بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فتجا منهم، وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب، وأطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام، وانهمزت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين، فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له **تل حطين** وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقتهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران، واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأمر خوفاً من القتل لما مر بهم فأسر مقدموهم وقتل الباقون.

وكان ممن سلم من مقدميهم الملك جفري، وأخوه، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشويك، وابن الهنفرى، وابن صاحبة طبرية، ومقدم الديوية، وصاحب جبيل، ومقدم الأستبار.
قال ابن شداد: ولقد حكى لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطهم بوتر خيمة لما وقع عليهم من الخذلان.



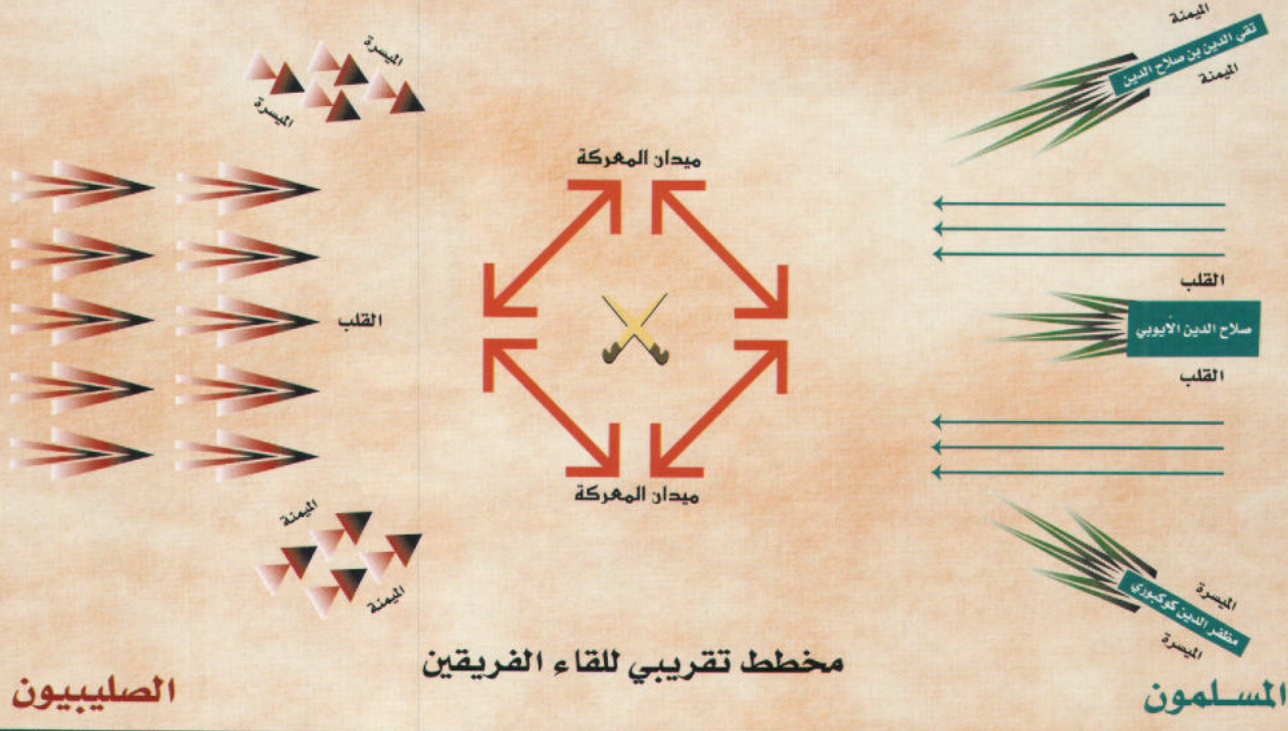
معركة حطين



كانت قوات صلاح الدين تضم ١٢,٠٠٠ فارس، و١٢,٠٠٠ من المشاة وقوة كبيرة من المتطوعين ورجال الاحتياط، وفي الجانب الآخر حشد الصليبيون ٢٢,٠٠٠ بين فارس وراجل، والتحق بهم عدد كبير من المتطوعة حتى روي أنه زاد عددهم على ٦٠,٠٠٠ مقاتل.

عبر صلاح الدين بجيشه نهر الأردن جنوبي طبريا، وسار في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاول الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي ٢ يوليو استولى جيش صلاح الدين على طبرية قاطعاً على عدوه طريقه إلى الماء.

١٠ كم





سهل حطين والذي دارت على ثراه معركة حطين الحاسمة بين المسلمين والصليبيين



فتح صلاح الدين قلعة طبرية في ١١٨٧/٢/٢٠ م

مدينة طبرية بفلسطين المحتلة





مرتسم اوروبي قديم لمركة حطين



اطلس اكملات الصليبية على المشرق الإسلامي

تحرير عكا وبعض المدن المحتلة

رحل صلاح الدين طالباً **عكا** فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل **الصليبيين** بها صباح يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـ فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا **نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرية** وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم، ولما



مرسم لصلاح الدين الأيوبي في الأدب الأوروبي القديم

استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأسراها، سار يطلب **تبنين** فنزل عليها يوم الأحد ١١ جمادى الأولى، وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالاً شديداً ونصره الله سبحانه عليهم، فتسلمها منهم يوم الأحد ١٨ عنوة، وأسر من بقي فيها بعد القتل، ثم رحل عنها إلى **صيدا** فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى **بيروت** فنزلها ليلة الخميس ٢٢ من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس ٢٩ من الشهر المذكور وتسلم أصحابه **جبيل** وهو على **بيروت**، ولما فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده **عسقلان** أولى؛ لأنها أيسر من **صور** فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد ١٦ من جمادى الآخرة من السنة نفسها، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة **كالرملة والداروم** وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة ٥٨٣ هـ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه **غزة وبيت جبيل والنطرون** بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ.

من آثار نصر حطين

لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة عابرة، وإنما كانت فاجعة حلت بهم؛ وغدت فلسطين عقب حطين في متناول قبضة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمدن والثغور الصليبية واحدة بعد الأخرى، حتى توج جهوده بتحرير بيت المقدس في (٢٧ من رجب ٥٨٣ هـ = ١٢ من أكتوبر ١١٨٧ م) كما سيأتي توضيحه - إن شاء الله تعالى -.

لقد هزم صلاح الدين الصليبيين في حطين وقتل منهم ثلاثين ألفاً وأسّر مثلهم، وأسّر سائر أمرائهم وفرسانهم، وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس والذي سقاه صلاح الدين قدحاً من الماء وأحسن رعايته، بينما توعد أرناط أمير الكرك، والذي قتله صلاح الدين بيده وفاءً لنذر نذره، لأنه كان يؤذي الحجاج المسلمين، وينقض المعاهدات، ويهدد بالسير إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتدي عليه، ووصلت طلائع جيش أرناط إلى عيذاب ورايع على البحر الأحمر كما ذكرنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا الأطلس.

فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

قال المقرئزي: وسار السلطان " وقد اجتمعت إليه العساكر " يريد **فتح بيت المقدس**، فنأزله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فنصب المجانيق، و**اقتتل الفريقان أشد قتال**، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من **السور ونقبوه**، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار **وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشر رجب**، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفاً، ما بين رجل وامرأة وصبي، وهم من لا يقدر على شراء نفسه. وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة. والتحق من كان بالقدس من الفرنج **بصور**، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالاً وركابنا من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع ما لا ينحصر، فأقيمت فيه **الجمعة** يوم الرابع من شعبان، و**خطب القاضي محيي الدين بن الزاكي** بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجا، فوعظ الناس.

وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم، وحمل منبر مليح من حلب، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، و**غسلت الصخرة** بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وغلقت كنيسة القيامة، ثم فتحت، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به. وسار العادل مع السلطان، فنزلا على عكا أول شهر رمضان، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شواني ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالإعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، و**أقام السلطان بعكا**، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس. السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج ١ / ص ١٩)

كان أول ما قال محيي الدين بن الزاكي في مستهل خطبته بعد فتح بيت المقدس: (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين). ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: " الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بكمره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضلته، وأفاض على العباد من طله وهطله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خلقه فلا ينازع، والأمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع، أحمدته على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، ومظهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك، ورافض الأهلك، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدره المنتهى عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وسلم، وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي التورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب منزل الشكر، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ". ثم ذكر الموعظة وهي مشتتة على تعقيب الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس. ابن كثير: البداية

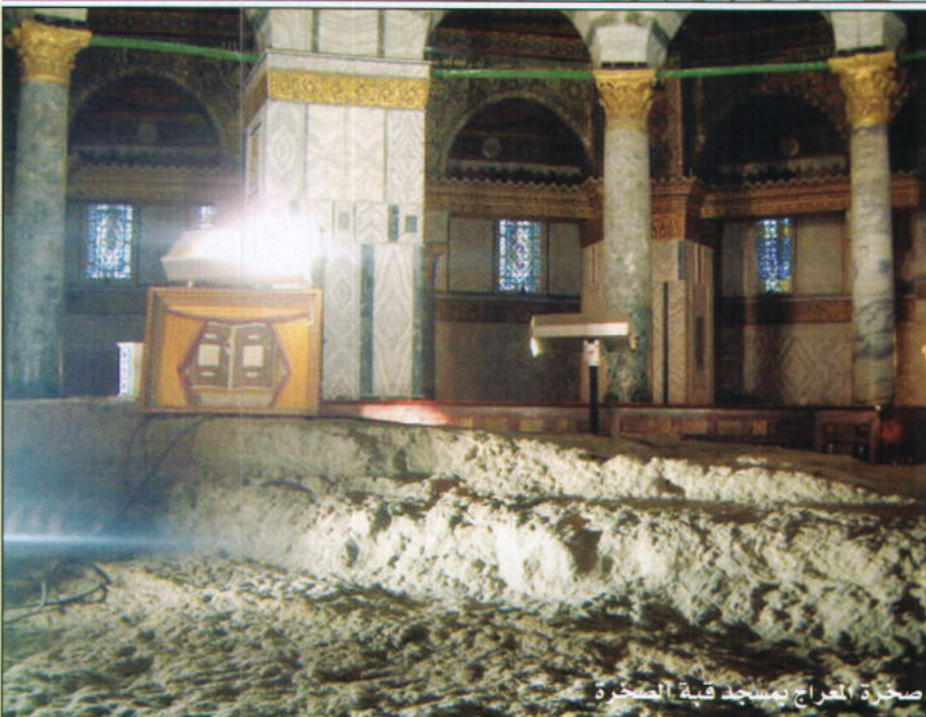


فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

إلى بيت لحم



صورة بانورامية للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة داخل السور القديم بمدينة القدس الشريفة (فك الله أسرها)



صخرة المعراج بمسجد قبة الصخرة

دخل صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى ليلة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ، وأدرك عدم إمكانية الصلاة في المسجد بسبب الحالة التي كان عليها المكان الطاهر؛ حيث قام الصليبيون بتحويله إلى حظيرة خنازير، ولذا لم تعقد بالمسجد الأقصى صلاة أول جمعة بعد فتح بيت المقدس مباشرة، وإنما جاءت خطبة الجمعة الأولى بعد ذلك بأولى القبلتين في يوم ٤ شعبان سنة ٥٨٣ هـ، وقد ألقى الخطبة في ذلك اليوم محيي الدين بن الزاكي وهو أحد الأئمة الكبار، وأقدم **صلاح الدين** على إظهار ما كان يتمتع به من وفاء عندما أمر بإحضار المنبر من دمشق الذي كان **نور الدين محمود** قد أمر بصنعه وذلك حتى يصعد عليه الخطيب عند إلقائه لأول خطبة جمعة بالمسجد الأقصى بعد تحريره - تقدم الحديث عنه - وهذا من خلق الوفاء الذي امتاز به صلاح الدين، لذلك مكن الله على يدي هذا المسلم الكردي إعادة فتح بيت المقدس .



المسجد الأقصى من جهة أخرى



صورة تاريخية لقبة الصخرة قبل سقوط القدس في أيدي الصهاينة

الأستاذان : محمد المحمود، وعبدالله
 بوشاجع، من مدينة الأحساء بالمملكة
 العربية السعودية في زيارة لمسجد
 الصخرة بفلسطين الحبيبة في ٢٩ / ٧
 / ١٣٨٧ هـ، أي قبل سقوط القدس
 الشريف في أيدي الصهاينة المحتلين .
 هذه الصورة من أرشيف المرابي الفاضل
 أ . عبد الرحمن بن سعد المخايطة .

حصار عكا



البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)

٨ رجب سنة ٥٨٥ هـ

بعد اجتماع الفلول المنهزمة من الصليبيين بمدينة صور حتى أغراها اجتماعها وكثرتها على نقض العهد الذي أعطته لصالح الدين، لهذا توجه الصليبيون إلى مدينة عكا وناصبوها الحصار، اعتماداً على قوتهم المجتمعة، وعلى الإمدادات التي ترد إليهم من أوروبا.

صلاح

الدين، يبعث بالتهديد إلى أطراف مملكته، والصليبيون تتوارد عليهم الإمدادات من أوروبا، التي ضجت ثنياً استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس.

إمدادات صليبية من أوروبا

الدولة الأيوبية

كان السلطان صلاح الدين الأيوبي، قد عانى الأهوال في حصار عكا الذي استمر أكثر من سنتين، ومع ذلك صابر الكفار كل هذه المدة قال عنه القاضي الفاضل: «أما صبره في الجهاد، فقد رأيت به بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماطل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس، ومع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب، ومن العصر إلى المغرب، وهو صابر على شدة الألم، وكان يقول، إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل.»

الدولة الأيوبية

مناطق لاتزال تحت الاحتلال الصليبي

الدولة الأيوبية

مناطق خضعت مؤخراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي





أطلس اكملات الصليبيات على المنشرف الإسلامي



لقطنان مدينة عكا على ساحل البحر الأبيض المتوسط



أهم مصادر ومراجع الباب الرابع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - د. السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، أرنست باركر، نقله إلى العربية دار النهضة العربية، بيروت.
- ٣ - أ. سعيد أحمد برجواوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .
- ٤ - د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - د. علي محمد محمد الصّلابي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي؛ بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية .
- ٦ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، طبعت متعددة .
- ٧ - مجلة التاريخ العربي، أعداد مختلفة .
- ٨ - مجلة البيان الإسلامية، أعداد مختلفة.
- ٩ - د. مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط. الأولى ٢٠٠٤ م.
- ١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي .
- ١١ - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، نشر وتوزيع مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد .
- ١٢ - د. سعيد عاشور، مصر والنشام في العهدين الأيوبي والمملوكي .
- ١٣ - د. نعمان محمود جبران د. محمد حسن العمادي، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.
- ١٤ - أ. أحمد تمام إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .
- ١٥ - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ١٦ - أحمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك .
- ١٧ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ١٩ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩ م.
- ٢٠ - ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢ م.
- ٢١ - د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري - الكويت.
- ٢٢ - محمد بن عبد الله الطنجي (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان .
- ٢٣ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
- ٢٤ - د. فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون، الدار الجامعية، بيروت، لبنان .
- ٢٥ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية، أ. أحمد غسان سبانو، وأ. نبيل الجيرودي .
- ٢٦ - فولفغانغ مولر - فينر، القلاع (أيام الحروب الصليبية)، ترجمة محمد وليد الجلال، مراجعة سعيد طيّان .
- ٢٧ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- ٢٨ - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، نسخة رقمية .
- ٢٩ - د. محمد بن حامد الأحمري، أطراف الجزائر .
- ٣٠ - أبو الحسن؛ محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير .
- ٣١ - ابن القلانسي، تاريخ أبي يعلى، النسخة الرقمية.





الحملة الصليبية الثالثة

- ★ سقوط عكا بأيدي الصليبيين
- ★ معركة أرسوف وسقوط اللد وصلاح الرملة
- ★ وفاة القائد الرباني (صلاح الدين الأيوبي)





الحملة الصليبية الثالثة

سنة ٥٨٥هـ - ٥٨٨هـ - ١١٨٩ - ١١٩٢م.

قادة الحملة : إمبراطور ألمانيا (فريدريك بربروسا) ملك فرنسا (فيليب أو غسطس) ملك إنجلترا (ريتشارد قلب الأسد) .

سبب الحملة :



ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا

بينما كان الصليبيون يحاصرون مدينة **عكا** كانت ممالك أوروبا تستعد لحرب صليبية ثالثة؛ إثر الانتصارات الباهرة التي سجلها **صلاح الدين الأيوبي** ضد الإمارات الصليبية، واسترجاعه **بيت المقدس**، وكان على رأس هذه الحملة أعظم ملوك أوروبا آنذاك، حيث سار الإمبراطور الألماني بـ ١٠٠,٠٠٠ مقاتل، مخترباً بلاد المجر على نفس مسار الحملة الصليبية الأولى، وحينما وصلوا إلى مملكة أرمينية الصغرى ساعدهم الأرمن، وزودوهم بالموءن والعتاد؛ إلا أن فريدريك غرق بنهر سالف، مما أدى إلى تشتت الجيش واضطرابه، ورجع غالبه إلى ألمانيا، أما البقية الباقية؛ فقد ركبت السفن إلى **عكا** وصور وقسم سار برأ.

أما الحملتان الفرنسية والإنجليزية؛ فقد التقى الفريقان في صقلية وأقاموا فيها مدة طويلة بينما الصليبيون في **عكا** ينتظرونهم بفارغ الصبر.

وإذا لم يكن الملكان على غير وفاق، فقد بارح الفرنسيون



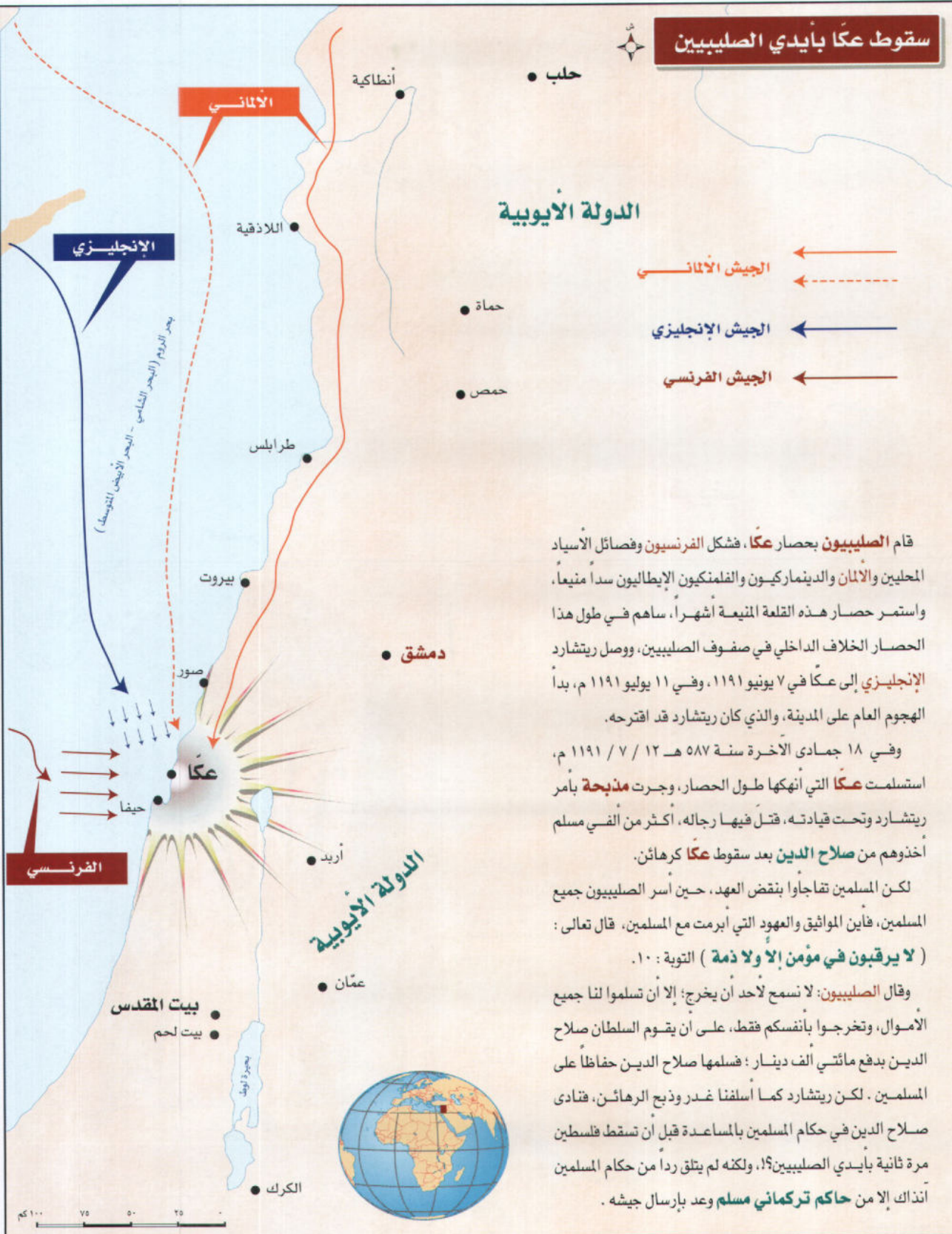
ملك فرنسا (فيليب أو غسطس)

صقلية أولاً، ثم بعدهم بعشرة أيام تحرك الأسطول الإنجليزي، والذي ألق العاصفة به على جزيرة **قبرص**، التابعة للإمبراطورية البيزنطية، فتشبت حرب بين الفريقين، انتهت باستيلاء الإنجليز على **قبرص**، ثم أبحر إلى **عكا** بعد أن استنجد به ملك بيت المقدس الذي أطلق سراحه **صلاح الدين**، فازداد الصليبيون قوة بمجيء **ريتشارد قلب الأسد** ملك إنجلترا،

رغم الجهود العظيمة التي بذلها **صلاح الدين** وجيشه لإنقاذ **عكا**؛ لكن الصليبيين تمكنوا من دخول المدينة ورفع رايتهم الصليبية على أسوار المدينة، معلنة احتلالها واستسلامها؛ ففوجئ المسلمون وارتاعوا. واستبشر الصليبيون بذلك استبشاراً كبيراً .



سقوط عكا بأيدي الصليبيين



الدولة الأيوبية

قام **الصليبيون** بحصار **عكا**، فشكّل الفرنسيون وفضائل الأسياد المحليين والألمان والدينماركيون والفلمنكيون الإيطاليون سداً منيعاً، واستمر حصار هذه القلعة المنيعة أشهراً، ساهم في طول هذا الحصار الخلاف الداخلي في صفوف الصليبيين، ووصل ريتشارد الإنجليزي إلى عكا في 7 يونيو 1191، وفي 11 يوليو 1191 م، بدأ الهجوم العام على المدينة، والذي كان ريتشارد قد اقترحه. وفي 18 جمادى الآخرة سنة 587 هـ - 12 / 7 / 1191 م، استسلمت **عكا** التي أنقذها طول الحصار، وجرت **مذبحة** بأمر ريتشارد وتحت قيادته، قتل فيها رجاله، أكثر من ألفي مسلم أخذوهم من **صلاح الدين** بعد سقوط **عكا** كرهائن. لكن المسلمين تجاجوا بنقض العهد، حين أسر الصليبيون جميع المسلمين، فأين الموائيق والعهود التي أبرمت مع المسلمين، قال تعالى: (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) التوبة : 10 . وقال **الصليبيون**: لا نسمح لأحد أن يخرج؛ إلا أن تسلّموا لنا جميع الأموال، وتخرجوا بأنفسكم فقط، على أن يقوم السلطان صلاح الدين بدفع مائتي ألف دينار؛ فسلمها صلاح الدين حفاظاً على المسلمين. لكن ريتشارد كما أسلفنا غدر وذبح الرهائن، فنادى صلاح الدين في حكام المسلمين بالمساعدة قبل أن تسقط فلسطين مرة ثانية بأيدي الصليبيين؟!، ولكنه لم يتلق رداً من حكام المسلمين آنذاك إلا من **حاكم تركماني مسلم** وعد بإرسال جيشه.



مدينة عكا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)



عكا ("عاكو" باللاتينية "acre") مدينة عربية فلسطينية داخل الخط الأخضر تديرها السلطات اليهودية المحتلة، تقع على ساحل البحر المتوسط غربي منطقة الجليل، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع المدينة على بعد ١٧٣ كيلومتراً تقريباً شمال غربي القدس. في عكا يوجد مركز ومعبد لآباء الديانة البهائية الذي يعتبر من أهم المعابد البهائية إلى جانب المعبد الموجود في مدينة حيفا. تعتبر عكا مفتاح فلسطين لكانها الاستراتيجي، فهي بدأت كميناء كتعاني، وعرفت عكا بصناعة الزجاج والأصبغة الأرجوانية الملوكية، إحتلتها وحكمها سلسلة طويلة من الغزاة كالصليبيين، وأشتهرت بصددها نابليون بونابرت حينما هاجم أسوارها إبان الحملة الفرنسية. وتظهر في أبنية عكا قنوتون معمارية متعددة كالمعمارة العبيدية والصليبية والعثمانية، كما تتميز بعمارة جامع الجزار الذي شيد من أعمدة رخامية قديمة، أما المدينة القديمة فقد قام **الصليبيون** ببناءها.





سور عكا من جانب آخر



الكنيسة الممعدانية بهكّا



بقايا السور الأثري في عكا ويرى في آخر الصورة مدينة حيفا الفلسطينية



ريتشار قلب الأسد الإنجليزي يتقدم بجحافل الصليبية نحو حيفا



المدينة القديمة بعكا



السوق البحري بعكا



دخول حيفا تحت حكم الصليبيين

الدولة الأيوبية

- حماة
 - حمص
- حيفا: مدينة فلسطينية تقع على جبل الكرمل وشواطئه، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. ومن أهم موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط. خضعت للاحتلال اليهودي في القرن الماضي.

سيطر عليها **الصليبيون** في العصور الوسطى، حينما أمر **ريتشارد قلب الأسد**، الزحف نحوها بعد سقوط عكا، حيث دخلها الصليبيون بكل يسر وسهولة لعدم وجود تحصينات دفاعية كعكا، توجهت جحافل الصليبيين لاحتلال بعض المدن الفلسطينية كما سيتضح لنا في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.



يعتقد

النصارى أن اسم (حيفا) مشتق من «كايافاس» (Caiaphas) الأسقف الأعلى لأورشليم في وقت المسيح ﷺ، أو من الاسم الآرامي لتقديس النصارى بطرس (أو كيفا). بالإضافة إلى ذينك، الاسمين سايكامينون (Sycaminon) أو سايكامينوس (Sykaminos) ومعناه "القراولة البرية" يستخدمان أيضاً. البعض يقول أن كلمة حيفا عربية أصلها من «حف» بمعنى شاطئ، أو الحيفة بمعنى الناحية.



مدينة حيفا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم، البحر الشامي)



حَيْفَاءُ: كَأَنَّهُ تَأْنِيثٌ... و حيفا،
غير ممدود: حصن على ساحل
بحر الشام قرب يافا، ولم يزل
في أيدي المسلمين إلى أن تغلب
عليه كندفري الذي ملك بيت
المقدس في سنة ٤٩٤، وبقي
في أيديهم إلى أن فتحه صلاح
الدين يوسف بن أيوب في سنة
٥٧٣ وخزّبه: وهي تاريخ دمشق:
إبراهيم بن محمد بن عبد
الرزاق أبو طاهر الحافظ
الحيفي من أهل قصر حَيْفَة،
سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد
السلام بن محمد بن يوسف
القزويني وأبا الوفاء سعد بن
علي بن محمد بن أحمد
النسوي، وحدث بـصـور سنة
٤٨٦، سمع منه غَيْث بن علي
وأبو الفضل أحمد بن الحسين
ابن نَيْت الكالمي: هكذا في
كتابه قصر حيفة، بالهاء، وأنا
أحسبه المذكور قبـله. الحموي،
معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣٢.





معركة أرسوف وسقوط اللد والرملة

بين صلاح الدين وريتشارد

لم يلبث ريتشارد أن اعتراه المرض في يافا، فأبت شهامة صلاح الدين إلا أن يقدم له كل معونة ممكنة في مرضه. من ذلك ما تذكره المراجع من أن الأطباء وصفوا لريتشارد الفاكهة والتلج، فأخذت رسله تتردد على صلاح الدين الذي لم يضمن على خصمه بكل ما طلبه، فكانت "رسل ريتشارد لا تقطع في طلب الفاكهة والتلج، وأوقع عليه في مرضه شهوى الكمثرى والخوخ، وكان السلطان يمهده بذلك...". ويبدو أن هذا السلوك من جانب صلاح الدين كان له أثره الطيب في نفس ريتشارد، فقال لأحد أمراء المسلمين: "سلم على السلطان وقل له: بالله عليك أجب سؤالي في الصلح، فهذا الأمر لا بدّ له من آخر، وقد هلكت بلادنا وراء البحر، وما في دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم". والواقع أن ريتشارد كان لا يستطيع العودة إلى بلاده تاركاً الموقف معلقاً في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين.



مرتمم لريتشارد قلب الأسد في الأدب الأوروبي القديم

أصبحت عكاً بعد أن استردها الصليبيون أهم مركز لدولة الفرنجة في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وانضم إليها **حيفا** و**قيسارية**، وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيون انتصارات أخرى مهمة على المسلمين ولكن سرعان ما دب ديب الشقاق بينهم ورجع **ملك فرنسا** إلى بلاده وبقي (ريتشارد) الذي استولى على مدينتي **أرسوف** بعد معركة حامية الوطيس آل فيها النصر إلى ريتشارد، ثم **مدينة يافا** وعزم على استرداد **بيت المقدس** فوجه **صلاح الدين** همته إلى تحصين المدينة، والدفاع عنها، ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدن الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحري كبير يحمي به المدن الساحلية. وأخيراً وتحت تأثير الرغبة الملحة في العودة إلى بلاده اضطر ريتشارد إلى التنازل عن بعض شروطه، فتم عقد **صلح الرملة** في ٢ سبتمبر سنة ١١٩٢م، الموافق لسنة ٥٨٨ هـ، وهو الصلح الذي نص على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من **صور** إلى **يافا**، بما فيها **قيسارية** و**حيفا** و**أرسوف**؛ أما **عسقلان** فتكون للمسلمين في حين تكون **الرملة** و**اللد** مناصفة بين المسلمين والصليبيين. وفرض صلاح الدين دخول بلاد الإسماعيلية (الباطنية)، واشترط الصليبيون دخول صاحب إنطاكية وطرابلس في الصلح، "ورضي **الاستبارية** و**الداوية**، وسائر مقدمي الإفرنجة بذلك".

أما الأماكن المقدسة، فقد ظلت في أيدي المسلمين، على أن يكون للنصارى حرية الحج إلى بيت المقدس دون مطالبتهم بدفع أية ضريبة. وقد اتفق على أن تكون مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وناب عن الملك ريتشارد في التوقيع على الاتفاقية هنري دي شامبني وباليان الثاني دي أبلين وأونفروي الرابع دي تورون، في حين مثل الجانب الإسلامي: الملك الأفضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين، وأخوه الملك العادل وبعض الأمراء الأيوبيين الآخرين.



الوضع السياسي بعد صلح الرملة





وفاة القائد الإسلامي الكبير (صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله تعالى

كان صلح الرملة قاطعاً لسلسلة الحروب التي شنها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، والتي اكتسب بها شهرة كبيرة، ومجداً لا زال المسلمون يتذكرون أمجاده، وقبل هذه الحروب كان المسلمون لا يملكون شيئاً غربي نهر الأردن، وإذا بنتيجة هذه الحروب تفصح عن استرجاع بيت المقدس إلى حظيرة الإسلام، واستيلاء المسلمين على الأراضي المحصورة بين نهر العاصي والأردن وبين البحر الأبيض المتوسط، ما عدا أجزاء



عملة نقدية لصلاح الدين؛ سكّت بعد نصر حطين سنة ٥٨٣ هـ

ساحلية قليلة بقيت لإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس ومملكة بيت المقدس الجديدة (عكا).

بعد صلح الرملة سار صلاح الدين إلى بيت المقدس وأمر بإجراء عدة إصلاحات وتنظيمات. ثم سار إلى دمشق



قبر صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله تعالى - بدمشق

فوصلها في ٢٥ شوال سنة ٥٨٨ هـ، ولم يعمر طويلاً بعد الصلح، فقد وافاه الأجل المحتوم وهو بدمشق الفيحاء فأسلم الروح لبارئها في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ، وفارق الحياة بعد أن أدى رسالته على الصورة الكاملة، وقد أوصى ابنه الملك الأفضل بوصية عظيمة قبل ذلك.

لقد اشتدت الضائقة على قلب كل مسلم؛ بسماع نبأ وفاة القائد الرباني صلاح الدين الأيوبي، ثم توارثت أسرته حكم الدولة الجهادية التي أنشأها، حيث خرج صلاح الدين من الدنيا ولم يأخذ معه إلا الكفن، والذكر الحسن لكن ترك وراءه راية الجهاد ضد الصليبيين المغتصبين، حيث استطاعت أسرته أن تسير على خطاه وتنهج طريقه في هذا العمل الإسلامي العظيم، وهو الذب عن الدين والأعراض، والتصدي لأي هجوم صليبي في الشام ومصر وكان آخر أبطالهم الكبار في هذا الصدد (توران شاه بن السلطان الصالح أيوب)؛ الذي أظهر بطولته نادرة في حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا، وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف في المعركة.



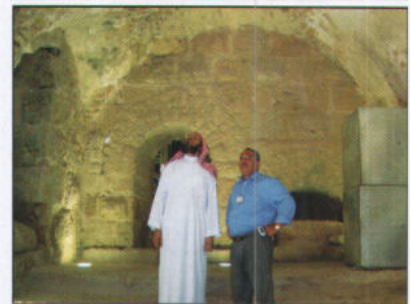
أصبحت **عكا** بعد أن استردها الصليبيون؛ أهم مركز لدولة الفرنجة (الصليبية) في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وأصبح مسمها الجديد مملكة بيت المقدس؛ لتبقى حية في قلوب الغزاة!



تعود أهمية قلعة عجلون (الريض) أو صلاح الدين الأيوبي، في الذاكرة الإسلامية إلى دورها الكبير أثناء الحروب الصليبية، قال تويات: "من قلعة عجلون هزم الناصر صلاح الدين الأيوبي جيوش الصليبيين بحروب استمرت ثمانية أعوام واجه خلالها ٢٢ ملكاً أوروبياً ومنهم: فريدريك الألماني، وريتشارد قلب الأسد الإنجليزي، خاض ضدهم ٧٤ معركة، وحرر أكثر من خمسين مدينة وقلعة معتصبة، قبل أن يهاجمه الموت عن ٥٧ عاماً".



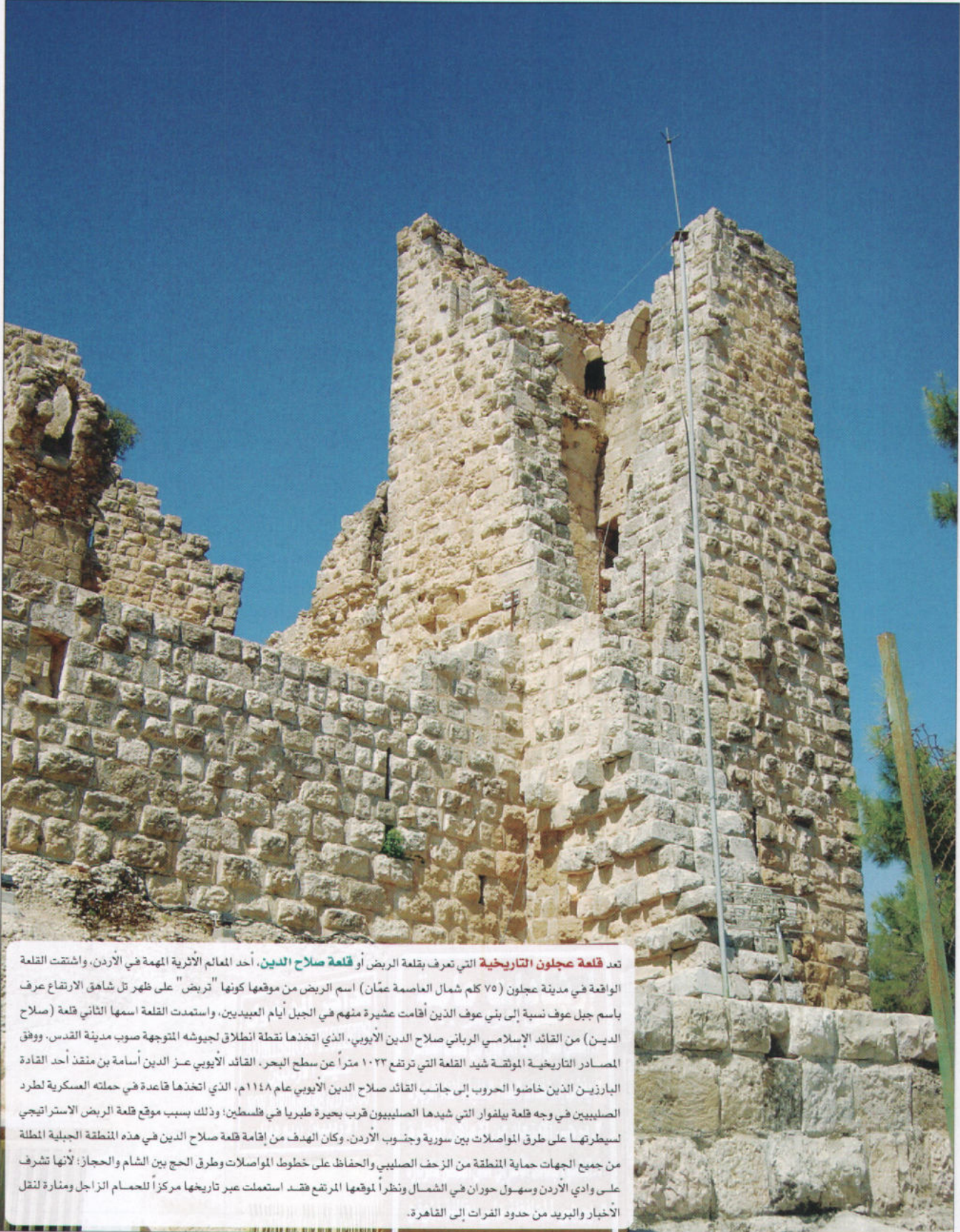
أطلس إكمالات الصليبية على المشرق الإسلامي



لقطات متنوعة لقلعة عجلون (الريض) أو صلاح الدين الأيوبي.



حارسان للقلعة بلباس عسكري تاريخي يعود إلى العهد الأيوبي



تعد **قلعة عجلون التاريخية** التي تعرف بقلعة الربيض أو **قلعة صلاح الدين**، أحد المعالم الأثرية المهمة في الأردن، واشتقت القلعة الواقعة في مدينة عجلون (٧٥ كلم شمال العاصمة عمّان) اسم الربيض من موقعها كونها "ربيض" على ظهر تل شاهق الارتفاع عرف باسم جبل عوف نسبة إلى بني عوف الذين أقامت عشيرة منهم في الجيل أيام العبيديين، واستمدت القلعة اسمها الثاني قلعة (صلاح الدين) من القائد الإسلامي الرباني صلاح الدين الأيوبي، الذي اتخذها نقطة انطلاق لجيوشه المتوجهة صوب مدينة القدس. ووفق المصادر التاريخية الموثقة شيد القلعة التي ترتفع ١٠٢٣ متراً عن سطح البحر، القائد الأيوبي عز الدين أسامة بن منقذ أحد القادة البارزين الذين خاضوا الحروب إلى جانب القائد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٤٨م، الذي اتخذها قاعدة في حملته العسكرية لطرد الصليبيين في وجه قلعة بيلقوار التي شيدها الصليبيون قرب بحيرة طبريا في فلسطين؛ وذلك بسبب موقع قلعة الربيض الاستراتيجي لسيطرتها على طرق المواصلات بين سورية وجنوب الأردن. وكان الهدف من إقامة قلعة صلاح الدين في هذه المنطقة الجبلية المطلة من جميع الجهات حماية المنطقة من الزحف الصليبي والحفاظ على خطوط المواصلات وطرق الحج بين الشام والحجاز؛ لأنها تشرف على وادي الأردن وسهول حوران في الشمال ونظراً لموقعها المرتفع فقد استعملت عبر تاريخها مركزاً للحمام الزاجل ومنازة لنقل الأخبار والبريد من حدود القرعات إلى القاهرة.

أهم مصادر ومراجع الباب الخامس

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ٣ - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الثورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٤ - د . علي عبد الحلیم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.
- ٦ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .
- ٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٨ - Google Earth .
- ٩ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤م.
- ١٠ - د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري - الكويت.
- ١١ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ١٢ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ١٣ - موقع السياحة في المملكة الأردنية الهاشمية .





الحملة الصليبية الرابعة

☆ احتلال الصليبيين للقسطنطينية ، بدلاً من القدس

☆ حملة الأطفال





الحملة الصليبية الرابعة

سنة ٥٩٩ هـ - ٦٠١ هـ - ١٢٠٢ - ١٢٠٤ م.

قادة الحملة : مجموعة من الأمراء الإقطاعيين بفرنسا وعلى رأسهم بلدوين وتيبو الثالث وبونيفاس دي مونسترانت .

سبب الحملة :

تعد هذه الحملة نتيجة مباشرة لوفاة صلاح الدين في شهر صفر سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م. فمذ وفاته دعا البابا أنوسنت الثالث إلى حرب صليبية ضمن خطة وضعها للكنيسة على رأسها مشروع محو آثار حروب الدين في الشرق واغتصاب بيت المقدس من المسلمين.

فدعا في منتصف سنة ١١٩٨ م - ٥٩٤ هـ إلى حملة صليبية رابعة، واستجاب له فيها عدد من الأمراء وتولى قيادتها عدد من البارونات الفرنسيين والفلمنكيين وإن كانت الغلبة للعنصر الفرنسي.

وبعد مداولات بين أمراء الحملة وقوادها رأوا أن يتجهوا بها إلى مهاجمة مصر أولاً ثم بيت المقدس بعد ذلك.

وبدأت الاستعدادات بالتعاون مع فيتيسيا (البندقية) لتمدهم بالسفن واحتشد

الصليبيون في البندقية في صيف ١٢٠٢ م -



(البابا أنوسنت الثالث)

٥٩٩ هـ ، غير أن البنادقة اشترطوا على الصليبيين ثمناً لهذا التعاون أن يهاجموا مدينة (زارا) ويستردوها من ملك هنغاريا (المجر) واستجاب الصليبيون لذلك ، على الرغم من غضب البابا وإصداره قرار الحرمان ضد الحملة كلها ثم قصره على البنادقة أخيراً .

وبينما الصليبيون يستعدون للاتجاه نحو مصر؛ إذا بثورة تشب في القسطنطينية تطيح بالإمبراطور إسحق الثاني، فيفر ابنه الكسيوس إلى الغرب طالباً المساعدة من البابا ومن الصليبيين عارضاً في مقابل



البندقية (بالإيطالية Venezia ، بالإنكليزية Venice) مدينة بشمال إيطاليا وهي عاصمة إقليم فينيتو وعاصمة مقاطعة فينيسيا. يقدر عدد سكانها ٢٧١ ألف نسمة. المدينة عبارة عن عدة جزر متصلة ببعضها عن طريق جسور، وتطل المدينة على البحر الأدرياتيكي. تعتبر المدينة من أهم المدن الإيطالية ومن أكثر المدن جمالاً في إيطاليا، لما تتمتع به من مباني تاريخية يعود أغلبها إلى عصر النهضة في إيطاليا وقتواتها المائتة المتعددة ما يجعلها فريدة من نوعها على مستوى العالم.





الكاتدرائية الرئيسة في البندقية (فينيسيا)



جسر مسلح يربط بين الضفتين

كانت البندقية تتمتع بحكم ذاتي أثناء العصور الوسطى وما بعد ذلك، وكانت تسمى جمهورية البندقية أو Republic Of Venice وتعتبر من أهم مرفأى أوروبا تجارياً أثناء الحملات الصليبية. ومنها انطلقت الحملة الصليبية الرابعة التي دعا عليها البابا أنو سنت الثالث سنة ٥٩٤ هـ - ١١٩٨ م . وتتمتع بقوة بحرية هائلة.



كانت للبنديقية علاقات تجارية ومالية قوية بوسط أوروبا حيث تقوم بتسويق تجارتها في هذا النطاق، كما توطد فيها نظام البتوك، وكانت لها علاقاتها المثبتة مع مصر وشرقي البحر المتوسط ومع العالم الإسلامي تركزت على تجارة الشرقيين الأقصى والأدنى، وكانت مركز اتصال حضاري بعيد المدى بين الشرق الإسلامي .

لقطات متنوعة من البنديقية

مدينة البنديقية الإيطالية، تأسست في القرن الخامس الميلادي على شواطئ الأدرياتيكى الشمالية، وأسبها بعض سكان أوروبا الفارين من غارات الهون أثناء اكتساحهم لوسط القارة الأوربية وشمال شرقي إيطاليا. وأصبحت مدينة البنديقية في القرن الحادي عشر الميلادي تتكون من سبع عشرة ومئة جزيرة تربط بعضها ببعض الجسور والقناطر، وأصبح لها أسطول تجاري وحربي ضخم؛ وكما اهتمت جنوة بتجارة غربي البحر المتوسط، كذلك اهتمت البنديقية بالتجارة الشرقية، تشاركها في هذا جنوة وبيزا، وكان للبنديقية مدرستها الفنية الممتازة في الرسم والتصوير الخاصة بها. وهدت جمهورية البنديقية منذ القرن الحادي عشر الميلادي جمهورية أرستقراطية تركزت السلطة والحكومة فيها في يد فئة من السكان حرصت على المحافظة على حقوقها، حيث تميزت البنية السكانية بنمو الطبقة الوسطى البرجوازية على عكس ما كانت عليه البنية السكانية في معظم أوروبا التي خضعت للنمط الإقطاعي، بل إن هذه المدينة احتفظت بدستورها الجمهوري قرابة سيمائة عام تقريباً .



قارب يبحر عبر أزقة البنديقية المائية



تعتبر القوارب الوسيلة الأنسب للتنقل في البندقية



تتميز **البندقية** بكونها عبارة عن أكثر من مئة جزيرة ملتصقة كانت وما زالت من أصعب أماكن التنقل عملياً وهندسياً. حيث لا تزال وسيلة التنقل في البندقية محصورة في القوارب الكلاسيكية المتوفرة بكثرة في المدينة والتي يطلق عليها (Gondola) أو الجناديل وبعض الشوارع خارج قلب المدينة. ولعلك أخي القارئ الكريم تلاحظ من خلال هذه الصور في هاتين الصفحتين المتقابلتين والسابقة: طبيعة البندقية الجميلة عبر أزقتها المائية، والذي قام مشكوراً بتصويرها؛ لهذا الأطلس التاريخي عن الحروب الصليبية، ابن الأخ

المهندس / **ماجد بن أحمد المغلوث**، والذي يرى في الصورة على أحد القوارب الكلاسيكية. حيث تنتشر كما أسلفنا هذه القوارب كوسيلة للتنقل بين جنباتها، وفي القرن التاسع عشر الميلادي تم توفير سكة الحديد إلى البندقية والتي تقع خارج مركز المدينة أيضاً. وفي القرن العشرين تم بناء شارع رئيس يوصل إلى المدينة ومواقف عامة. وفي واقع الحال تعتبر المدينة مثالية من ناحية عدم استخدام السيارات والشاحنات على مستوى أوروبا والعالم. واليوم يمكن الوصول إليها جواً عن طريق مطار تم استحداثه مؤخراً ليخدم البندقية والضواحي المحيطة بها وهو مطار ماركو بولو الدولي.



مدينة زارا بجمهورية كرواتيا اليوم

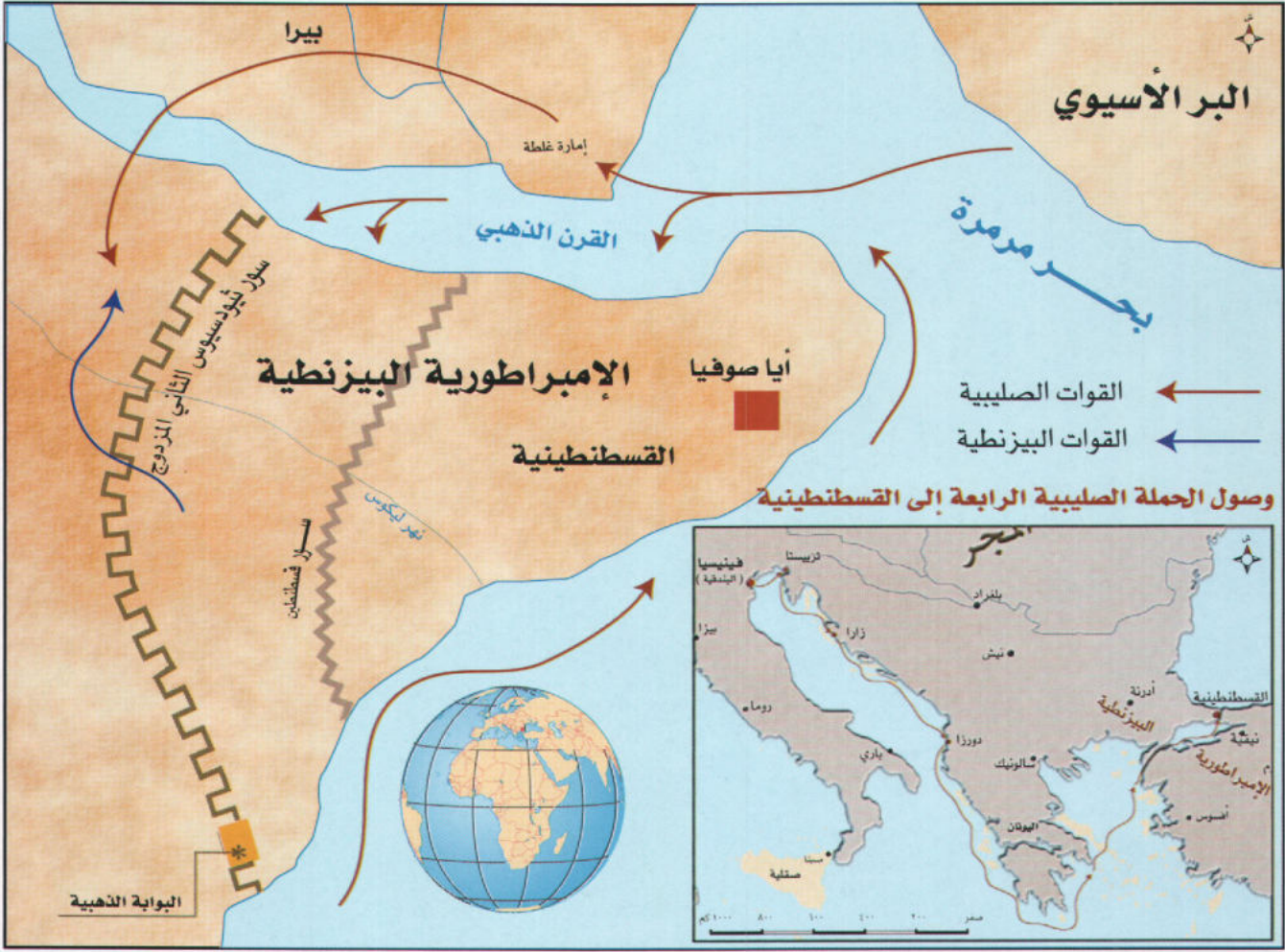


لما تجمع الصليبيون في خريف عام ١٢٠٢ م، ألفوا أنفسهم عاجزين عن جمع المال الذي وعدوا به البنادقة ثمناً لعملية النقل. فاقترحت عليهم ولاية البندقية الإقطاعية أن يقوموا لصالحها بغزو مدينة زارا ZARA في دلماسيا من أيدي ملك هنغاريا (المجر)، ورغم احتجاجات البابا، سرعان ما خف الصليبيون إلى احتلال المدينة في منتصف تشرين الثاني سنة ١٢٠٢ م.



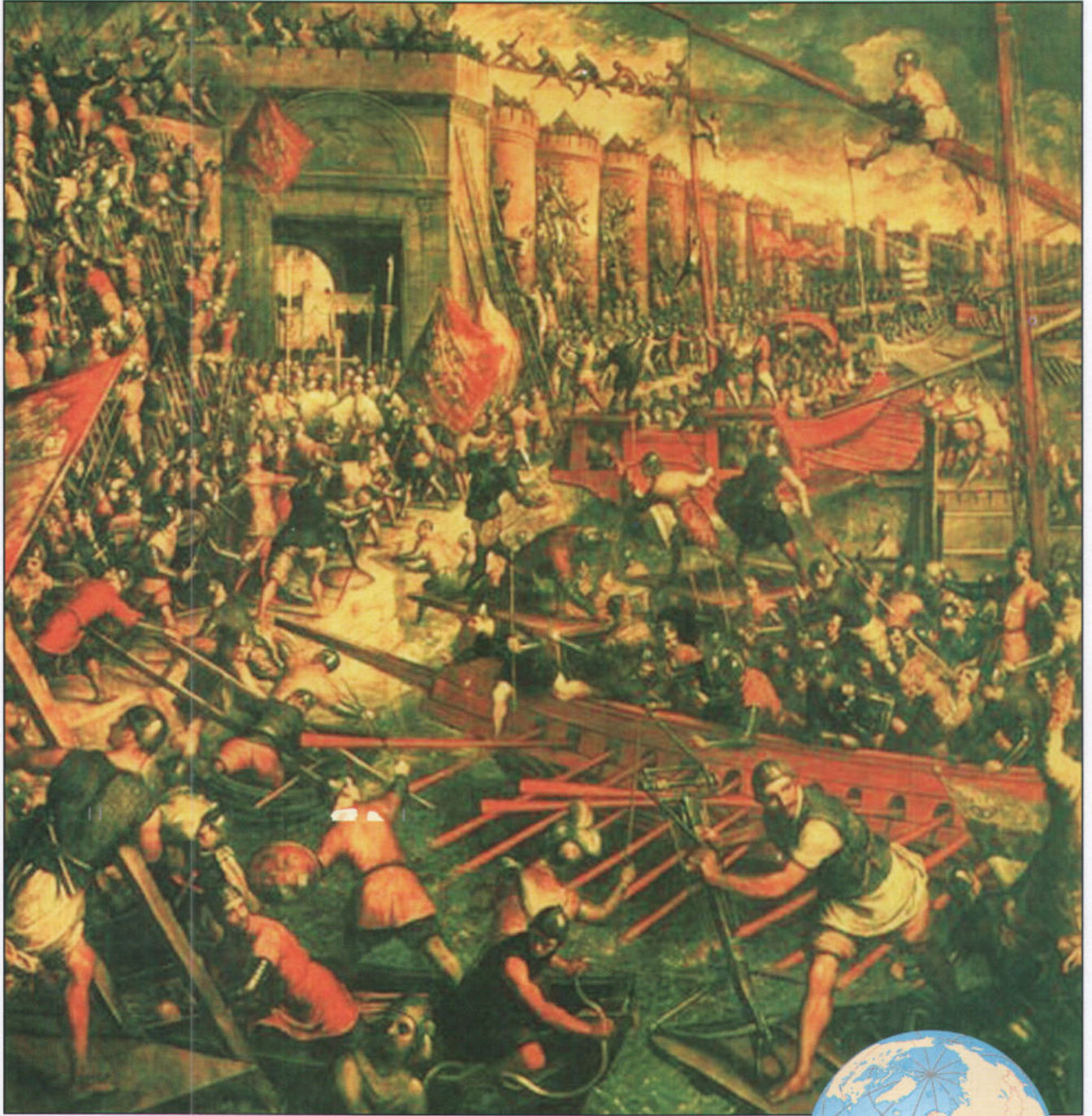
الكاتدرائية القديمة في زارا





في أغسطس ١٢٠٢ م، وصل إلى **البندقية** القائد الأعلى للصليبيين **بونيفاس دي مونفيرات**، وتواطأ بونيفاس مع دوق البندقية على تحويل الهجوم، ففي ٨ أكتوبر ١٢٠٢ م أبحر أسطول الصليبيين من البندقية واحتل **زارا** المجرية التي دافعت دفاعاً مستميتاً، عن كيانها المهدد من قبل الحملة الصليبية الرابعة. وأصبحت زارا تحت حكم البندقية. لذلك أعرب الكرسي الأعلى في الكنيسة عن غضب يليق بالحادثة، ولكنه لم يتخذ إجراءات فعلية، فهدد بجرمان الفرسان من الكنيسة، ولكن الهجوم كان إلى حد ما في مصلحته، فكان وسيلة لتوحيد الكنيسة تحت رايته، فكان تأكيده لتحريم الاستيلاء على أملاك الروم (بيزنطة) مشوباً بفجوات مثل "إلا إذا شرعوا يقيمون دون تبصر العوائق أمام حملتكم"، وفي ٢٤ مايو ١٢٠٣ م، غادر الأسطول كورفو التي كانت محطة له إلى القسطنطينية.

في **القسطنطينية** واجه الصليبيون خصم ضعيف، فبيزنطة أرهقتها الحملات السابقة، والأتاوى والضرائب المتزايدة وتناقصت واردات الدولة، فوصلوا إلى شواطئها في ٢٣ يونيو، وبدأت العمليات العسكرية في ٥ يوليو ١٢٠٣ م، ففر إمبراطور بيزنطة الكسيوس الثالث، وعملياً استسلمت **القسطنطينية** البالغ تعداد سكانها زهاء ١٠٠ ألف في ١٧ يوليو ١٢٠٣ م. وجرى تقسيم بيزنطة بين الصليبيين والبندقية ودمرت آثار ثقافة عريقة، وأصبحت أحداث ١٢٠٢-١٢٠٤ تظهر الصليبيين على صورتهم الحقيقية القائمة على الجشع المادي المتلبس بالدين؛ بعد إن كانت كما يزعمون أمراً إلهياً باسم الكنيسة.



مرتمم لاحتلال القسطنطينية

انتصار القوات البيزنطية على القوات الصليبية واحتلال القسطنطينية البالغ تعداد سكانها زهاء ١٠٠ ألف نسمة آنذاك، في ١٧ يوليو ١٢٠٣م. فقام **الصليبيون** بتقسيم **بيزنطة** بين الصليبيين والبنديقية ودمر الصليبيون حضارة بيزنطة من جراء هذا الاحتلال.



جاءت الحملة الصليبية **الرابعة** باستيلاء الصليبيين أصحاب الكنيسة الغربية الكاثوليكية على الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية عام ١٢٠٤م، ورأسها أول كاثوليكي منذ إنشائها وبذلك تحولت عن هدفها الأساسي ورسالتها الصليبية، قال عنها أحد المؤرخين الغربيين: (بأنها جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها).



كنيسة آيا صوفيا بإستانبول والتي حولها المسلمون إلى مسجد ثم حولها العلمانيون إلى متحف

تأسست **القسطنطينية** عام ٦٥٨ ق.م. وكانت من قبل قرية للصيادين. وتعرف باسم **بيزنطة** وفي عام ٣٣٥ م جعلها الإمبراطور قسطنطين عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) وأصبح يطلق عليها القسطنطينية على اسم الإمبراطور قسطنطين مؤسس الإمبراطورية، وكان بها مقر بطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية كنيسة آيا صوفيا (انظر الصورة في الأعلى) .

وكان السلطان العثماني محمد الثاني فتحها عام ١٤٥٣م . ثم أطلق عليها العثمانيون الآستانة. ويطلق عليها اليوم إستانبول. تراجمت أحوالها أثر وفاة الإمبراطور جوستيان الحازم. وفقدت الكثير من مناعتها جراء **الحملة الصليبية الرابعة** التي أنهكت دفاعاتها. فالمدينة لم تستطع في مائتي عام أن تتعافى من سبي اللاتين أهلها وحرقتهم بيوتها ومبانيها وساحاتها. وإذا كان الانشقاق الكبير ما بين الكنيستين قد حصل عام ١٠٥٤م، نتيجة التنافس على الأولوية بين أباطرة الشرق والغرب وأخبارهم، فإن الانشقاق قد اتسع كثيراً في العام ١٢٠٤م، أي عند دخول الجيوش الصليبية المدينة وحرقت مبانيها العامة والخاصة والعبث بكنائسها.



حملة الأطفال

سنة ٦١٩ هـ - ١٢١٢ م.

قادة الحملة : طفل فرنسي اسمه ستيفن، وآخر ألماني اسمه نقولادي كلونيا .

سبب الحملة :

أدعى صبي فرنسي يشتغل برعي الغنم اسمه (ستيفن) أن المسيح عليه السلام أمره بالخروج للمشاركة في الحروب الصليبية، فلبى هذه الدعوة أكثر من ثلاثين ألفاً من أطفال أوروبا من فرنسا وألمانيا، ولاسيما أن رجال الدين النصارى اعتقدوا أن هؤلاء الأطفال سيحققون من الأعمال والمنجزات ما عجز عنه الكبار .

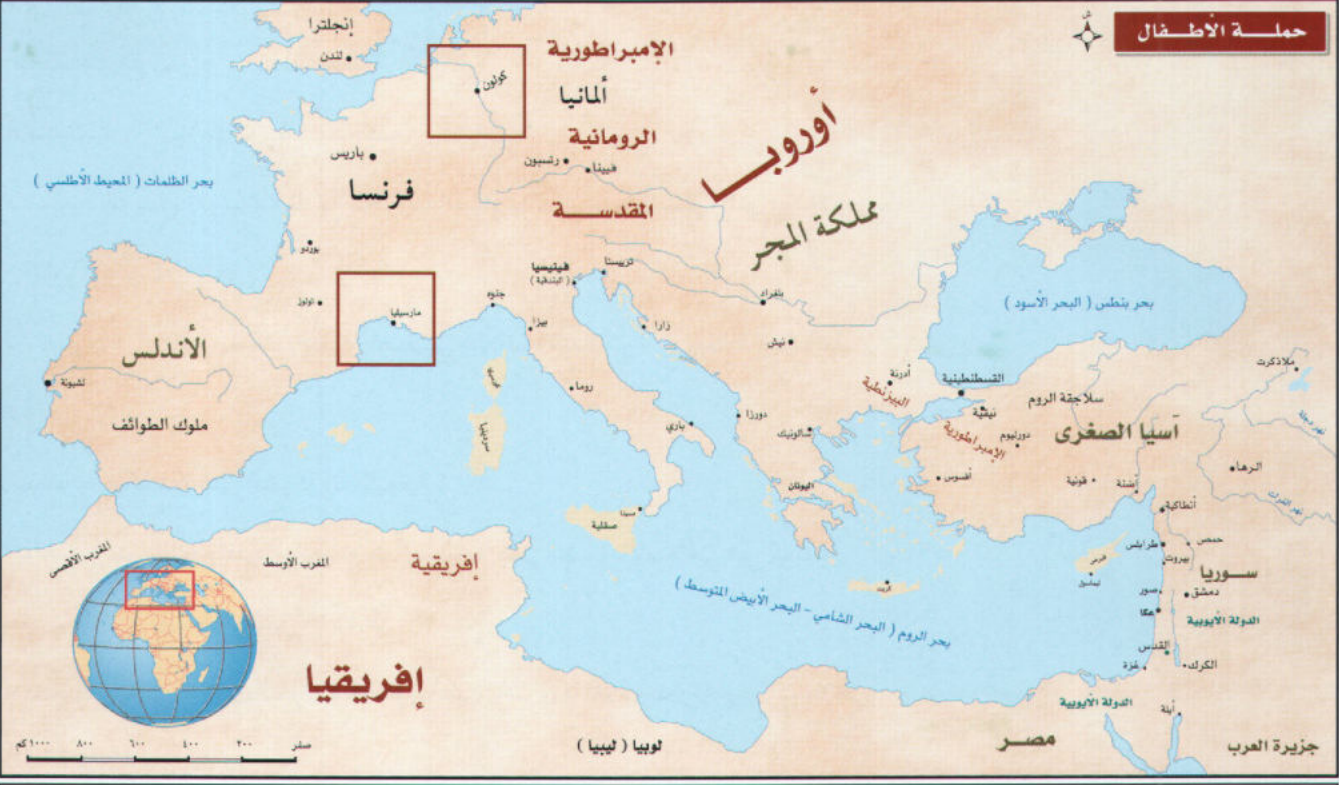
تجمع الأطفال في جنوبي مرسيليا ثم أبحروا إلى شمالي إفريقيا، أما الأطفال الألمان فتوجهوا نحو إيطاليا عبر جبال الألب ووصل بعضهم إلى



ستيفن مستمعاً لحديث شبيه المسيح



حملة الأبطال



برنديزي . انتهى الأمر بحملة ستيفن أن بيعت في أسواق الرقيق في تونس والشرق ، بينما حملة نقولا هلك أكثرها في إيطاليا ومن نجا منها فقد تبناه الإيطاليون .

يرى بعض المؤرخين إن هاتين الحملتين: لم تكونا سوى جموع من الأقتان والفقراء الذين استاءوا من الفشل الذي لاقته الحملات السابقة بقيادة الأسباط، وإنهم الريفيون المتحمسون دينياً والمعادون للإقطاعية بدوافع تحررية، وذلك اعتماداً على كتابات بردس ، أحد كتاب الأحداث، بوصفه لهم بـ "طاقة الريف التمردية" و"احتياطي الهرطقة". وإن تسميتهن بالحملة الطفولية أو حملة الأبطال جاءت كاستعارة صورية لهذه الجموع ولم تكن ترتبط حقيقة بكون المشاركين فيها من الأطفال، وإنما تصويراً لفظي أصبح فيما بعد وهم تاريخي .



حملة الأبطال في الأدب الأوروبي

أهم مصادر ومراجع الباب السادس

- ١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٢ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
- ٣ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.
- ٤ - د . علي عبد الحلیم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ٧ - محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب . دار الغرب الإسلامي، ط . ١٩٨٢ م .





الحملة الصليبية الخامسة

★ موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ

★ معركة المنصورة الأولى



الحملة الصليبية الخامسة

سنة ٦١٤ هـ - ٦١٨ هـ - ١٢١٧ م - ١٢٢١ م .

قادة الحملة : ليبود دوق النمسا، وأنديرييه الثالث ملك هنغاريا، بهما ملك قبرص .

سبب الحملة :

دعا البابا **هنريوس الثالث** إلى حرب صليبية جديدة؛ بغرض استرجاع **بيت المقدس** من قبضة المسلمين الذين قاموا بتحريره، وتلبية لرغبة بعض الأمراء الصليبيين في بلاد الشام استجاب لنداء بعض الزعامات الأوروبية. لقد وصلت الحملة الصليبية إلى **قبرص** ثم إلى مملكة بيت المقدس (**عكا**) وانهزموا فيها، ثم جاءت إمدادات أوروبية فتغير مسارها إلى **مصر** وبالتحديد في **دمياط** بقيادة بلاجيوس، والملك يوحنا دي برين ملك ماتبقى من بيت المقدس .

في نوفمبر ١٢١٥ م ، انعقد المجمع اللاتيني الرابع في **روما** ، واتخذ سلسلة من القرارات المبدئية التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية بشكل عام ، وكان ذلك بداية تشكيل شكل من مؤسسة دائمة للحملات الصليبية، ووضع هذه المشاريع على أساس امتن ، وأمر الأسياد والمدن، وفقاً لوضعهم الاقتصادي والمالي، بأن يقدموا للحملة مجموعة حربية ذلك عدد معين من العناصر، ويؤمنوا لها الأموال لمدة ثلاث سنوات. وقرر المجمع اللاتيني ضريبة استثنائية إلزامية لتأمين حاجات الحملات وذلك على شكل جزء من عشرين من الدخل السنوي وكان على

الباباوات والكرادلة أن يدفعوا ضريبة مزدوجة، أما الخارجون عن الطاعة فكانت الكنيسة تتخذ عقوبات كنسية صارمة ضدهم، وتم تنظيم حملات الوعظ ووضع الكتب التعليمية لأجل تهذيب الحملات الصليبية، وبذلك نظمت الحملات الصليبية تنظيماً مؤسسياً. تحددت سنة ١٢١٧ م موعداً لبداية **الحملة الخامسة** ، وخطط لها أن تنطلق من ميناء **برنديسي** الإيطالي، وكان من الملوك الذين أخذوا النذر الصليبي فريدريك الثاني الألماني، واندراش (اندره) الثاني المجري، ويوحنا بلا ارض الإنجليزي ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ومات

البابا أنوسنت الثالث والملك الإنجليزي يوحنا بلا ارض، على التوالي، الأول في ١٦ يوليو، والثاني في ١٦ أكتوبر من عام ١٢١٦ م. **فانتقلت البابوية** بقيادة تنظيم الحملة إلى البابا أونوريوس الثالث، الذي عين القاصد الرسولي في قوات الصليبيين الكاردينال بيلاجيوس من البانو. وكان الملك المجري إندرياش الثاني وأسياد التحقوا به (معظمهم من جنوبي ألمانيا) وصلوا ما بين يوليو وأغسطس من عام ١٢١٧ م إلى سبليت، ولكنهم اضطروا للانتظار بسبب عدم كفاية السفن لنقل الفيالق الصليبية إلى جبهة القتال .





اضطراب الوضع بعد الحملة الصليبية الرابعة

الإسبتيارية

بدأ ظهور فرسان مالطة عام ١٠٧٠م، كهيئة داعمة، أسسها بعض الإيطاليين، لرعاية مرضى النصارى، في مستشفى (قديس القديس يوحنا) قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، في فلسطين وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم **فرسان المستشفى أو الإسبتيارية** باللغة الإيطالية تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل **فرسان المعبد (الداوية)** و"الفرسان التيوتون" وغيرهم، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد، وكان التزايد الكبير في أعداد الوافدين النصارى إلى مدينة القدس قد زاد في بداية القرن الحادي عشر لاتجاه بعض الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين، وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى "قديس القديس يوحنا" كذلك استطاع تجار مدينة "أمالفي" ١٠٧٠م تأسيس جمعية داعمه في بيمارستان قرب كنيسة **القيامة** في بيت المقدس للعناية بالاجانب، ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان **الإسبتيارية** في اللغة العربية، ولم يلبث أولئك الإسبتياريين أن دخلوا تحت لواء النظام الديرى البندكتي المعروف في غربي أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسمياً في ١٥ فبراير ١١١٣م، وهكذا أصبح نظامهم يلقي مساندة من جهتين: تجار أمالفي وحكام البروفانس في فرنسا. عندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧م وتم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى (جيرارد دي مارتيز) تنظيمًا منفصلاً

أسماء "رهبان مستشفى قديس القديس يوحنا" وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين وخاصة بعد أن تحولوا إلى نظام **فرسان عسكريين** بفضل ريموند دو بوي (خليفة مارتينز) الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا (أنوسنت الثاني) ١١٣٠، حتى قيل "إن الفضل في بقاء مدينة القدس في أيدي الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى **فرسان الإسبتيارية** بجانب **فرسان المعبد** وقد كان تشكيل تنظيم **الإسبتياريين** ينقسم إلى **ثلاث فئات**: **فرسان العدل** الذين هم من أصل نبيل (نبلاء) وأصبحوا فرساناً. **القساوسة** الذين يقومون على تلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم. **إخوان الخدمة** وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

لم تستقر الأمور بين المسلمين والصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية **الرابعة** - على الرغم من الاتفاقات والمعاهدات - ذلك أن الصليبيين (الفرنجة) أسرع إلى نقض العهود والغدر والخيانة وتلك طبيعتهم .

فقد أراد **الإسبتيارية** في **حصن الأكراد** أن يستولوا على مدينة **حمص** سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م، فتكررت هجماتهم عليها حتى وصلوا إلى أسوارها فاستنجد صاحب حمص آنذاك أسد الدين شيركوه الثاني، بالملك الظاهر صاحب حلب، فسير له إليه عسكرياً منع عنه الصليبيين. وفي شتاء ١٢٠٧ م - ٦٠٤ هـ، استولى قراصنة صليبيون من **قبرص** على سفن مصرية وأسروا من فيها، فخرج إليهم السلطان العادل على رأس جيش قاصداً عكا وانتهى الأمر برد أسرى المسلمين .

ثم اتجه العادل إلى **حصن الأكراد** لإبعاد خطر **الإسبتيارية** عن حمص فعسكر عند بحيرة قدس قرب حمص، وجمع هناك قوة من عدد من الأمراء ثم أعلن أنه يقصد طرابلس بينما قصد **حصن الأكراد** فهاجمه وأسر خمسمائة رجل و**غنم** وإن كان لم يستطع الاستيلاء على الحصن لمناعته.

ثم زحف العادل إلى **طرابلس** واستولى في طريقه إليها على حصن القليعات ولكنه أطلق سراح حاكمه. وقد أدت حروب العادل هذه إلى أن يسرع بوهيمند الرابع صاحب طرابلس، إلى طلب الصلح فأجابه العادل إلى ذلك. كما أن الملك حنّا برين عقد معاهدة مع السلطان العادل مدتها ست سنوات من ١٢١١ - ١٢١٧ م، ٦٠٨ - ٦١٤ هـ، وإن كان حنّا هذا أخذ يدبر مع الصليبيين **حملة لغزو مصر** عقب انتهاء الهدنة مباشرة؛ فأخذ يرسل **روما** ويطلب إعداد هذه الحملة، وما إن انتهت الهدنة حتى كانت دعوة حنّا برين قد أثمرت، و**بدأت الجموع الصليبية تشق طريقاً نحو الشرق لحملة صليبية خامسة**.



قلعة الحصن أو حصن الأكراد، هي قلعة تقع ضمن سلاسل جبال الساحل السوري غربي حمص بـ ٦٠ كم في سوريا ، في ١١٤٤م، قام ريموند الثاني أمير طرابلس بتسليمها إلى فرسان القديس يوحنا المعروفين بالاسبتارية أو فرسان المشفى ، ومنذ ذلك الحين بدأ المكان يعرف باسم حصن الفرسان ، وقد أعاد الاسبتارية بناء الدفاعات الجديدة للقلعة، وقامو بترميمها بعد الزلزال الذي أصابها عام ١١٥٧م وتعد من أجمل القلاع الصليبية في الشرق .



قلعة الفرسان (الاسبتارية)



برج القائد

قلعة الحصن، قلعة لعبت دوراً ريادياً في أحداث الحروب الصليبية وكانت واحدة من أكثر المواقع الصليبية صموداً.

أنشئت قلعة الحصن في العام ١٠٣١م ، على يد أمير حمص حيث وضع حامية كردية في الموقع، وأسماه **حصن الأكراد** . سقط الموقع عام ١٠٩٩م، بيد الأمير الصليبي ريموند دي سنجيل، الذي شن الحملة الأولى على المسلمين قرب الموقع، واحتله لفترة وجيزة في ١١٠٣م، لكن أمير حمص استعاد الموقع من الصليبيين عام ١١١٠م، بيد أن تانكريد أمير أنطاكيا الصليبي احتل القلعة والحقها بكونتية طرابلس، ومنذ ذلك الحين باشر ببنائها على الطراز القائم حالياً، تمتاز القلعة بلون حجارها الكلسية التي كانت تجلب من مسافة ٤ كم من بلدة مجاورة تدعى (عمار الحصن) وميزة الحجر الكلسي أنه طبع أثناء النحت وخفة الوزن.

لهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق، ويمتاز بأبراجه العالية ويتألف من طابقين. الأرضي ويضم فسحة سماوية تحيط بها الأبراج والمعابر وقاعة الاجتماعات، والكنيسة والمطعم والحجرات والمعاصر، والعلوي ويحتوي على أسطح مكشوفة ومهاجع وأبراج، ويرى في هذه الصورة مؤلف ومصمم الكتاب أمام برج القائد في الدور العلوي .



الزحف الصليبي على دمياط (مصر)

دعا **البابا أنوسنت الثالث** لحملة صليبية جديدة سنة ١٢١٣ م، وأعلن أن هذه الحملة يجب أن تتجه نحو الشام مباشرة. ووصلت الحملة الصليبية إلى الشام في سنة ٦١٥ هـ، تحت زعامة ليوود السادس (دوق النمسا) وأنديريه الثاني (ملك هنغاريا) ثم لحق بهما، بهمايهو (ملك قبرص) . واجتمعوا في عكا في شهر أكتوبر ١٢١٧ م، وقرروا البدء بمهاجمة **القلعة الجديدة** التي شيدها **العادل** على جبل الطور للسيطرة على إقليم الجليل واتجه إليهم **الملك العادل** ، ولكنه أثار الانسحاب من وجههم فاستولوا على بيسان، ثم عبروا الأردن وأوغلوا حتى وصلوا إلى نوى (وينسب إليها الإمام المحدث النووي، صاحب رياض الصالحين) .

ووجه العادل اهتمامه إلى الدفاع عن **دمشق وبيت المقدس**، واتجه **الصليبيون** إلى قلعة الطور ولكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ثم عاد ملك هنغاريا (المجر) إلى بلاده، ولم تحقق حملته مع ملك النمسا شيئاً سوى هدم حصن الطور الذي هدمه العادل بنفسه، لما رأى ما يجره عليه من عداة الصليبيين. أما دعوة حنا برين، لمهاجمة **مصر لأنها عند الصليبيين هي مفتاح بيت المقدس** لذلك تدفقت جموع الصليبيين إلى الشام استجابة لدعوة البابا أنوسنت الثالث، والملك حنا برين. وخرج **حنا برين** لمهاجمة مصر ومعه تلك الجموع والإسبترارية والداوية والقبارصة قاصداً **دمياط** في ٦١٦ هـ ١٢١٨ م، وكان حنا زعيم الحملة، و**لم ينس** **الصليبيون أن يتصلوا بملك الحبشة النصراني**، ليعاونهم في ضرب المسلمين والإسلام عن طريق



هجوم الصليبيين على دمياط

غزو الحجاز وهدم الكعبة. ووصلت سفنهم **دمياط**، وعلم الملك **الكامل** ابن الملك العادل بوصولهم، فأسرع بالتحرك نحو جنوب دمياط.

بينما رسا الصليبيون على الضفة الغربية للنيل،

وأخذ الصليبيون يهاجمون برج السلسلة ثلاثة أشهر ثم استولوا عليه في نهايتها، وقد حاول المسلمون إقامة العوائق في النيل حتى لا تدخله سفن الصليبيين ولكن الصليبيين أفسدوا هذه العوائق .

وانتظر حنا برين في مواجهة الجيوش الإسلامية حتى جاءه مدد من أوروبا على رأسه الكاردينال (بلاجيوس) مندوب البابا والقائد الأعلى للصليبيين في حملتهم على مصر، وحاول **الملك المعظم** أن يشغل **الصليبيين** عن **مصر** فهاجم قيسارية واستولى عليها، لكنه لم يستطع المضي في الاستيلاء على ما يريد من القلاع والحصون، وتوفي الملك العادل في جمادى الثانية سنة ٦١٥ هـ - ١٢١٨ م، وخلفه **ابنه الكامل** في



الحكم على مصر، وابنه الملك المعظم على دمشق .

وفي شهر رجب من نفس العام هاجم **الملك الكامل الصليبيين** في **دمياط** ولكن الصليبيين تغلبوا عليه، ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى دبر الأكراد مؤامرة للإطاحة بالملك العادل ففر منهم، فلما رأى الجند فرار الملك تخاذلوا وانصرفوا **فعبّر الصليبيون النيل** إلى الضفة الشرقية وأصبح سقوط دمياط مسألة وقت، لكن وصول الملك المعظم لنجدة أخيه أخرت الأمر بعض الشيء.

وصادف ذلك جيوش جنكيز خان **للدولة الخوارزمية**، فاضطرب الكامل وأحس أن حماية الجبهة الإسلامية الشرقية من **المغول** عمل ضروري فعرض الصلح على الصليبيين، فرفض الصليبيون وبخاصة **بلاجيوس** مندوب البابا هذا الصلح، وإن قبله حنّاً برين. فهاجم الصليبيون معسكر الكامل، وفشلوا في ذلك ومنوا بهزيمة ولكنهم ظلوا محاصرين لدمياط، وجاءتهم نجدة من الإنجليز والفرنسيين في حين ساءت الأحوال في مصر وغلت الأسعار (وأصبحت قيمة البيضة بدينار من الذهب) **فسقطت دمياط في أيدي الصليبيين سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م**، وأعملوا القتل في أهلها والإفساد لكل ما فيها، ثم اتخذوا منها مركزاً وحصناً يهددون منه القاهرة ويتحكمون منه في شرق البحر المتوسط. وفي ذلك الوقت كانت جيوش التتار قد وصلت إلى قرب بغداد واستجد الخليفة العباسي بالملك الأشرف أخي الملك الكامل، ولكن الأشرف اعتذر بأنه ذاهب لنجدة أخيه ضد الفرنج. وقد اغتر **الصليبيون** باستيلائهم على **دمياط** ورفضوا عروضاً من الملك الكامل كانت مغرية حقاً ليجلوا عن دمياط. فاتجهوا إلى مهاجمة **القاهرة** وتحركوا نحوها في أواخر يونيو ١٢٢١ م، ٦١٩ هـ .



موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط - البحر الشامي)



كان الملك الكامل الأيوبي؛ نقل معسكره إلى فارسكور حيث خيم بالمنزلة الجديدة التي شيدها على الشاطئ الشرقي للنيل (المنصورة) وجمع الملك الكامل وأخواه المعظم والأشرف كل قوة يمكنهم جمعها واستعدوا لمواجهة الصليبيين. **وعرض الملك الكامل على الصليبيين عرضه من جديد، ولكنهم أبوا وشرعوا في التحرك نحو القاهرة** وتقدموا وسط مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات: هي بحيرة المنزلة من الشرق، وفرع دمياط من الغرب، والبحر الصغير من الجنوب. ووقفت السفن الإسلامية في النيل لتسد الطريق عليهم وتمنعهم من الاتصال بمركزهم في دمياط وكان وقت الفيضان للنيل، فقطع المسلمون السدود فغرقت أكثر الأرض المحيطة بالصليبيين ولم يبق لهم للعودة إلى دمياط سوى طريق ضيق ملأه الملك الكامل بالقوات العسكرية التي أخذتهم وهم يحاولون العودة على دمياط .

وساء موقف الصليبيين وتجمدوا عند البرامون فلا يستطيعون المضي ولا العودة ولا يستطيعون القتال في الوحل؛ فطلبوا الصلح هم هذه المرة، خانعين طالين النجاة بأنفسهم فقط؛ فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك بشرط أن يرسلوا له **برهائن من الملوك** حتى يسلموا دمياط للمسلمين، وجلوا عن دمياط في رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١ م، ودخلها الملك الكامل والمسلمون. **وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة التي دعا إليها حنّا برين، والبابا أنوست الثالث وعادت من غزو مصر بالخزي والمذلة والانسحاب .**



مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية الخامسة

في ٣٠ مايو ١٢١٨م، وصلت طلائع الحملة الصليبية الخامسة بقيادة حنّا دي برين أمام **دمياط** واستطاعت الحملة الاستيلاء عليها، ونجحوا لمدة ١٦ شهراً، وبعد أن تم الاستيلاء على دمياط وتحصينها تقدموا لمنازلة جيش الملك الكامل الذي تجمع أمام **المنصورة** وكان يفصل بين الجيشين فرع دمياط وبحر أشمون، وقطع الملك الكامل الطريق بين الفرنجة ودمياط. وشيد تحصينات قوية على النيل جنوب دمياط، وطلب **الصليبيون** الصلح على أن يخرجوا من دمياط والبلاد كلها.. ورحل **الصليبيون** إلى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط وأرسلت البشائر بتحرير **دمياط** إلى جميع الدول الإسلامية.



الجيش الصليبي

بحر أشمون

نهر النيل (فرع دمياط)

المنصورة

الفرسان

الجيش الإسلامي

المشاة

القوة الاحتياطية



شاطئ مدينة دمياط



جامع النصر بمدينة المنصورة



جامع محمد علي داخل قلعة صلاح الدين بالقاهرة



قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، مصر. بناها **صلاح الدين الأيوبي** في الفترة ١١٧٦م حتى ١١٨٣م، باستخدام أسرى نورمان. أضاف إليها محمد علي مسجده. كانت مقراً لحكم مصر **منذ عهد صلاح الدين الأيوبي** (١١٨٣) حتى نقل الخديوي إسماعيل مقر الحكم إلى قصر عابدين، الذي بناه لهذا الغرض في عقد ١٨٦٠م.

قلعة صلاح الدين الأيوبي تقع في حي "القلعة" - قسم الخليفة - وقد أقيمت على إحدى الرسى المنفصلة عن جبل المقطم على مشارف مدينة القاهرة. وتعتبر قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة من أفخم القلاع الحربية التي شيدت في العصور الوسطى فموقعها استراتيجي من الدرجة الأولى بما يوفره هذا الموقع من أهمية دفاعية لأنه يسيطر على مدينتي القاهرة والفسطاط، كما أنه يشكل حاجزاً طبيعياً مرتفعاً بين المدينتين كما أنه بهذا الموقع يمكن توفير الاتصال بين القلعة والمدينة في حالة الحصار كما أنها سوف تصبح المعقل الأخير للاعتصام بها في حالة إذا ما سقطت المدينة بيد العدو. ولقد مر بهذه القلعة الشامخة الكثير والعديد من الأحداث التاريخية حيث شهدت أسوارها أحداثاً تاريخية مختلفة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وزمن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، وحتى تولى محمد علي باشا حكم مصر حيث أعاد لها ازدهارها وعظمتها. ولقد كان السلطان الناصر **صلاح الدين يوسف بن أيوب** أول من فكر ببناء القلعة على ربوة الصوة في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م حيث قام وزيره بهاء الدين قراقوش الأسدي بهدم المساجد والقبور التي كانت موجودة على الصوة لكي يقوم ببناء القلعة عليها حيث قام العمال بنحت الصخر وإيجاد خندقاً اصطناعياً فصل جبل المقطم عن الصوة زيادة في مناعتها وقوتها. ويكبيديا، الموسوعة الحرة على النت .



حاول الصليبيون جاهدين بعد سقوط دمياط من الاتجاه نحو القاهرة عبر نهر النيل، لكن المصريين هزمهم في معركة المنصورة



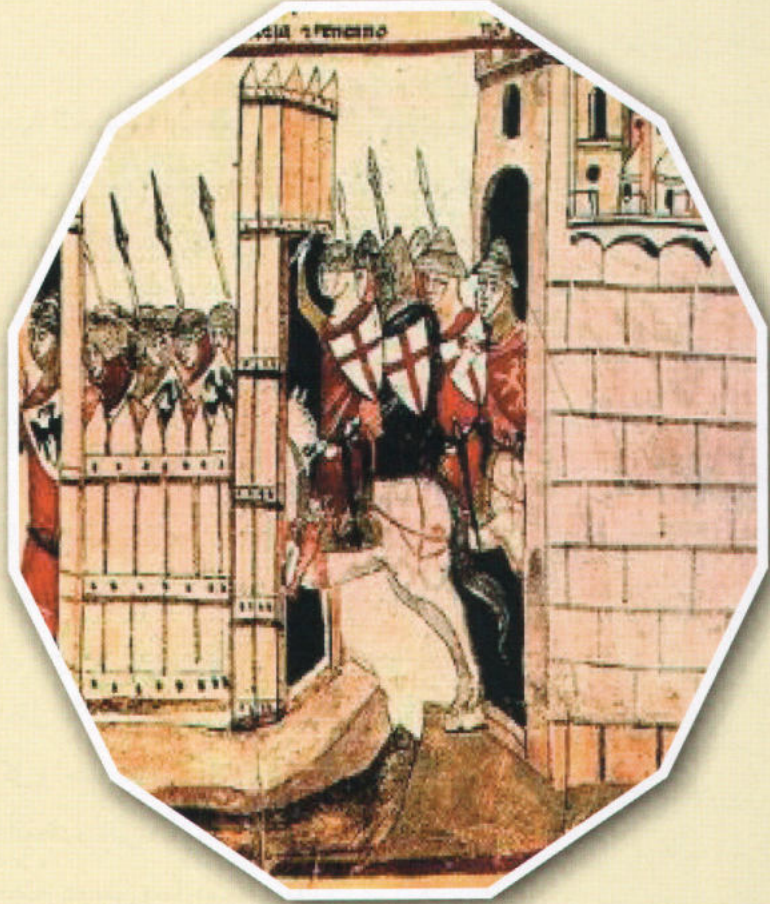
جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة

كتب الدكتور جوزيف نسيم يوسف ،
 أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية
 الآداب بجامعة الإسكندرية عن
 الغزو الصليبي، أثبتت الأحداث التي
 كان مسرحها العالم العربي منذ القدم
 حتى يومنا هذا، أن الحروب الصليبية
 تمثل حلقة من حلقات الاستعمار
 ومرحلة من مراحلها، وإن كان لها
 وضعها الخاص في تاريخ الاستعمار
 مما يتفق والظروف التي صاحبت
 قيامها . وقد اعترف عدد غير قليل
 من المؤرخين الغربيين الحديثين
 المعنيين بالعدوان الصليبي بحقيقة
 أبعاده ومراده دراسات في تاريخ
 العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٧

أهم مصادر ومراجع الباب السابع

- ١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٢ - رنيه كروسيه، الحروب الصليبية صرع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه ، أحمد ابيش ، دار قتيبة - دمشق - سوريا .
- ٣ - د . جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢ م .
- ٤ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية، أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، نشر وتوزيع دار قتيبة، دمشق ، راجعه د . سهيل زكار .
- ٥ - موسوعة ويكيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ٧ - محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب . دار الغرب الإسلامي، ط . ١٩٨٢ م .
- ٨ - Google Earth





الحملة الصليبية السادسة

★ اتفاقية يافا وتسلم بيت المقدس للصليبيين

★ استرداد بيت المقدس مرة ثانية على يد الملك الصالح أيوب





الحملة الصليبية السادسة

سنة ٦٢٥ هـ - ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م - ١٢٢٩ م .

قادة الحملة : فريديريك الثاني .

سبب الحملة :

بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة؛ تدهورت أحوال الصليبيين في المشرق فأخذ **البابا** يلح على الإمبراطور **فريديريك الثاني** لإعداد حملة صليبية جديدة تستعيد هيبة الصليبيين والكنيسة الغربية فتقاعس الإمبراطور لذلك مما أدى إلى إصدار قرار كنيسي بحرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة، فخشي الإمبراطور غضب البابا فخرج ملبياً طلبه مستغلاً الانشقاق داخل البيت الأيوبي والفرصة الذهبية التي أتته من **العادل** ١٩.

لقد كان لتضامن أبناء السلطان الأيوبي (العادل) الثلاثة: الكامل محمد، والمعظم عيسى، والأشرف موسى؛ أثره الواضح في تحقيق النصر في **دمياط**، وإفشال الحملة الصليبية الخامسة بقيادة "حنّادي برين"، وكان المأمول أن يظل هذا التحالف قوياً، لكن ذلك لم يحدث، فانفرد العقد، وانكفأ كل واحد منهم حول ذاته، يعظّم من شأن مصالحه ومكاسبه دون النظر إلى مصلحة أمتة؛ فشبّ صراع بين الكامل وأخيه السلطان المعظم عيسى صاحب دمشق .

واستعان كل واحد منهما بقوة خارجية لمؤازرته في مواجهة الآخر، فاستجد الملك **المعظم**؛ بالسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه سلطان الوله الخوارزمية، في حين استعان السلطان **الكامل** بالإمبراطور **فريديريك الثاني** صاحب **صقلية** وإمبراطور **الدولة الرومانية المقدسة** في غربي أوروبا. وكان الثمن الذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريديريك هو تسليمه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل الشامي، وذلك مقابل مساعدته في حربه ضد أخيه المعظم، وبإاله من

الكامل .. والتضريط في بيت المقدس

أرسل السلطان الكامل مبعوثه الأمير "فخر الدين يوسف" بهذا العرض إلى الإمبراطور فريديريك الثاني، فأحسّ فريديريك استقباله في **صقلية**. ورد على السلطان بسفارة مماثلة، وقد دعم هذا العرض السخي ما كان يعمل في نفس الإمبراطور من القيام بحملة صليبية إلى الشام، وقطع تردده في النهوض بهذه المهمة التي كان يستحثه البابا جريجوري التاسع على النهوض بها: فغادر **صقلية** في (رجب ٦٢٥هـ=حزيران ١٢٢٨ م) قاصداً بلاد الشام، ممنياً نفسه بيت المقدس، وبمجد يحققه يظل التاريخ الأوروبي يلهج بذكره .

وكانت تلك الحملة التي عرفت في تاريخ الحروب الصليبية **بالحملة الصليبية السادسة** من أعجب الحملات : فلم يتجاوز أفرادها ستمائة فارس فقط ، وأسطول هزيل ، وكان الإمبراطور فريديريك جاء إلى الشام ليفاوض لا ليحارب، أو أتى إلى الشرق في نزهة جميلة .



الحملة الصليبية السادسة

خط سير الإمبراطور فريديريك الثاني



ثمن غال في مقابل هدف غير نبيل .

وإذا كان السلطان الكامل قد عرض تسليم القدس للصليبيين مقابل الجلاء عن دمياط، فإنه قد يلتمس له البعض العذر فيما أقدم عليه؛ فإن هول المصيبة قد أطاش بلبه، وأعجزه عن التفكير السليم، ولكن ليس له عذر في عرضه الثاني، فضلاً عن كونه لا يملك الحق في هذا التنازل أصلاً، وهذا من أعجب ما يقابله الإنسان في تصفحه للتاريخ الإسلامي: تقريط دون حاجة، وتنازل مقابل أهداف غير نبيلة. وعندما وصل إلى "عكا" وجد الأمور على غير ما يتمنى، فالسبب الذي من أجله استدعاه السلطان الكامل قد زال وانتهى، فالملك المعظم عيسى الذي كان يعمل على التوسع على حساب أخوته وأهل بيته قد توفي، فلم تعد هنالك حاجة تدعوا السلطان الكامل إلى الوفاء بوعدته للإمبراطور فريديريك، بعد أن اقتسم الأخوان الكامل محمد والأشرف موسى ممتلكات أخيهما المعظم عيسى مثير القلاقل، وعادت الأمور في البيت الأيوبي إلى الهدوء والاستقرار إلى حد ما .



الإمبراطور فريديريك الثاني



سلاح المفاوضات الاستعطافي وتسليم بيت المقدس

ساء موقف الإمبراطور فريديريك الثاني من تغير الأوضاع، ولم يبق له سوى سلاح المفاوضات والاستعطاف، لتحقيق الهدف الغالي والأمل المنشود؛ فأرسل سفارة إلى السلطان الكامل تحمل له هدايا نفيسة، وتطلب منه الوفاء بما تعهد به للإمبراطور، وتسليم بيت المقدس له، وكان طبيعياً أن يرفض السلطان الكامل هذا الطلب بعدما تبدلت الأحوال التي أوجته إلى القيام بهذا العرض، غير أن رفض السلطان زاد من إصرار الإمبراطور على تكرار الطلب، والمبالغة في استمالة السلطان واستعطافه إلى حد التذلل والبيكاء، وبلغ به الأمر إلى أنه كتب للسلطان الكامل في أثناء المفاوضات: "أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج، وأنت تعلم أنني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خائباً أنكرت حرمتي بينهم!... فإن رأى السلطان أن ينعم عليّ بقبضة البلد والزيارة، فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر".



مرتسم أوروبي لفريديريك والكامل

أفلحت هذه السياسة وأثمرت استعطافات فريديريك في استمالة قلب السلطان الكامل، وكان رجلاً متسامحاً، ففرط فيما لا يملكه، وتسامح فيما لا يجوز التسامح فيه، ووافق على تسليم بيت المقدس دون أن يبذل الإمبراطور في الاستيلاء عليه قطرة دم، أو ضربة سيف، أو طعنة رمح، وإنما فاز ببيت المقدس بدمعة عين، وخداع نفس، وحقق ما عجز عن تحقيقه ريتشارد قلب الأسد بجيوشه الضخمة وإمكاناته الكبيرة. واتفق الفريقان على عقد اتفاقية يافا في (٢٢ من ربيع الأول ٦٢٦هـ = ١٨ من فبراير ١٢٢٩م) انظر المستد.

اتفاقية يافا

- ١ - الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات، على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصره وصيدا، وقسم من دائرة صيدا وطورون (تبنين حالياً).
- ٢ - أن تبقى مدينة القدس على ما هي عليه، فلا يُجدد سورها، وأن يظل السور بما يضمه من المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، وتقام فيه الشعائر، ولا يدخله الصليبيون إلا للزيارة فقط.



موقف المسلمين من اتفاقية يافا!

استنكر المسلمون المعاهدة الكاملية - الفرديكية (اتفاقية يافا) التي قضت بتسليم **القدس الشريف** إلى الصليبيين ومن مظاهر ذلك الاستنكار ما حدث **بدمشق** فقد بكى الناس فيها على ما جرى في بيت المقدس وزاد سخطهم على الملك؛ بسبب تحريض ابن أخيه الملك الناصر صاحبها، وبسبب دروس الحافظ **شمس الدين سبط بن الجوزي** مؤلف كتاب (مرآة الزمان عن فضائل بيت المقدس) فاجتمع في الجامع الأموي بدمشق عدد من الناس وعلت أصواتهم. واشتد بكاءهم وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة بلغت أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مفقر العرصات
هكذا استقبل المسلمون نبأ تسليم المدينة المقدسة بالأسى والحزن،
وعم السخط أرجاء العالم الإسلامي، ويصور المقرئ ما حل
بالمسلمين من ألم بقوله: "فاشتد البكاء وعظم الصراخ والوعويل،
وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذّنوا على بابه
في غير وقت الأذان.. واشتد الإنكار على **الملك الكامل**، وكثرت
الشفاعات عليه في سائر الأقطار".

ولما أحس السلطان الكامل أنه تورط مع الإمبراطور الصليبي؛ أخذ يهوّن من أمر تسليم بيت المقدس، ويعلن أنه لم يعط الصليبيين إلا الكنائس والبيوت الخربة، على حين بقي المسجد الأقصى على حاله.. غير أن هذه المبررات لم تنطّل على أحد من الناس.

وظل بيت المقدس أسيراً في أيدي الصليبيين يشكو إلى الله ظلم الحكام وسوء تصرفهم، حتى نجح الخوارزميون في تحريره في (٣ من صفر ٦٤٢هـ = ١١ من يوليو ١٢٤٤م) .

في ١٨ مارس ١٢٢٨ م ، توجّ فريديريك الثاني نفسه بنفسه في كنيسة القيامة، فقد رفض رجال الدين تتويج الإمبراطور المحروم من الكنيسة، وفرضت البابوية منعاً لممارسة الطقوس الدينية في القدس ، ودفع البابا مواليه إلى ممتلكات فريديريك في إيطاليا، فأسرع فريديريك إلى المغادرة ونشب صراع مسلح ضد الحبر الأعظم، والحق الهزيمة بالبابا؛ وفي سنة ١٢٣٠ م، ألغى البابا الحظر عن فريديريك وصادق في السنة التالية على معاهداته مع المسلمين.

لقد تمكن الصليبيون من اغتصاب المدينة المقدسة نحو **تسع وتسعين** سنة، منذ اغتصابهم الأول لها حتى استردادها منهم من قبل الخوارزمية، وذلك في فترات متقطعة على النحو التالي:

... - من عام ١٠٩٩ - عام ١١٨٧ أي ٨٨ سنة وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية والتي انتهت بتحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي .

... - من عام ١٢٢٩ - عام ١٢٣٩ أي ١٠ سنوات وهي مدة المعاهدة الفرديكية الكاملية (اتفاقية يافا) .



استرداد بيت المقدس على يد الملك الصالح أيوب

بعد وفاة السلطان الكامل محمد سنة (٦٣٥هـ = ١٢٣٨م) تعرضت الدولة الأيوبية في مصر والشام لخطر الانقسام والفوضى، فاستولى الصالح نجم الدين أيوب على دمشق سنة (٦٣٦هـ = ١٢٣٩م)، وكان هذا إيذاناً بدخوله في صراع مع أخيه السلطان العادل الصغير بن الكامل؛ الذي خلف أباه على حكم مصر والشام، واستعان كل منهما بأنصار من البيت الأيوبي للوقوف في وجه الآخر، وفي غمرة الصراع قفز عمهما الصالح إسماعيل على "دمشق" واستولى عليها، وطرد الصالح أيوب منها، الذي شاء له القدر أن يقع في قبضة الناصر داود صاحب الأردن والكرك، ثم لم يلبث أن أفرج عنه، واتفقا معاً على القيام بحملة عسكرية على مصر والاستيلاء عليها من قبضة العادل الصغير.

ولاية الصالح أيوب:

كانت الظروف مهيأة تماماً لنجاح حملة الصالح أيوب؛ ف كبار أمراء العادل الصغير مستاءون منه لاحتجابه عنهم، وانشغاله باللهو واللعب عن تدبير شئون الدولة؛ فقبضوا على سلطانهم اللاهي، واستدعوا أخاه الصالح أيوب لتولي مقاليد البلاد والذي دخل القاهرة في (٢٥ ذي الحجة ٦٣٧هـ = ١٧ يوليو ١٢٣٨م) وجلس على عرشها، واستأثر بها دون الناصر داود.

ولم يرض هذا الموقف الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واستشعر الخطر بعد أن نوى إليه أن الصالح أيوب أراد أن يرضي حليفه الناصر داود صاحب الكرك، فاتفق معه على أن يساعده في الحصول على دمشق من الصالح إسماعيل الذي لم يجد قوة تقف إلى جانبه، فسارع إلى التحالف مع الصليبيين ضد الصالح أيوب في مصر والناصر داود في الأردن، وكان ثمن هذا التحالف غالياً، تعهد فيه بأن يعيد بيت المقدس إلى الصليبيين، ورجوع مملكة بيت المقدس إلى ما كانت عليه قديماً قبل صلاح الدين.

ولم يضع الصالح إسماعيل وقتاً وقرن عرض الخيانة بالعمل، فبادر إلى تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين ومعها طبرية وعسقلان وعدد من قلاع الشام التي كانت بأيدي المسلمين، وأثار هذا التصرف الأحق غضب المسلمين ونقمتهم في مصر والشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي ورفضت حاميات بعض القلاع تسليم الحصون والقلاع، وهو ما دفع الصالح إسماعيل إلى القيام بحملات لتأديب تلك الحاميات لرفضها تنفيذ أوامره، وكانت فرحة الصليبيين طاغية من هذا العمل الذي جاءهم دون أن يضربوا فيه سيفاً أو يخسروا نفساً، وحصنوا قلعتي طبرية وعسقلان، ورابطوا ما بين يافا وعسقلان.

ضرب تحالف الخيانة:

ولكي يغري الصالح إسماعيل جموع الصليبيين على الاستمرار في التحالف وعدهم أن يعطيهم جزءاً من مصر إن ملكها؛ فانطلقوا إلى غزة عازمين غزو مصر، وحضر لمعاونتهم في غزو مصر جيش الصالح إسماعيل،



جيش الملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حمص، غير أن القوات الإسلامية كان لها رأي آخر غير رأي قادتها السفهاء، فانضمت إلى الجيش المصري وأبت أن تقاتل إخوانها المسلمين، وكان لهذه الخطوة أثرها: **فحلت الهزيمة بالصلبيين** حين تقابل الفريقان، وقتل منهم أعداد كبيرة وسيق الأسرى إلى **القاهرة**. واضطر الصليبيون إلى عقد الصلح مع سلطان مصر، وإن ظلت بأيديهم بيت المقدس وبعض القلاع التي تنازل عنها الصالح إسماعيل.

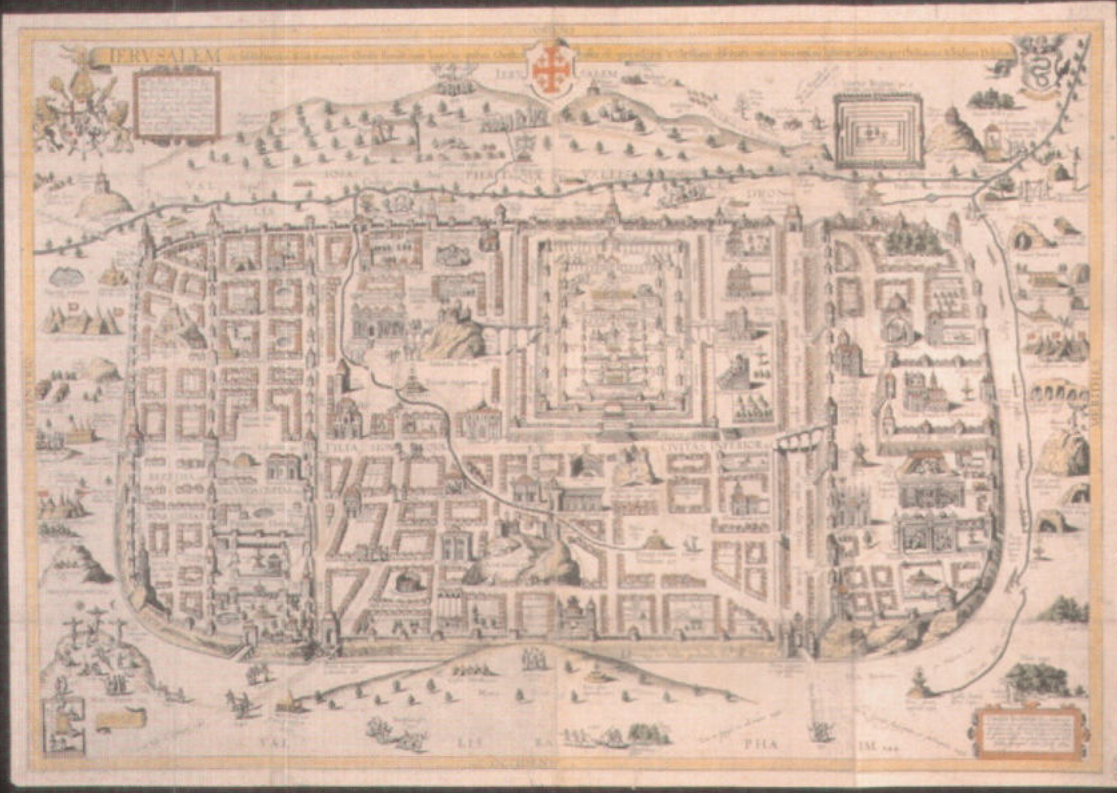
استرداد بيت المقدس:

ثم لم يلبث أن نشب النزاع مرة أخرى بين الصالحين إسماعيل ونجم الدين أيوب، ووقف الناصر داود هذه المرة مع الصالح إسماعيل، **واتقفا على الاستعانة بالصلبيين ضد إخوانهم المسلمين**، ولم يجد الصالح أيوب قوة تقف إلى جواره غير "**الخوارزمية**" الذين تفرقت بهم السبل بعد انهيار دولتهم ومقتل سلطانهم جلال الدين خوارزم شاه، فاستجابوا لدعوته، وقدموا بأعداد كبيرة إلى الشام، واتجهوا إلى دمشق فوجدوها قوية التحصين فتركوها، واستولوا على **طبرية و نابلس**، وواصلوا سيرهم حتى دخلوا مدينة **بيت المقدس** في (٣ صفر ٦٤٢هـ = ١١ يوليو ١٢٤٤م) واستولوا عليها دون مقاومة، **وكانت هذه آخر مرة يسترد فيها المسلمون بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية**، وظلت بأيدي المسلمين حتى سقطت في **قبضة اليهود في عصرنا الحديث**، وهي تنتظر الآن من يفك أسرها ويعيدها إلى حظيرة المسلمين، وندعو الله ألا يطول الانتظار ويعين من يعمل على عودتها.

حطين الثانية:

وبعد أن استرد الخوارزميون بيت المقدس واصلوا سيرهم إلى "غزة" واجتمعوا مع الجيش المصري الذي أرسله الصالح أيوب لمحاربة قوات الشام ومن ناصرها من القوات الصليبية، وتقابل الفريقان في **معركة غزة** في (جمادى الأولى ٦٤٢هـ = أكتوبر ١٢٤٤م)، وكان اللقاء رهيباً، **حلت الهزيمة بالصلبيين**، وقدرت خسائرهم بثلاثين ألف قتيل وثمانمائة أسير، **وكانت هذه الهزيمة أضخم كارثة حلت بالصلبيين بعد معركة حطين سنة (٥٨٢هـ = ١١٨٧م)**، وبلغ من أثرها أن أطلق عليها "**حطين الثانية**".

ولم يلبث أن انفصل الجيش المصري عن الخوارزميين الذين سمح لهم "**الصالح أيوب**" بالاستقرار في الشام على حساب الصليبيين، وواصل سيره، فأخذ **القدس والخليل ودمشق** وغيرها، ثم نازل الصليبيين، ونجح في استرداد قلعة طبرية (٦٤٥هـ = ١٢٤٧م)، ثم استولى على عسقلان في العام نفسه، **وبذلك نجح الصالح أيوب في توحيد مصر والشام تحت سلطانه** بعد أن أصبحت القاهرة ودمشق وبيت المقدس في قبضة يده، ووفد عليه في دمشق ملوك البيت الأيوبي الشام لتقديم فروض الولاء والطاعة. أحمد تمام، موقع إسلام لاين .



...trouva ma nec almecha in portate of a sanclie. Inno pader ben boles fons e aqve nre saluta
 Templo dabo Salomonis lano claris in qto bonis' vocas p'dicant: Abetle in qua nat' est. Cal
 in qua crucifit' Ap'ius crucis portales muna. Sepolcm dei gloriofum in quo p'per non dicit
 et h'ic f'at acm in p'cto b'ale. Et nulli volam q'iam uncler no possunt. Et q'iam dei v'ncio dicit
 omnia nre redemp'io qua' ce' et m'radia d'it'ant' e. p'po lang'it' d'it'ant' In h' p'nd'ant'
 f'loro apparuit' d'it'ant' f'at'it'at' d'it'ant' Et ea v'bo sic d'it'ant' q'ant' impo p'ant'

...Al'ign'is am'ic'um le' g'ratia imp'it' et volens deus caritatem h'ic'is populi d'ep're e
 f'ep'ag'ia am'ic'um cap'it'at'om' e'ndem populum in regno cal'ic'om' f'at'it'at' d'it'ant' In h' p'nd'ant'
 completo am'ic'um numero nouis populus a m'ic'it'at' p'oz'at'it'at' m'ic'it'at' ad r'ob'it'at'om' b'ic'it'at'at'
 p'ant'ant'

OGITRICO: IHEROSOLIME



خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة

خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة

أطلس اكملات الصليبية على المشرف الإسلامي



أهم مصادر ومراجع الباب الثامن

- ١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٢ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
- ٣ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.
- ٤ - د . علي عبد الحلیم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ٧ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
- ٨ - أحمد بن علي المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .
- ٩ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .





الحملة الصليبية السابعة

- ★ سقوط دمياط
- ★ لوبس التاسع يغزو مصر
- ★ وقوع لوبس التاسع في الأسر
- ★ معركة المنصورة الثانية
- ★ موقعة عين جالوت
- ★ الظاهر بيبرس





الحملة الصليبية السابعة

سنة ٦٤٦ هـ - ٦٤٨ هـ - ١٢٤٨ م - ١٢٥٠ م.

قادة الحملة : ملك فرنسا (لويس التاسع)

سبب الحملة :



الملك الفرنسي (لويس التاسع)

كان لاسترجاع **بيت المقدس** من أيدي **الصليبيين** ردُّ فعل في أوروبا النصرانية تجلّى في الحملة الصليبية التي قام بها ملك فرنسا (لويس التاسع) فقد تجهز لحرب صليبية تجهيزاً عظيماً، واصطحب معه الكثير من الأمراء والأشراف بفرنسا. وكان معه إخوته الثلاثة:

١ - روبرت دارتوا . ٢ - الفونس دو بواتييه . ٣ - شارل دانجو . كما كان معه المؤرخ الفرنسي لهذه الحملة (جوفرا دو سرجين) . وزوجته .

وكانت الفكرة السائدة في أوروبا منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي؛ أن **مصر** ما دامت على قوتها وبأسها فلا سبيل إلى نجاح الحملات الصليبية واسترداد بيت المقدس من المسلمين؛ الذين نجحوا في استعادته من الصليبيين مرة ثانية

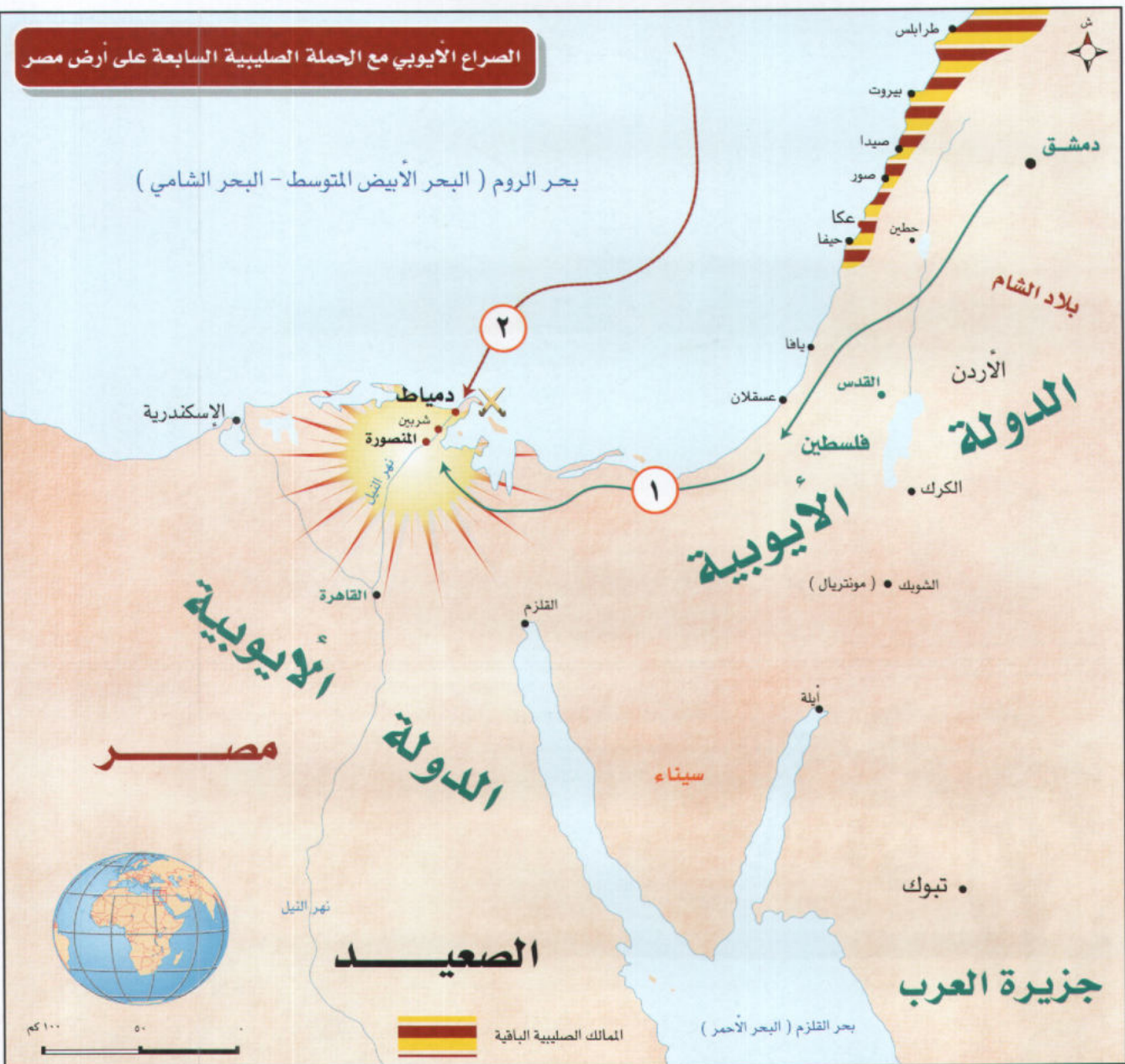
سنة (٦٤٢هـ = ١٢٤٤م) على يد الملك الصالح أيوب. إلا بشن حملة عليها، وتم التنسيق لذلك مع البابا أنوسنت الرابع والملك الفرنسي **لويس التاسع**، وشهد **مجمع ليون الديني** الدعوة لها سنة (٦٤٦هـ = ١٢٤٨م). أبحر لويس من **مارسيليا** قاصداً الشرق ومعه زوجته وأخواه الثلاثة واتجهت الحملة إلى مصر مروراً بقبرص بجيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل، ومنها تأخذ مسارها نحو بيت المقدس لاستردادها وهي هدف الحملة. ولم يكن هدف تلك الحملة إعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أو ضرب مصر باعتبارها قاعدة حربية هامة فحسب، وإنما استهدفت أيضاً هدفاً بعيد المنال، يتمثل في تكوين **حلف نصراني وثني** بين الصليبيين والمغول، يهدم الدولة الأيوبية في مصر والشام من ناحية، ويطوق العالم الإسلامي ويحيط به من الشرق والغرب من ناحية أخرى، أرسل البابا أنوسنت الرابع سفارتين إلى المغول لتحقيق هذا الغرض، غير أنهما لم يكللا بالنجاح .





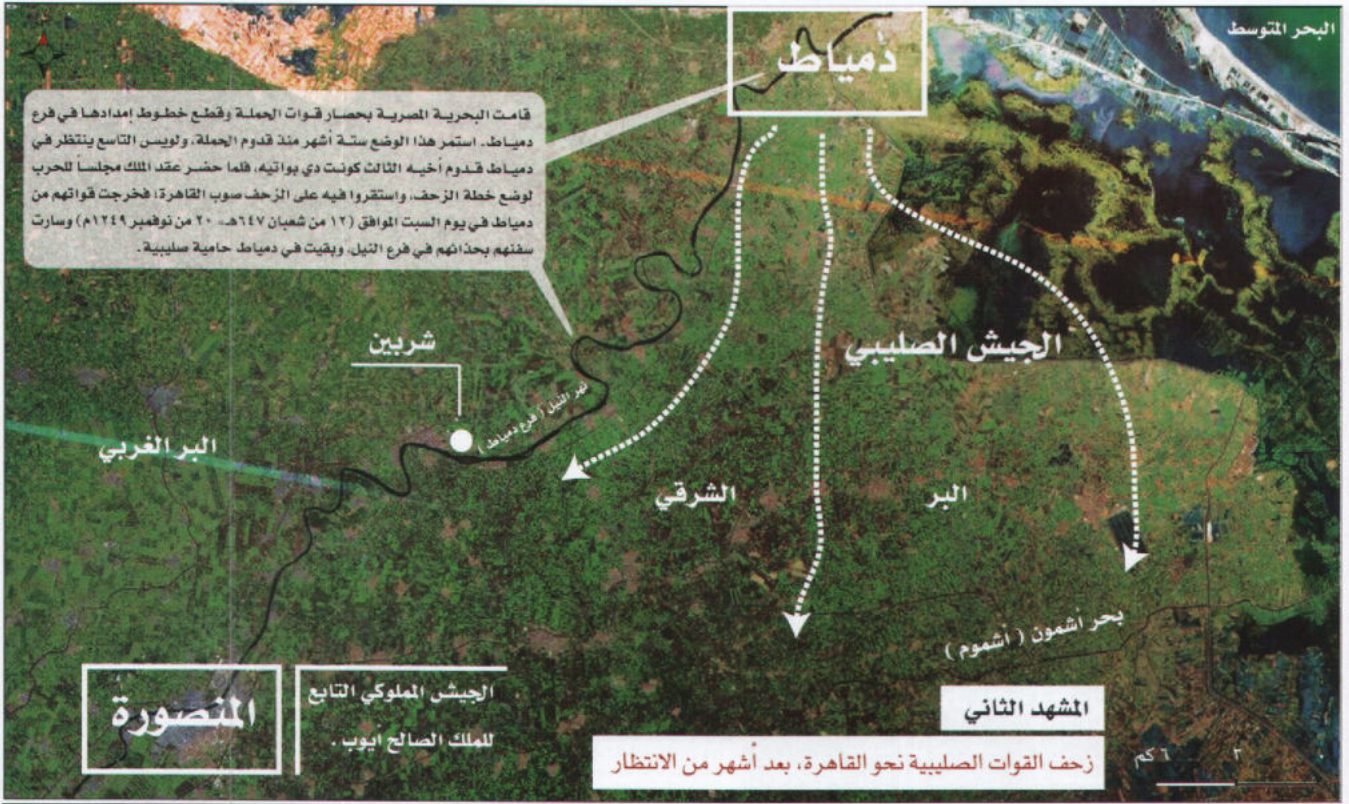
الصراع الأيوبي مع الحملة الصليبية السابعة على أرض مصر

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط - البحر الشامي)



١ علم الصالح أيوب بأنباء **الحملة الصليبية السابعة** وهو في بلاد الشام، وترامى إليه تجمع الحشود الصليبية في قبرص، واستعدادها لغزو **مصر** والاستيلاء عليها؛ فرجع إلى مصر على الرغم من مرضه، وبدأ في ترتيب أوضاعه العسكرية.

٢ وصول الأسطول الصليبي إلى المياه المصرية أمام دمياط (٢٠ من صفر ٦٤٧هـ = من يونيو ١٢٤٩م) وفي اليوم التالي؛ نزل الصليبيون إلى البر الغربي للنيل، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات انسحب بعدها الأمير فخر الدين وقواته المكلفة بحماية المدينة إلى المعسكر السلطاني .



في الوقت الذي زحفت فيه الحملة الصليبية نحو القاهرة؛ توفي الملك الصالح أيوب في ليلة (النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ = ٢٢ من نوفمبر ١٢٤٩م) فقامت زوجته **شجرة الدر** بتدبير شؤون الدولة بعد أن أخفت خبر موته؛ خوفاً من حدوث فتنة بين صفوف المسلمين. وفي الوقت نفسه أرسلت إلى **توران شاه** ابن زوجها وولي عهده تحته على مغادرة حصن كيفا، بالقرب من حدود العراق، وعلى سرعة القدوم إلى مصر ليعتلي عرش البلاد خلفاً لأبيه. تسربت أنباء وفاة الملك الصالح أيوب إلى **الصليبيين** فبدءوا في التحرك، وتركوا دمياط، وزحفوا جنوباً على شاطئ النيل الشرقي لفرع دمياط، وسفنهم تسير حذاء نهر النيل، حتى وصلوا إلى بحر أو قناة أشموم المعروف اليوم باسم "البحر الصغير"، فصار على يمينهم فرع النيل، وأمامهم قناة أشموم التي تفصلهم عن معسكرات المسلمين القائمة عند مدينة المنتصرة. وتعين على الصليبيين مواصلة الزحف أن يعبروا فرع دمياط أو قناة أشموم فاختر **لويس التاسع القناة، فعبها بمساعدة بعض الخونة**، ولم يشعر المسلمون إلا والصليبيون يقتحمون معسكرهم، فانتشر الذعر بين الجند المصريين، واقتحم الصليبيون بقيادة "روبرت أرتوا" أحد أبواب المنتصرة، ونجحوا في دخول المدينة وأخذوا يقتلون المصريين بكل قسوة، حتى وصلت طلائعهم إلى أبواب قصر السلطان نفسه، وانتشروا في أزقة المدينة، حيث أخذ الناس يرمونهم بالحجارة والطوب والسهام. وبينما هم على هذا الحال ضانين أن النصر صار بين أيديهم حقيقة لا خيالاً واطمأنت نفوسهم إلى هذا النجاح والظفر، انقض المماليك البحرية بقيادة "**بيبرس البندقداري**" على الصليبيين وهم في نشوتهم وغرورهم وذلك في (٤ من ذي القعدة ٦٤٧هـ = ٨ من فبراير ١٢٥٠م)، فانقلب نصرهم إلى هزيمة، وأوسعهم المماليك قتلاً حتى أهلكوهم عن آخرهم تقريباً بما في ذلك الكونت أرتوا نفسه.



مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية السابعة

في اليوم التالي **لمعركة المنصورة**، عقد الأمير فارس الدين أقطاي القائد العام للجيش الإسلامي مجلس الحرب، عرض فيه على ضباطه معطف الكونت أرتوا فلنأ منه أنها سترة الملك، وأعلن أن مقتل الملك يتطلب مهاجمة الصليبيين على الفور، مبرراً ذلك بقوله: "إن شعباً بدون ملك جسم بلا رأس، لا يخشى منه خطر، وعلى ذلك أعلن أنه سيهاجم الجيش الصليبي بلا تردد". وفي فجر يوم الجمعة (٨ من ذي القعدة ٦٤٧هـ = ١١ من فبراير ١٢٥٠م) بدأ الجيش المصري هجومه على معسكر الصليبيين، لكن الملك لويس، تمكن من الثبات بعد أن تكبد خسائر فادحة، وبذلك انتهت **معركة المنصورة الثانية**، وهي المعركة التي أيقن الصليبيون بعدها أنهم لن يستطيعوا البقاء في مراكزهم، وأن عليهم الانسحاب إلى دمياط قبل قوات الأوان.



المشهد الثالث والأخير

الجيش الصليبي
الجيش الإسلامي

موقع مدينة المنصورة من الفضاء الخارجي





موقف الصليبيين بعد معركة المنصورة الثانية

استطاع المسلمون بقيادة الملك طوران (توران شاه) آخر ملوك الأيوبيين

حصر الصليبيين الغزاة في مدينة المنصورة، فلقى كثير من الفرسان الصليبيين ممن لم يتسن لهم اللجوء إلى القلعة حتفهم، وبعد فترة اغرق المسلمون الأسطول الصليبي الراسي قرب المنصورة،



مدينة المنصورة

وقطعوا اتصال الفرسان مع دمياط التي كانت قاعدة تموينهم، وتحت طائلة الموت جوعاً فر الصليبيون من المنصورة وفتكت بهم قوات المسلمين فزال جيشهم من الوجود كقوة مقاتلة، ووقع منهم الآلاف في الأسر، وكان ملك فرنسا (لويس التاسع) بين الأسرى، حيث أُسِر في قرية منية أبي عبد الله (حالياً ميت الخولي عبد الله) بمحافظة دمياط وسرعان ما انتشرت الأمراض بين الأسرى كالملاريا والذئب والحمى، حتى إن الملك أخذت أسنانه تسقط وتعين حملة لقضاء حاجته، وفي مايو ١٢٥٠م، أخلى سبيل لويس مقابل فدية ضخمة ٨٠٠ ألف بيزنطي أو ٢٠٠ ألف ليرة شريطة أن يغادر الصليبيون دمياط، فوصلت بقاياهم إلى عكا كيفما اتفق.



نهر النيل (فرع دمياط)

بقي لويس في عكا أربع سنوات، دعا فيها البارونات إلى حملة صليبية جديدة، ولكن الدوقات والكونتات والبارونات والفرسان تجاهلوا هذه الدعوة، فغادر لويس التاسع عكا في إبريل ١٢٥٤ إلى فرنسا.

المماليك

ينقسم المماليك إلى قسمين:

١- المماليك البحرية وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة، ونسبوا إلى بحر النيل، أو سموا بذلك لأنهم قدموا من وراء البحار، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٢٨٢م) وتداول عرش مصر في عهدهم أربعة وعشرون سلطاناً.

٢- المماليك البرجية أو الجراكسة، وسموا بذلك لأن السلطان قلاوون أسكنهم أبراج قلعة الجبل، ولأن الجراكسة كانوا أكثر عدداً وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٢٨٢-١٥١٧م) وهم ثلاثة وعشرون سلطاناً.

ويبدأ تاريخ المماليك، مع انتصار المماليك البحرية الذين أبلوا بلاء حسناً في مقاومة تلك الحملة أن يقيموا دولتهم على أنقاض دولة الأيوبيين في مصر؛ فلم يكدمضي شهر من تحقيق هذا النصر حتى تخلص المماليك من توران شاه، وأقاموا شجرة الدر سلطانة على مصر، وكان ذلك إيذاناً ببزوغ عصر دولة سلاطين المماليك في مصر والشام.

ولم يأخذ المماليك بمبدأ وراثية العرش، وإنما كان الطريق مفتوحاً أمام من أبدى شجاعة وإقداماً ومقدرة. هذه هي المؤهلات في دولة المماليك التي قامت على أنقاض دولة الأيوبيين، وبعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين بمصر.

خروج لويس من مصر إلى عكا بعد إطلاق سراحه بقدية

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط - البحر الشامي)



١ بعد انتصار الجيش الإسلامي المصري، على جيش الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، أسر لويس واقتيد إلى شجرة الدر، فأمرت بسجنه في سجن المنصورة، فجعل لويس يفاوض على إطلاق سراحه، ويعرض لقاء ذلك مبالغ خيالية **تقدر بالملايين**، فوافقت أخيراً شجرة الدر بشرط أن يتم تسليم نصف المبلغ قبل إطلاق سراحه فأطلقته، وأقسم لشجرة الدر بعدم العودة إلى مصر مرة أخرى، ولكنه ما إن وصل عكا، حتى نكث عهده وقسمه، وبدأ يجهز جيشاً صليبيّاً لاستعادة بيت المقدس .

٢ بقي لويس في عكا أربع سنوات، دعا فيها البارونات إلى حملة صليبية، ولكن الدوقات والكونتات والبارونات والفرسان تجاهلوا هذه الدعوة، فغادر لويس التاسع عكا في إبريل ١٢٥٤م إلى فرنسا.



الظاهر بيبرس بطل المرحلة القادمة ضد الصليبيين والمغول

ولد **بيبرس** عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م. وهو تركي الأصل، اشتراه الأمير أيديكين البندقداري، ثم باعه للسلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب (ت. ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)، فتدرج في الحلقة، وترقى في سلك الجندية، ليصبح من كبار أمراء المماليك الصالحية (نسبة إلى الصالح نجم الدين أيوب). ولما مات الملك الصالح، استمر بيبرس في خدمة ولده الملك المعظم توران شاه.

اشتهر بيبرس بمهارته العسكرية وبيلائه الحسن في ساحات الوغى، وبخاصة في **معركة المنصورة**، عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م، التي هزم فيها الفرنج، وأسر قائدهم الملك الفرنسي لويس التاسع، (تقدم ذكرها). وبمقتل توران شاه عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م، تولت شجر الدر، زوج أبيه، مقاليد الحكم مكانه، فانقلبت السلطة في مصر، فعلياً، إلى **المماليك البحرية**. ثم أصبح **المعز أيك** أول سلاطين الدولة الفتية بزواجه من شجر الدر التي تنازلت له عن العرش بسبب **احتجاج الخليفة على تولي امرأة تدبير شؤون المسلمين**. وبعد مقتل المعز عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م، بتدبير من شجر الدر، خلفه ابنه نور الدين علي، ثم المظفر قطز، فالظاهر بيبرس بعد أن وفاة سيده المظفر غداة معركة **عين جالوت** عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م.

يعود الفضل لله سبحانه وتعالى ثم للظاهر بيبرس في ترسيخ دعائم دولة المماليك البحرية وتنظيم شؤونها الداخلية، وإضفاء الشرعية الدينية عليها بإحيائه الخلافة العباسية في القاهرة عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م، بعد أن دك المغول مركز الخلافة الإسلامية في بغداد، وقتلوا الخليفة المستعصم عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م. **ثم ما لبث بيبرس أن بسط سيادته على المدن المقدسة في الحجاز، مما جعل سلاطين المماليك، من بيبرس فصاعداً، يظهرن أمام العالم الإسلامي، المعروف آنذاك، حماة للخلافة ولأشخاص الخلفاء، والمؤمنين على مقدسات المسلمين**. وفي الخارج، فرض السلطان بيبرس هيبة الدولة على أعدائه بكسر **شوكة المغول**، بعد تسع مواجهات ضارية معهم، بين عامي ٦٧٠-٦٧٥ هـ و ١٢٧١-١٢٧٦ م، كان آخرها المعركة التي جرت في عقر دارهم، حيث ألحق بهم الهزيمة في سهل هوفي في صحراء البلستين (آسيا الصغرى). **ونجح السلطان في زعزعة بنيان الكيانات الصليبية**، بعد إحدى وعشرين حملة عسكرية عليهم، أدت إلى سقوط **إمارة أنطاكية** في يده واستيلائه تبعاً على القلاع والحصون الاستراتيجية المحيطة بكونتية **طرابلس ومملكة عكا**. كما قام بيبرس بخمس حملات على بلاد الأرمن في آسيا الصغرى وأخضعها لسيادته. وإلى جانب منجزاته العسكرية الهامة، خط الظاهر بيبرس لدولته سياسة خارجية لافته للانتباه تمثلت في إحاطة حروبه بسياج من المعاهدات والاتفاقيات الدولية لاكتساب الأعوان والحلفاء من جهة، والاستفراد بالأعداء من جهة أخرى. ومن ذلك: سعيه الحثيث للتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية العدو التقليدي لللاتين، وحرصه



على الاحتفاظ بسياسة الود مع **الجنوية** ومع كل من شارل دانجو ملك **صقلية** وملك **إشبيلية**، وكانت له صلوات حسنة مع عز الدين كيكاووس سلطان **سلاجقة الروم**، كما حالف بركة خان زعيم مغول لقبجاق، وذلك لمواجهة عدوهما المشترك المتمثل بإيلخانات فارس من هولاكو وأولاده.

ومما زاد في شهرة بيبرس إشادة المصادر الإسلامية بخصاله، وشمائله، وشجاعته، وبمنجزاته في مجال العمارة الدينية وأوقافه المنتشرة في أرجاء سلطنته المترامية الأطراف، واهتم بسك العملة لبسط الهيمنة السياسية الاقتصادية على أرجاء العالم الإسلامي آنذاك (انظر نماذج لبعض عملاته النقدية)، الأمر الذي جعل للسلطان منزلة خاصة في مختلف الأوساط العربية والإسلامية على امتداد العصور، فاكتسبت صورته في ذاكرتهم الجماعية طابعاً عظيماً جعلته في مصاف أبطالهم الملهمين، مثل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكبار التابعين، وشرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي وابنه محمود، والناصر صلاح الدين، والمنصور قلاوون، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب، وأحمد ياسين، والرنيتسي



دراهم فضية وفلوس نحاسية تعود إلى عهد السلطان بيبرس

توفي الظاهر **بيبرس** يوم الخميس ٢٧ محرم من عام ٦٧٦ هجرية - ٢ مايو ١٢٧٧ ميلادية بعد أن أرسى اسمه ضمن قائمة أبرز سلاطين العصر المملوكي . وكان له عدة أولاد، منهم كمال الدين بيبرس الذي كان قائداً حربيًا، وقد شارك والده في العديد من المعارك و استقر في ما بعد في بيت المقدس، ويعود له أصل عائلة كمال الموجودة حتى يومنا هذا في بيت المقدس من أرض فلسطين الحبيبة.





الغزو المغولي وسقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م

لم يكن سقوط بغداد (٦٥٦ هـ) ممكناً لولا خيانة الوزير ابن العلقمي، لأن القوى الخارجية تبقى محدودة التأثير ما لم تتعاون معها قوى عميلة من الداخل. والعالم الإسلامي يقف متفرجاً كأنما أصيب بالشلل التام.

إنه أمر عجيب تحار فيه العقول !!

ما الذي دهى المسلمين حتى ضاعوا وأضاعوا رمز وحدتهم السياسية. فكيف كان هذا الذي حدث؟ وما قصة خروج **المغول** إلى بلاد الإسلام والمسلمين؟ وكيف تهاوت الخلافة على أيديهم بهذه الصورة المهينة؟!

إن المؤرخ الكبير "ابن الأثير" حين أراد أن يسجل تلك الأحداث في كتابه "الكامل" تمنى أن يكون قد مات قبل أن يسمع عنها أو يراها، فيقول: "لقد بقيت عدة سنين مُعرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً بها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأوخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فيا ليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، إلا أنني حثي جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمن الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عمقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت

المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله - سبحانه وتعالى - آدم إلى الآن لم يُبتَلْ بمثلها كان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها".

مر بنا خلال هذا **الأطلس** كيف كان الصليبيون يحتلون بلاد الشام، وكيف كان المجاهدون المسلمون قد أنزلوا بهم في عهد عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي هزائم ساحقة، ولولا ضعف المسلمين بعد موت **صلاح الدين** لكانت نهاية الصليبيين بالشام قد تحققت.. ولكن الصليبيين ظلوا يعانون الضعف البالغ ويصمدون رغم ذلك في مواجهة المسلمين حتى ظهرت قوة **المغول**، وتأكد عدوهم للإسلام وما أنزلوه بأهله من هزائم ومصائب في بلاد **خراسان وفارس** على أنقاض **دولة السلاجقة** هناك، فاجتمعت مصالح الفريقين **الصليبيين والمغول** في عداة المسلمين وحرابهم، وبدأت الاتصالات بينهم لتنسيق الجهود في هذا الصراع.

وأعمل الصليبيون حيلهم الخبيثة، فعرضوا على التتار النصرانية، **فتنصّر** منهم عدد كبير، وجعلوا يزوجونهم من النصرانيات الحاققات على الإسلام وأهله، فاشتعل الحقد **الصليبي والبوذي** في الهمجية الشرسة، وانطلقت جحافل التتار تدمر الخير في كل مكان. وكما صدرنا حديثنا عن الدور الخبيث الذي قام به **ابن العلقمي**، يقول ابن كثير في تاريخه: ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين **الطوسي**، والوزير **ابن العلقمي** وغيرهما،

من هم المغول والتتار؟

قبائل تركية أسبوية كانت تسكن في الجزء الشرقي من "بلاد التركستان" وما يليها شرقاً من "غرب بلاد الصين"، وهم بدورعاة يدينون بالوثنية، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ويبحثون عن الرزق أينما وجد، وينتقلون وراءه حيث كان، ويقتلون من أجل الحصول عليه، نساؤهم في هذا كرجالهم سواء بسواء.

وكانت بين "قبائل المغول" و"قبائل التتار" أواصر نسب وجوار، ولكن على الرغم من هذا، فإن محاولة الحصول على الرزق كانت تدفعهم إلى التنازع والتناحر والتقاتل، وتسفر المواجهة بينها عن انتصار "التتار" وهزيمة "المغول"، ويعود المغول فينتصرون على "التتار" ولكن الزعيم التتري "جنكيز خان" جمع شمل هذه القبائل لتصبح النقطة السوداء في التاريخ الإنساني بسبب ما أنزلوه به من الكوارث التي لم يحدث مثلاً.

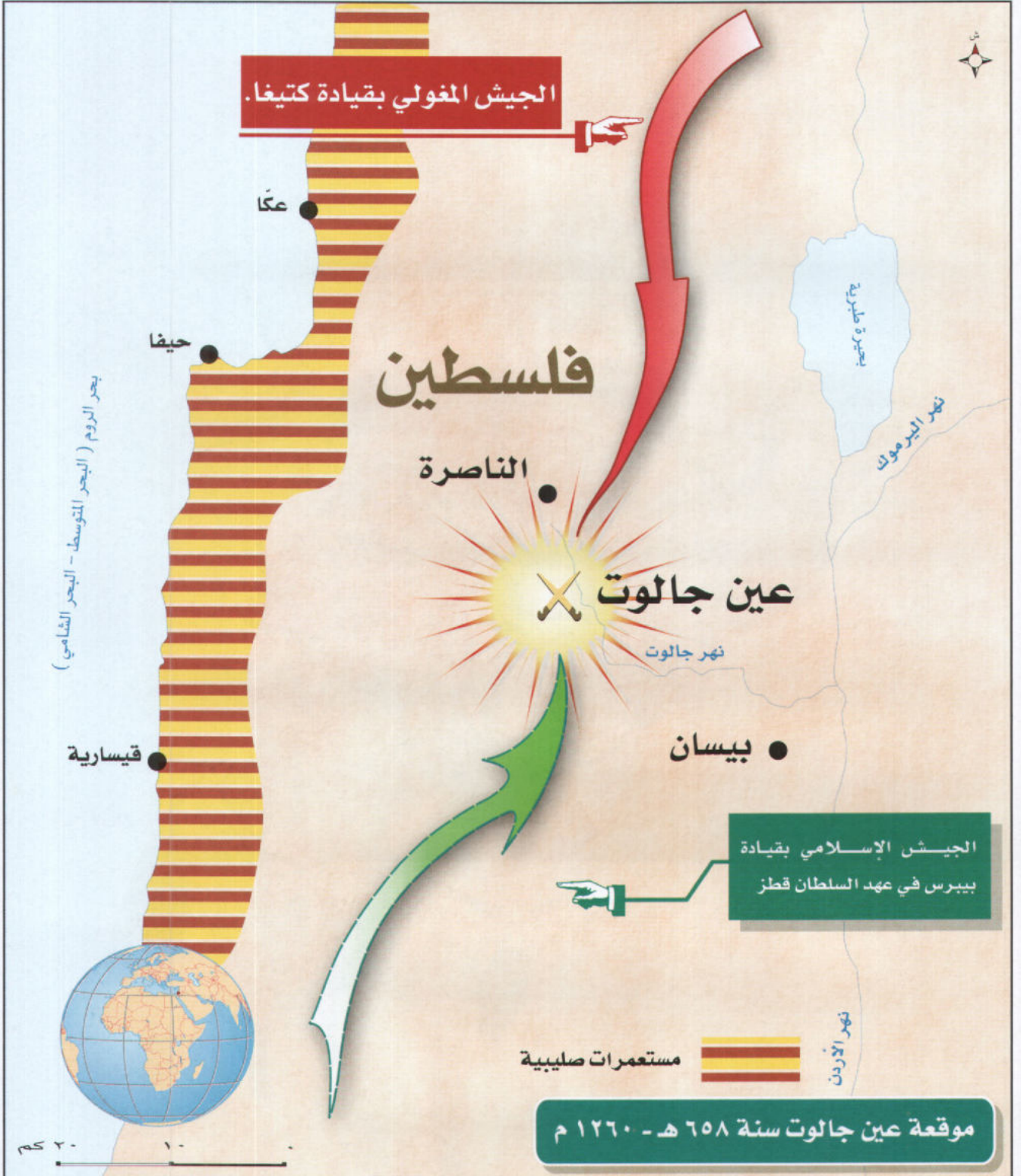


والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المناققين على هولاء أن لا يصلح الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد **الخليفة** إلى السلطان **هولاكو** أمر بقتله، ويقال: **إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي**، وكان النصير عند هولاكو قد استصعبه في خدمته لما فتح قلاع الموت، وانتزعها من أيدي **الإسماعيلية**، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، **وانتخب هولاكو النصير** ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهدب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً، وهو في جوالق لتلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق، ويقال بل أغرق فالثمة أعلم، فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقتى الوسخ، وكمتموا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك في المساجد والجوامع والربط، **ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى** ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالمملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليصهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطعمهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبديد العلماء والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشا للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والاطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الارض والسماء. أ. هـ.

وهاهو التاريخ يعيد نفسه، فقد سقطت بغداد اليوم بخيانات الباطنيين أحفاد ابن العلقمي، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل زاد واتسعت رقعته، حتى رأينا أعمالاً هوجاء وغوغاء، من تجن على أهل السنة هناك، وقاموا بقتل جماعي للبعض منهم، وتهجير البعض الآخر، واتهام من يدافع عن أرضه وعرضه بالإرهاب ومن قاومهم استعانوا بالغرباء من المحتل الأمريكي والبريطاني على قتله، ولم يصدق أولئك خبراً، فيسارعون بقتل المسلمين هناك قتلاً عظيماً.







رأى المؤرخون في انتصار المماليك انتصاراً عالمياً؛ حيث عجزت الدولة الخوارزمية، والدولة العباسية عن مقاومة الجيش المغولي أو مدافعته، وبعد انهيار القوى النصرانية أمام الزحف المغولي على أجزاء من "روسيا" و"بولندا" و"هنغاريا" كانت "موقعة عين جالوت" سنة ٦٥٨ هـ والتي تعتبر بحق أول صدمة في الشرق هزت جيوش المغول؛ فكانت درساً قوياً أمام اللشام عن طبيعة هذا الجيش الجديد: **أنهم المماليك**، والذين أعادوا للجيش الإسلامي هيئته ومن هنا كسبت سلطنة المماليك مركز الصدارة بين سلاطين المسلمين. كما استقامت لمصر زعامة جديدة في العالم الإسلامي على أيدي هؤلاء الخليط من الأتراك والروم والأوروبيين والشراكسة، لذلك سيكون لهم الدور البارز في القضاء على بقية المستعمرات الصليبية.



خوذة واقية : تعود إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس

أهم مصادر ومراجع الباب التاسع

- ١ - مجلة التاريخ العربي، أعداد مختلفة .
- ٢ - ستيفن رنسيومان . تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني . دار الثقافة . بيروت . ١٩٦٩ م .
- ٣ - د . سعيد عبد الفتاح عاشور . الحركة الصليبية . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٨٢ م .
- ٤ - محمد مصطفى زياد . حملة لويس التاسع . المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . القاهرة ١٣٨١ هـ . ١٩٦١ م .
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ٧ - أحمد بن علي المقرئزي . السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق محمد مصطفى زيادة . القاهرة . ١٣٦٠ هـ : ١٩٤١ .
- ٨ - أ . أحمد تمام، في ذكرى سقوط دمياط .
- ٩ - موقع **GOOGL** من الشبكة العنكبوتية .
- ١٠ - جوزيف نسيم يوسف . العدوان الصليبي على مصر . دار الكتب الجامعية . الإسكندرية . ١٩٦٩ م .
- ١١ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م .
- ١٢ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .





الحملة الصليبية الثامنة

★ نزول الصليبيين بقيادة لويس التاسع إلى قرطاجنة التونسية

★ وفاة لويس التاسع في تونس





الحملة الصليبية الثامنة

سنة ٦٦٨ هـ - ٦٦٩ هـ - ١٢٦٩ م - ١٢٧٠ م

قادة الحملة : ملك فرنسا (لويس التاسع)

سبب الحملة :

الحفصيون

ينتمي الحفصيون إلى قبيلة مضمودة البربرية، ومساكنها في جبال الأطلس. استمدت التسمية من أبي حفص عمر (١١٧٤-١١٩٥ م) أحد أجداد الأسرة ومن رجالات ابن تومرت الأوفياء. أصبح ابنه من بعده من عمال الموحدين على تونس. قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا يحيى (١٢٢٨-١٢٤٩ م) بالاستيلاء على السلطة وأعلن استقلاله واستطاع أن يؤسس دولة استخلفت الدولة الموحدية في المنطقة. **قضى ابنه المستنصر (١٢٤٩-١٢٧٧ م) على الحملة الصليبية الثامنة (سنة ١٢٧٠)**، ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين. بعد وفاته تنازع أولاده الحكم. وجرت حروب طاحنة بينهم. في أواخر القرن الـ١٣ م انشق عن الأسرة فرعين، حكم أحدهما في بجاية، والآخر في قسنطينة. في منتصف القرن الـ١٤ م استولى المرينيون على البلاد. بعد جلاء المرينيين استعادت الدولة الحفصية حيويتها ونشاطها مع حكم كل من أبي العباس أحمد (١٣٧٠-١٣٩٤ م)، أبي فارس عبد العزيز (١٣٩٤-١٤٣٤ م) ثم أبي عمر يحيى (١٤٣٥-١٤٨٨ م). عرفت هذه الفترة الاستقرار وعم الأمن أرجاء الدولة. أصبحت العاصمة **تونس** مركزاً تجارياً مهماً. ابتداءً من سنة ١٤٩٤ م بدأت مرحلة السقوط السريع، استقلت العديد من المدن والمناطق. منذ ١٥٠٥ م، سيطر **العثمانيون** عن طريق قادتهم **عروج وخيرا الدين بربروسة** على المنطقة. حاصر الإمبراطور الجرمانى كارل الخامس (وملك إسبانيا باسم كارلوس الأول) تونس سنة ١٥٣٥ م. آخر الحفصيين وقع بين الضغط المتزايد من القادة العثمانيين، والذين استقروا في الجزائر من جهة، والإسبان من جهة أخرى. سنة ١٥٧٤ م يفلح حاكم الجزائر في دخول تونس، ثم خلع آخر السلاطين الحفصيين ودخلت بذلك تونس تحت سلطة العثمانيين.

بعد الضربات الموجعة التي وجهها القائد المملوكي **الظاهر بيبرس** وجيشه المسلم ضد الغزاة الصليبيين في الشام، نكث **لويس التاسع** بعهده فجهز حملة صليبية أخرى لقتال المسلمين إلا أنه لم يستطيع أن يتصدى للمماليك في بلاد الشام فما كان منه إلا أن وجه قواته نحو تونس. وتم خروجه من فرنسا يوم ١٥ مارس ١٢٧٠ م والتحق به أتباعه وبعد إتمام عدته، اتجه يوم ٢ جويلية إلى مدينة كاغلياري وذلك على متن سفن جنوبية. وفي هذه المدينة **السردينية** اكتمل النصاب بوصول بقية المساهمين في الحملة. ومن الملاحظ إلى حد الآن أن جميع أعضاء الحملة كانوا متأكدين من تحولهم إلى المشرق الإسلامي نحو مصر أو فلسطين، لكن **لويس التاسع** جمع قاداته ومرافقيه على متن سفينته، وطلب منهم الموافقة على تحويل وجهتهم نحو تونس. ولا تذكر المصادر ما هي المعطيات والعناصر التي اعتمد عليها الملك لإقناعهم، لكن يبدو أن جميعهم بما فيهم رجال الدين وافقوا على مطلبه لكن كيف تم له ذلك؟ بينما يعلمنا ابن خلدون أن لويس التاسع كان عازماً على غزو تونس قبل خروجه من فرنسا، وأن المستنصر الحفصي كان عالماً بذلك: إذ أمر السلطان في سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور لذلك بإصلاح الأسوار واختزان الحبوب. وبالرغم من ذلك، فقد بعث برسول إلى لويس التاسع لاختبار حاله ومشارطته على ما يكف عزمه ومن الممكن جداً أن عزمه على الاتجاه إلى تونس من الأول هو الأرجح. فعند اتجاهه المرة الأولى إلى المشرق سنة ١٢٤٨ م تحول مباشرة عن طريق **قبرص إلى دمياط**. أما بالنسبة لهذه الحملة الثانية، فقد قدم عن طريق سردينيا، كما يفيدنا ابن خلدون « أن الطاغية جمع حشده وركب أساطيله إلى تونس آخر ذي القعدة سنة ثمان وستين بسرديانيا وقيل بصقلية ». إلا أن المصادر الغربية تؤكد أن العملية تمت **بسرديانيا**. هكذا يمكن إذن الاستنتاج أن **لويس التاسع** كان مقرأ العزم على الاتجاه إلى تونس قبل خروجه من فرنسا، أيضاً أنه لم يعلن ذلك من الأول حتى يتجنب انسلاخ القادة الآخرين عنه ولم يتم إعلامهم باتجاههم إلى تونس إلا في آخر لحظة حتى وضعهم أمام الأمر الواقع. **الدكتور محمد الباجي بن مامي**



الحملة الصليبية الثامنة

مسار حملة لويس التاسع إلى تونس



قبل وصول الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس، أصبح المستنصر رمزاً هاماً في العالم الإسلامي. فهو مع لقب الخليفة الذي تسمى به سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، اتخذ أيضاً لقب أمير المؤمنين، ولا يستبعد أن يكون هذا العامل من الأسباب التي دفعت لويس التاسع إلى تغيير اتجاه الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس. ومن البديهي أن مهاجمة هذا الرمز الذي أصبح له كثير من الدلالات ستشكل هزيمة انتصاراً روحياً ومعنوياً على بقية العالم الإسلامي. ومن الممكن جداً أن لويس التاسع أراد أيضاً من وراء حملته هذه إضعاف المستنصر وبالتالي منعه من إغاثة الأندلس، التي مثلت هي الأخرى حلقة من حلقات صراع المسلمين مع القوى النصرانية، وبالتالي يمكن تصور موقف الملك الفرنسي من قضية إخوانه في الدين، الذين كانوا بصدد الاستيلاء على البقية المتبقية من الإمارات الإسلامية في الأندلس. وهكذا، فإن الهجوم على تونس ساعد بصفة فعلية في وقف أي مساعدة يمكن أن تصل إلى مسلمي الأندلس، وهو بالطبع ما كان يصبو إليه كل الصليبيين، بمن فيهم لويس التاسع. أما ابن خلدون، فيفسر مبادرة لويس التاسع، برجوعه إلى الفترات القديمة من تاريخ إفريقية التي كانت من أول البلاد التي دخلت الدين المسيحي وساندته إلى أن جاء الإسلام، وكان الفتح. فيوضح صاحب «المقدمة» أن ذلك هو ما يفسر أنه لم تزل في نفوسهم (أي النصارى) من ذلك ضغائن، فكان يخالجهم الطمع في ارتجاع ما غلبوا عليه. وهو -لعمري غير- مستبعد. فخلال فترة الحماية الفرنسية لتونس لاحظنا الكثير من المستشرقين الذين يميلون إلى هذا النوع من التفكير. وقد وجدت هذه الحملة هي الأخرى مساندة البابا أوربان الرابع، فلا غرابة إذن في قرار سان لويس أن يقود حملتين صليبيتين، وهو ما يدفعنا إلى الاحتمال إلى أن دوافعه كانت في مرتبة أولى دينية حتى أنه سمي بالقدّيس لويس، ثم اقتصادياً واجتماعياً.



نزول الصليبيين بقرطاجنة وخطة المستنصر بالله الحفصي

جاءت الأخبار إلى المستنصر بالله تعلمه بتوجه **الصليبيين** إلى **تونس**، فعقد مجلسه الشورى الذي بحث فيه كيفية التعامل مع الحدث، هل يسمح للصليبيين بالنزول، أو يصدون عنه. وأخيراً استقر الرأي على أن يسمح لهم بالنزول مخافة أن ينزلوا في مكان آخر غير حصين. ولا مستعد لقتال، وبعث بالنتير على أطراف مملكته، فجاءت النجدات من مختلف الجهات.

وفي آخر ذي القعدة سنة ٦٦٨ هـ ١٢٧٠ م، أرسلت أساطيل **لويس التاسع** أما مدينة **قرطاجنة العتيقة**، وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من **قرطاجنة** وكانت مائلة الجدران. ووصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها، وأداروا على السور خندقاً بعيد المهوى. وكانت عدتهم ستة آلاف فارس وثلاثين ألفاً من الرجالة، وكانت أساطيلهم ٣٠٠ مركب بين كبير وصغير، ولم يشرع **الصليبيون** في مهاجمة أو قتال جدّي؛ فقد كان **لويس التاسع يتربص** و**وصول أخيه شارل دانجو من صقلية**.

وفي واقع الأمر أن **المستنصر بالله** لم يفكر في مهاجمة **الصليبيين**؛ فقد كانت خطته مبنية على مجرد الدفاع والمحافظة. وكان جنده يتكون من جيشه، وقوات الموحدين، ومن المتطوعة. وملئت سواحل قرية رادس بالجند تحت قيادة محمد بن أبي الحسين، رئيس الدولة. وعقد ألوية سبعة تحت نظر يحيى بن أبي بكر ويحيى بن صالح الحصار الصليبيين من الناحية البرية، وخرج كثير من الصلحاء والفقهاء، والمرابطون لمباشرة القتال بأنفسهم. ولم تكن بين الفريقين معارك ذات أهمية سوى ما ذكره ابن خلدون من أنه في أول محرم سنة ٦٦٩ هـ **وقعت معركة كبيرة** قتل فيها كثير من الفريقين كما قام بعض الجند بمفاجأة للصليبيين عندما سلخوا طريق



بقايا آثار لويس التاسع موجودة في اللوفر

البحيرة حتى وصلوا إلى المعسكر الصليبي من طريق غير منتظر خروجهم منه وظفر هؤلاء المغامرون ببعض الشيء من الصليبيين الذين تقطنوا لهذا، وأقاموا حراسة من جانب البحيرة. وطالت محاصرة الصليبيين حتى نالهم التعب والجوع، وتفشت فيهم الأمراض والأوبئة **ولم يسلم لويس التاسع منه، فمات بإصابة وبائية** في المحرم سنة ٦٩٩ هـ في نفس اليوم الذي وصل فيه **أخوه ملك صقلية** وبعد ساعات من موته، فباشرة القيادة بنفسه؛ لكنه فضل الصلح مع المستنصر الحفصي.



موقع صقلية بالنسبة لقرطاجة التونسية



طوال المدة التي مكثها الصليبيون بقرطاج تقارب (أربعة أشهر)، في حين يرى ابن خلدون أنها ستة أشهر.

تجمع المصادر على أن لويس التاسع قبع في تحصيناته بقرطاج. إلا أن سكان البلاد الذين يعرفون بطريقة جيدة الطرقات المؤدية إلى قرطاج، استطاعوا في العديد من المرات التسلل عن طريق البحيرة ومباغثة جيوش العدو، إلا أن المصادر الغربية نسبت ذلك إلى تظاهر الأعراب بالدخول في الدين النصراني، وهذا افتراء محض. وعند اقترابهم من صفوف الصليبيين غدروا بهم وطعنوا البعض منهم. على كل هذه المناوشات لم تأت بأي نتيجة تذكر، إذ عرف الصليبيون الأماكن التي يصل منها المسلمون فحصنوها ووضعوا حراساً في البحيرة.



مؤلف ومصمم الأطلس بين اطلال قرطاج الاثرية (تونس)



قال أحد الشعراء عند نزول لويس التاسع بتونس،
فتأهب لما إليه تصير يا فرنسيس هذه أخت مصر
وطواشيك منكر وتكير لك فيها دار لقمان قمبر

باب البحر عند مدخل تونس القديمة المطل على شارع فرنسا

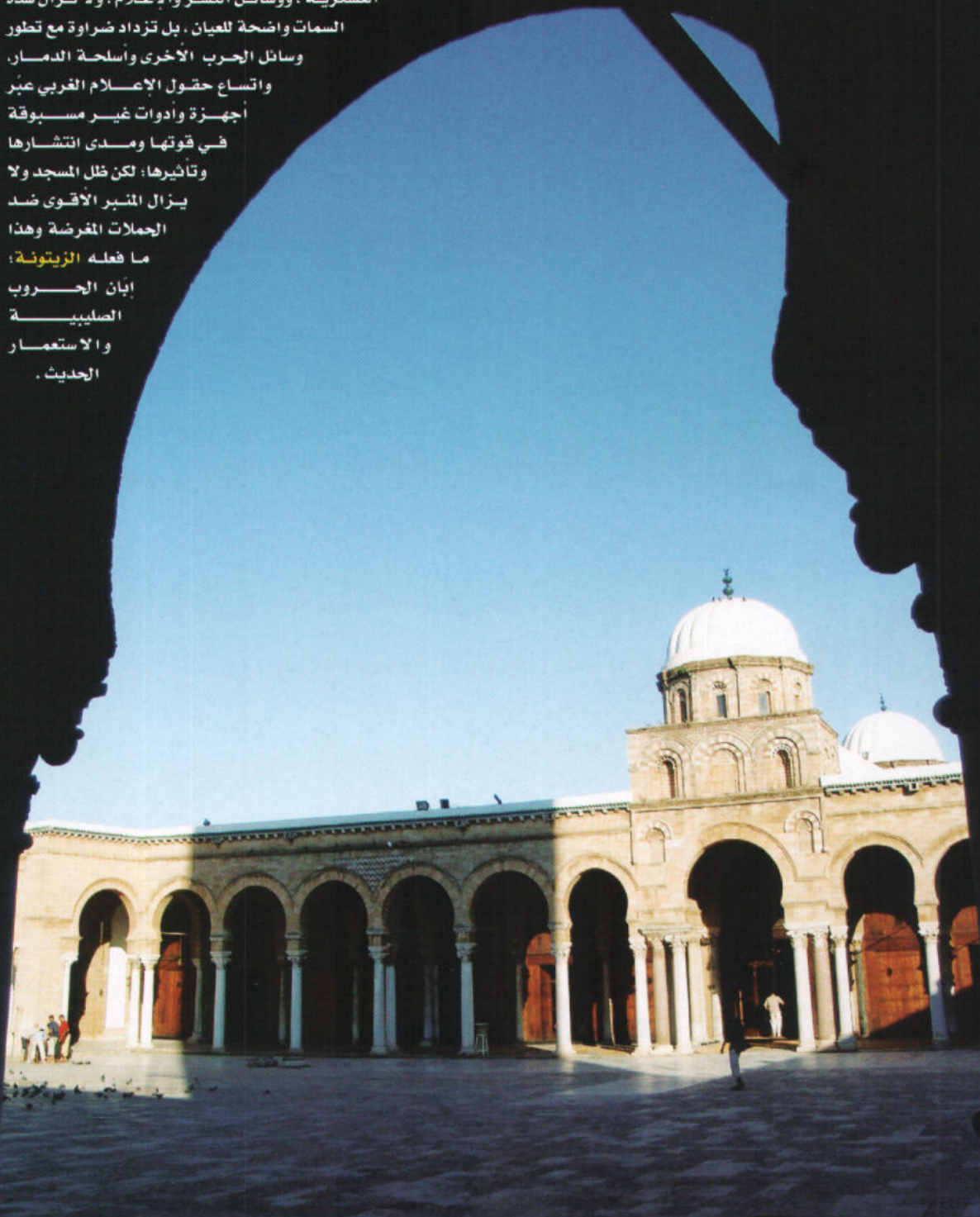
كان أهم ما اشتملت عليه **اتفاقية الصلح بين الصليبيين والمسلمين**؛ عقد هدنة بين الطرفين لمدة خمسة عشر عاماً تدفع أثناءها الغرامة الحربية التي التزم بها المستنصر بالله الحفصي للصليبيين، وأن يقع احترام مصالح الطرفين الدينية والتجارية، وألا يتعرض الصليبيون لجهة من جهات المسلمين التابعة لسلطان تونس حالاً أو مآلاً. وتضمنت الاتفاقية فقرة خاصة **بملك صقلية** في شأن الأموال التي ادّعاها على الدولة الحفصية .

وكان الذي تولى كتابة عقد الصلح القاضي ابن زيتون . وكان حاضراً معه أبو الحسن علي بن عمرو، وأحمد بن الغماز، وأبو زيان بن محمد بن عبد القوي . وباتمام العقد على الصلح اتصل الفريقان اتصالاً سلمياً، ودخل المسلمون محلة النصرى وباعوا معهم واشتروا، وكانت مدة إقامتهم بتونس أربعة أشهر - كما ذكرنا ذلك على الصورة في الصفحة السابقة - **وأُعلنت القوات الصليبية عن تونس** بعد مدة يسيرة من إتمام الصلح .

وصادفتها - عرض البحر - عاصفة شديدة أتت على الكثير من سفنها ورجالها، ووصلت البقية إلى جزيرة صقلية القريبة من تونس سالمة .



اتكأ الصليبيون على التوسع الاستعماري لدولهم الصليبية، وأن ذلك التوسع قام - ولا يزال - على **دعامتين** هما: القوة العسكرية، ووسائل النشر والإعلام، ولا تزال هذه السمات واضحة للعيان، بل تزداد ضراوة مع تطور وسائل الحرب الأخرى وأسلحة الدمار، واتساع حقول الإعلام الغربي عبر أجهزة وأدوات غير مسبوقة في قوتها ومدى انتشارها وتأثيرها؛ لكن ظل المسجد ولا يزال المنبر الأقوى ضد الحملات المفرضة وهذا ما فعله **الزيتونة**؛ إبان الحروب الصليبية والاستعمار الحديث.



جامع الزيتونة التاريخي: أحد المعالم الإسلامية العظيمة في تونس العاصمة، والذي وقف سداً منيعاً ضد محاولات الصليبيين لتحصير هذا الشعب المسلم الأبي، هذا الشعب الذي كان له دور بارز في نشر الإسلام في الأندلس والقارة السمراء، اللقطات بعدسة مصمم ومؤلف الأطلس.

أهم مصادر ومراجع الباب العاشر

- ١ - الدكتور محمد الباجي بن مامي، حملة لويس التاسع على تونس (فصل من الحروب الصليبية)، مجلة التاريخ العربي، أعداد مختلفة .
- ٢ - ستيفن رنسيما - تاريخ الحروب الصليبية - ترجمة السيد الباز العريني - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٩ م.
- ٣ - د . سعيد عبد الفتاح عاشور - الحركة الصليبية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٢ م.
- ٤ - محمد مصطفى زياد - حملة لويس التاسع - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .





تصفية الوجود الصليبي (الفرنجية) من بلاد الشام

★ في عهد السلطان الظاهر بيبرس

★ في عهد السلطان محمد بن قلاوون

★ تحرير عكا في عهد الأشرف خليل

★ تطهير آخر معاقل الصليبيين (الفرنجة)



الوضع العام بعد نهاية الحملات الصليبية الرئيسية

انتهت بالفعل الحملات الصليبية الكبرى **بوفاة لويس التاسع** وقيام دولة المماليك في مصر والشام، لذلك لم تكن العلاقات بين المماليك والصليبيين الذين أقاموا كيانات سياسية في الشرق. بدءاً من أواخر القرن السادس الهجري/ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. محكومة دائماً بمساق الصراع الدامي كما يتخيله الكثيرون، بل تخلت حالة المواجهة بينهم فترات من الهدوء والاسترخاء العسكري، ضمنها **اتفاقيات هُدن** سعى إليها غالباً أمراء الصليبيين، وبخاصة في أيام السلطان **الظاهر بيبرس** (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م). والسلطان **المنصور قلاوون** (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م). تنوعت محتويات هذه الهدن لتشمل ضمان ممتلكات الطرفين، وسلامة الحكام الشخصية، وسلامة رعاياهم، وحرية حركة التجارة، وتنظيم جباية الرسوم والضرائب من المكلفين، من تجار ومسافرين ومقيمين.

عكست اتفاقيات الهدن حالة التجزئة، التي كانت تعاني منها السنيوريات الصليبية القائمة على ساحل الشام، حيث كان يستحيل عليها أن تتواصل فيما بينها دون المرور بالمناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية، أو اجتياز معابر ملامسة لهذه المناطق، أو واقعة على مقربة منها. فكانت هذه السنيوريات بمثابة جزر سياسية منعزلة في محيط إسلامي واسع: كان معبر **إسكندرونة**، مثلاً، يعزل سنيورية عكا عن سنيورية صور. وكان القسم الجنوبي من سنيورية صيدا معزولاً تماماً عن سنيورية صور. كما أُجبر أسياذ بيروت على التنازل للتوحيين أمراء العرب عن قسم من بلدة الدامور التي شكلت، آنذاك الحد الفاصل بين سنيوريتي بيروت وصيدا. د. أحمد حطيط، الجامعة اللبنانية.

لم تصل إلينا نصوص اتفاقيات الهدن المعقودة بين المماليك والصليبيين كاملة، باستثناء عدد قليل منها نقع عليه لدى مصنفي سيرتي بيبرس وقلاوون (السير الشعبية). هذا، مع الإشارة إلى أن ما عُقد منها أيام قلاوون جاء موجزاً وعماماً، وكان بمثابة تجديد لما سبق أن تعاهد عليه بيبرس مع أمراء الفرنج، مكتفياً، في كثير من الأحيان، باستعادة مضمون الهدنات السابقة دون أية إضافات أخرى. وعليه، فإن من أكثر اتفاقيات الهدن أهمية، نظراً لأكملها، تلك المعقودة بين **المنصور قلاوون وحكام عكا** عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، مؤرخة بالتقويم الهجري وما يقابله بالتقويم الإسكندري (المقدوني)، وهو ما كان يعتمد النصارى الشرقيون والصليبيون الأوروبيون، عندما كان هؤلاء يكتبون مراسلاتهم بالعربية.

فرض السلطان **بيبرس** هيبة الدولة على أعدائه بكسر شوكة **المغول**، بعد تسع مواجهات ضارية معهم، بين عامي ٦٧٠ - ٦٧٥ هـ و ١٢٧١ - ١٢٧٦ م، كان آخرها المعركة التي جرت في عقر دارهم، حيث أحق بهم الهزيمة في سهل هوفي في صحراء البلسطين (آسيا الصغرى). **ونجح السلطان في زعزعة بنيان الكيانات الإفريقية، بعد إحدى وعشرين حملة عسكرية عليهم، أدت إلى سقوط إمارة أنطاكية في يده واستيلائه تبعاً على القلاع والحصون الاستراتيجية المحيطة بكونتية طرابلس ومملكة عكا.**

كما قام بيبرس بخمس حملات على بلاد الأرمن في آسيا الصغرى وأخضعها لسيادته.

وإلى جانب منجزاته العسكرية الهامة، خط الظاهر بيبرس لدولته سياسة خارجية لافتة للانتباه تمثلت في **إحاطة حروبه بسياج من المعاهدات والاتفاقيات الدولية لاكتساب الأعوان والحلفاء من جهة، والاستفراء بالأعداء من جهة أخرى.** ومن ذلك: سعيه الحثيث للتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية العدو التقليدي لللاتين، وحرصه على الاحتفاظ بسياسة الود مع الجنوية ومع كل من شارل دانجو ملك صقلية وملك إشبيلية، وكانت له صلات حسنة مع عز الدين كيكايوس سلطان سلاجقة الروم، كما حالف بركة خان زعيم مغول القبجاق، وذلك لمواجهة عدوهما المشترك المتمثل بإيلخانات فارس من هولاكو وأولاده.

الوجود الصليبي في عهد السلطان المنصور (محمد بن قلاوون)

كان من الطبيعي أن يركز المماليك جهودهم للاستيلاء على عكا، منذ بدأ الظاهر بيبرس نشاطه العسكري في بلاد الشام. فسقوطها سيؤدي بالضرورة إلى تهاوي المناطق الصليبية الواقعة في دائرة نفوذها، ولا سيما الشريط الساحلي بين بيروت وصور. وقد أسفرت العمليات العسكرية عن عقد السلطان اتفاقية هدنة مع أسياذ عكا عام ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م، مدتها عشر سنوات.

أما المنصور قلاوون، فقد سعى حثيثاً لمنع التقارب بين الصليبيين والتتار، وهذا ما يعل تعهده بضمان سلامة أملاك أسياذ عكا من أي اعتداء كي يتفرغ لجبهة غزوات التتار لبلاد الشام. فأعاد السلطان للصليبيين بعض الأراضي التي سبق أن استولى عليها، ومنه ضمانات للحجاج النصارى القاصدين من بلاد عكا زيارة كنيسة الناصرة. وتشير بعض نصوص هدنة عكا إلى حالة القلق التي كانت تراود السلطان قلاوون من شيوخ أخبار مشاريع التحالف بين الصليبيين والتتار، وهي مشاريع عمل اللاتين على تحقيقها جدياً، لضمان سلامة مستعمراتهم في فلسطين. لذا حرص السلطان على تضمين الهدنة نصاً يلزم أسياذ عكا بإنذاره بعزمهم على فسخ الهدنة قبل شهرين على الأقل من قدوم صليبية جديدة إلى الشرق. أما إذا علم أحد الطرفين بحركة التتار، أو أية شعوب أخرى آتية من سهوب آسيا باتجاه الشام، فيتوجب عليه أن يخطر الطرف الآخر بذلك كي يتدبر أمره ويستعد لمواجهة الخطر الداهم. ولأن خطر التتار يستهدف المسلمين أساساً، فقد تعهد أسياذ عكا بتوفير الحماية لهؤلاء إذا ما أرغموا على الانهزام أمام التتار إلى بلاد مملكته.

لقد كانت الحالة التي سادت بلاد الشام على أهبة الاستعداد من تكرار هجمات التتار، وترقب المماليك الدائم لحركة المدد الأوروبية إلى الشرق، فضلاً عن التنافس الحاد بين أمراء اللاتين أنفسهم، قد دفع المماليك والصليبيين إلى تجديد الهدن، فإن ثمة عاملاً كان له أهمية أبعد مدى في الزمان أفسد كل جهد ممكن ذلك بأن المماليك المطعون في مشروعيتهم من أنصار الأيوبية ومن بقايا الدولة العبيدية في مصر والشام، وجدوا في إحياء خلافة بني العباس في القاهرة، بعد سقوطها في بغداد على يد التتار عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، فرصة لإضفاء صفة الشرعية الدينية على حكمهم، ورأوا في متابعة حركة الجهاد ضد الصليبيين والتتار ما يعزز مكانتهم لدى المسلمين كافة، ويجعل سلاطين المماليك في مرتبة أعلى من حكام البلاد الإسلامية الآخرين باعتبارهم حماة الإسلام والخلافة الإسلامية، لذا لم يكن بوسع المماليك أن يرضوا باستمرار وجود دولة أجنبية دخيلة على بلاد المسلمين، بالرغم من "علاقات حسن الجوار" التي ضمنها اتفاقيات الهدن، ولو إلى حين.

د. أحمد حطيط، تاريخ لبنان الوسيط، دراسة في مرحلة الصراع المملوكي - الصليبي.

السلطان المنصور (محمد بن قلاوون)

هو ثالث سلطان من المماليك حكم من ١٦ محرم ٦٩٣ هـ/ ١٨ ديسمبر ١٢٩٣ م، ويعتبر العصر الذهبي لدولة المماليك. أصبح سلطاناً على مصر بعد مقتل أخيه؛ فجلس على العرش وهو لا يزال في التاسعة من عمره في ١٨ ديسمبر ١٢٩٣. واختير الأمير "كتبغا" نائباً له وكان النائب الحاكم الفعلي للبلاد. حقق محمد بن قلاوون إنتصارات عسكرية على جيشي المغول والصليبيين كما شهدت البلاد في عهد بن قلاوون نهضة حضارية وعمرانية فشيّد "القصر الأبلق" و"مسجد القلعة" في يونيو ١٢٤١، مرض السلطان الناصر مرضاً شديداً حتى توفي بعد أحد عشر يوماً عن عمر بلغ سبعة وخمسين عاماً.

تعد مدرسة وجامع الناصر محمد ابن قلاوون من أهم آثار العصر المملوكي وأبدعها.

أعيد البناء الحالي لباب المغاربة وهو أحد بوابات القدس. سمي بباب المغاربة نظراً لأن القادمين من المغرب كانوا يعبرون منه لزيارة المسجد الأقصى في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٢ هجرية/ ١٣١٢ ميلادية.

توفي السلطان قلاوون بقلعة الجبل بالقاهرة في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ، وفيها غُسل وكفن، ثم حُمِل إلى تربته الملحقة بمدرسة العظيمة بين القصرين (شارع المعز) فدفن فيها، ولا تزال المدرسة شامخة شاهدة على عظمة هذا السلطان وازدهار عهده.



مؤلف ومصمم الأطلس أمام قلعة المرقب في شمال غربي سوريا

أطلس أكمالات الصليبية على المشرق الإسلامي



قلعة (حصن) المرقب: حصن يقع على بعد ٥ كم جنوب شرقي بانياس (محافظة طرطوس). بناها العرب عام ١٠٦٢م. احتلها الصليبيون عام ١١١٧م، وأصبحت من أهم مواقعهم الحصينة في المنطقة. استعادها **السلطان قلاوون** في العام ١٢٨٥م، بعد قتال عنيف وحصار استمر ٣٨ يوماً، وتم جلاء حامية القلعة إلى إمارة عكا. كانت **هزيمة الصليبيين في المرقب إيذاناً بانتهاء وجودهم في المشرق**. أمر قلاوون بتحصين القلعة وترك فيها فرقة من المماليك البحرية. يحيط بالقلعة سوران، داخلي وخارجي، يحتوي الأخير على ١٤ برجاً دفاعياً، لعل أهمها البرج الجنوبي، وهو برج ضخّم تزيينه أحجار بيضاء نقش عليها تاريخ فتح القلعة على يد قلاوون. من أجزاء القلعة الهامة أيضاً قاعة الفرسان والقاعة الكبيرة وكنيسة تعود للقرن الثاني عشر.



قلعة المرقب من الداخل



أطلس أعمال الصليبيين على المشرق الإسلامي



اتجاه القبلة



المكان الذي حوله السلطان قلاوون إلى مسجد بعد تحريره من الصليبيين



شاطئ اللاذقية على البحر المتوسط



وقعت اللاذقية تحت
الاحتلال الصليبي في
عام ١٠٩٧م وألحقها
بولاية أنطاكية. استطاع
صلاح الدين الأيوبي أن
يحررها في عام ١١٨٨م
بيد أن الصليبيين
أخضعوها مرة ثانية
تحت حكم ولاية طرابلس
في عام ١٢٦٠م،
وتخلصت نهائياً من
الاحتلال الصليبي في
عهد السلطان المنصور
قلاوون سنة ١٢٨٧م.



ميدان اللاذقية الرئيس



قلعة صلاح الدين الأيوبي في اللاذقية

بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧ م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وبسقوط عكا ١٢٩١ م وطرد الصليبيين نهائياً من الشام اتجهت هيئات الفرسان إلى نقل نشاطها إلى ميادين أخرى:

- اتجه الفرسان التيوتون نحو شمال أوروبا حيث ركزوا نشاطهم الديني والسياسي قرب شواطئ البحر البلطكي.
- نزح (الداوية) أوفرسان المعبد إلى بلدان جنوبي أوروبا وخاصة فرنسا حيث قضى عليهم فيليب الرابع فيما بعد (١٣٠٧: ١٣١٤ م).
- فرسان الاسبتارية (المستشفى) الذين ظل وجودهم حتى اليوم، فقد اتجهوا في البداية إلى مدينة صور ثم إلى المرح (في ليبيا حالياً) ومنها إلى عكا ثم ليماسول في قبرص ١٢٩١ م.





قلعة طرابلس من الداخل



حوالي العام ١١٠٠م، أخذ
الصليبيون يشددون حملاتهم على
سواحل المنطقة قصد التوغّل إلى بيت
المقدس في فلسطين، وكان ريمون دي
سنجيل يحلم بإنشاء إمارة له
ولأولاده في طرابلس وقد حاول أكثر
من مرة بمساعدة الأساطيل الجنوبية
الإيطالية خلال عدة سنوات فلم يفلح
وقد تابع خلفه محاصرة طرابلس
وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام
١١٠٩م، وظل يحكمون فيها ومن بعده
أولاد وأحفاد ريموند دي سنجيل حتى
العام ١٢٨٩م.



مدخل قلعة طرابلس الأثرية



أحد الجوامع الحديثة في طرابلس



مؤلف ومسم الأطلس أمام الجزيرة القابلة لطرابلس

كان التنافس بين الأمراء الصليبيين على الحكم على أشده، مما أضعف قوتهم وشتت شملهم، وهنا وجد المماليك في مصر الفرصة سانحة أيام **حكم السلطان قلاوون** الذي جهز حملة عسكرية كبيرة من ٤٠ ألف فارس، و ١٠٠ ألف جندي من المشاة، حيث حاصر **طرابلس** في أول آذار من عام ١٢٨٩م، وظل يهاجمها حتى ٢٦ نيسان أي لمدة ٣٤ يوماً، واستولى عليها وقتل كل من غدر فيها من الصليبيين، والذين تمكنوا من النجاة الغادرين **ولجأوا إلى جزيرة**

صغيرة قبالة ساحل طرابلس حيث كان يوجد فيها كنيسة، لحقت بهم **جيوش السلطان قلاوون** وقتلت الغادرين منهم. وبعد استيلاء المماليك على طرابلس، أمر السلطان **قلاوون** بهدمها ولم يبق فيها حجر على حجر، ثم أمر ببناء مدينة "طرابلس" من جديد على ضفتي النهر. بقيت طرابلس تحت حكم المماليك قرنين وربع قرن، حين دخلت قوات السلطان سليم العثماني البلاد العربية وانتهت حكم المماليك فيها واستمر حكم العثمانيين أربعة قرون إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى ودخل الحلفاء منطقة الشرق الأوسط؛ وكان لبنان من نصيب الفرنسيين، ثم استقلال لبنان.



أخذ المداخل الرئيسية إلى بيروت العاصمة اللبنانية

باستيلاء المسلمين على
طرابلس، فقد **الصلبيون**
بعدها، **بيروت** وجبله وما
حولها من الحصون بدون
مقاومة تُذكر، ولم يبق في
حوزتهم بالسواحل الشامية
سوى مدينة **جبيل** التي أقر
السلطان **قلاوون**، صاحبها
عليها مقابل مبلغ من المال،
بالإضافة إلى مدن عكا وصور
وصيدا، وحصن عتليت .



متحف بيروت



أحد جوامع لبنان الحديثة: جامع فوزية الرقاعي من دولة الكويت



الطبيعة الخلابة في محيط بيروت





القضاء نهائياً على الوجود الصليبي الفرنجي في عهد السلطان (الأشرف خليل)

بعد أن فتح **المنصور قلاوون** (٦٧٩-٦٨٩ هـ) طرابلس وعزم على حصار **عكا** ولكن المنية عاجلته. خلفه ابنه **الأشرف خليل** (٦٨٩-٦٩٣ هـ) والذي توجه بقواته نحو عكا، واجتمعت إليه جيوش مصر والشام سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١م) فقام بمحاصرتها مدة أربعة وأربعين يوماً، ورمها بالمنجنيق، حتى فتحها في جمادى الأولى من عام ٦٩٠ هـ (١٢٩١م)، رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها حاميتها، وإمدادات **قبرص** لها - حيث أن الصليبيين كانوا يعلمون أنها آخر أمل لهم في البقاء في الشام - وقد فر بعض سكانها إلى عرض البحر المتوسط وتكدسوا في السفن التي غرق بعضها لكثرة من كانوا على ظهرها .

وبعد ذلك قام **الأشرف خليل** بالاستيلاء بسهولة على **بقية ما تبقى بأيدي الصليبيين** مثل: **صور وحيفا** اللتين قاومتا مقاومة كبيرة، ثم اضطرتا للتسليم فنجتا بذلك من التخريب، ثم استولى الأشرف خليل على **عتليت وصيدا وانطرسوس**، وبهذا تم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في الشام، وإن كان الصليبيون في **جزيرة إرواد** المقابلة للساحل الشرقي قد ظلوا يغيرون على السواحل بين الفينة والأخرى ويقطعون الطرق، مما أزعج نائب السلطنة المملوكية على الشام، وجعله يطلب معونة السلطان الناصر محمد ابن قلاوون، فجهز أسطولاً ووجهه نحو هذه الجزيرة بعد أن ضم إليه جيش **طرابلس** ففتحها وملكها وقتل من أهلها خمسمائة وذلك عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢م).

وهكذا بالقضاء على **الصليبيين** في عام ٦٩٠ هـ (١٢٩١م) وبزوال **الخطر المغولي** عن **الشام ومصر**، أصبح **لدولة المماليك** شأن عظيم في السياسة الدولية خصوصاً في عهد سلطانها الناصر محمد ابن قلاوون في سلطنته الثالثة.

أدرك **الصليبيون في أوروبا** فشل محاولاتهم المتلاحقة للعدوان على **بلاد الإسلام** في الشام ومصر، ورأوا زوال آخر إماراتهم بعد قرنين من تأسيسها، رغم ما بذل في سبيل إقامتها من جهود مادية ومعنوية، ومن سفك في سبيلها من دماء، كما لمسوا فتور الحماس الصليبي، بعد فشل **حملتي لويس التاسع والسابعة والثامنة على مصر وتونس**، لذلك اضطروا إلى تقبيل اليد التي حاولوا قطعها فلجأوا إلى الدبلوماسية والمراسلات والسفراء والهدايا، عليهم يحققون عن طريقها ما فشلوا في تحقيقه بالتعصب والسيوف.

انهال سفراء الدول الأوروبية على بلاط الملك الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة، محملين بالهدايا والرسائل التي تلح في طلب الصداقة والموادة، وتوثيق عرى الصداقة، في حين كان غرضها الأساسي هو استدراج عطف الناصر على النصارى في دولته، سواء من كان منهم من الأقباط في مصر أو من أهل الشام، فأرسل البابا يوحنا الثاني والعشرين في عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٦م) رسالة إلى الناصر طالباً منه أن يعامل نصارى الشرق معاملة عادلة، مقابل معاملة مماثلة للمسلمين، فرد عليه الناصر مجيباً طلبه .

مراسلات الأوروبيين للأشرف خليل

في نفس السنة التي حرر المسلمون عكا أرسل **شارل الرابع ملك فرنسا** رسالة بالعطف على نصارى المشرق فرد عليه الناصر أيضاً مجيباً طلبه، كما أرسل إليه **إمبراطور بيزنطة** سفراء محملين بالهدايا راجياً إياه معاملة النصارى المماليكين لديه بالرعاية والعدل، فقبل الناصر طلبه، وعقد معه حلفاً لصد الأتراك العثمانيين .

وبلغت العلاقات بين الناصر ويعقوب ملك أرغونة شأواً كبيراً بسبب المراسلات بينهما ما بين سنتي ٧٠٣ - ٧٢٨ هـ (١٣٠٢ - ١٣٢٧ م)، التي كان هدفها إيجاد علاقة صداقة بينهما، والحصول على مميزات تجارية لأرغونة في مصر، وتسهيل الحج للأراضي المقدسة، وإطلاق سراح النصارى المسجونين في مصر، وضمنان حسن معاملة الأقباط والنصارى عامة في الشرق. وقد رأى الناصر محمد - الذي كان ملكاً مستتيراً محنكاً، يميل إلى المسالمة - رأى ذلك فرصة لتوثيق العلاقات بين دولته والآخرين في الشرق والغرب، يحقق بها مصالح مشتركة وخاصة حماية المسلمين في أسبانيا التي كانت خاضعة لحاكم أرغونة، بالإضافة إلى المصالح التجارية والعسكرية في الوقوف أمام الأخطار المحدقة بدولته في قادم الأيام.



تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام في عهد الأشرف خليل

مستعمرات صليبية	مستعمرات بيزنطية
إمارة أرمنية	مناطق تحت سلطان المسلمين



خرج الأمير "حسام الدين لاجين" نائب الشام بجيشه من "دمشق"، وخرج الملك المظفر بجيشه من "حماة"، وخرج الأمير "سيف الدين بلبان" بجيشه من "طرابلس"، وخرج الأمير "بيبرس السواداري" بجيشه من "الكرك"، وتجمعت كل هذه الجيوش الجرارة عند أسوار **عكا**، وقدر عددها بنحو ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفاً من المشاة؛ مجهزين بالأسلحة وعدد كبير من آلات الحصار، وبدأت في فرض حصارها على "عكا" في (ربيع الآخر ٦٩٠هـ = ٥ من إبريل ١٢٩١م)، ومهاجمة أسوارها وضربها بالمجانيق؛ وهو ما مكثهم من إحداث ثقب في سور المدينة.

سوريا

بلاد الشام
الأردن

----- ◀ حملة صليبية شعبية من إيطاليا الوسطى ولومبارديا، وصلت عن طريق قبرص، ثم **عكا** في منتصف ١٢٩٠م، وكانت تضم بين ظهرانيها عصابات أشبه بعصابات بطرس الناسك وواتر المفلس ورفاقهما، والتي تشكلت في سنة ١٠٩٦م، أي في بدء الحملة الصليبية الأولى؛ فراحت تعبت بالنظام، وتعبت فساداً في المدينة، فناصرها الأهالي العداء، فأقدم بعضها في أحد الأيام من شهر آب سنة ١٢٩٠م، على ارتكاب مجازر بحق الفلاحين والتجار المسلمين الأمنين، والعزل من السلاح، وقتلوا معهم بعض السريان الملكانيين خطأ بسبب تركهم لحاهم كالمسلمين؛ ثم أخذوا يخرجون إلى ضواحي عكا لترقب مرور القوافل التجارية الإسلامية لتهبها وقتل أصحابها، ولما ترامت الأخبار للسلطان الأشرف قلاوون، بما فعله هؤلاء الصليبيون من أعمال بربرية، طلب من سلطات عكا، تسليمه المجرمين المسؤولين عنها، فلم تستجب سلطات عكا لذلك، بل أرسل نائب المملكة (مملكة بيت المقدس عكا) يعتذر له عنهم؛ فما كان من قلاوون إلا أن اعتبر الهدنة منقوضة.

◀ بدأ السلطان (قلاوون) بتجهيز حملة عسكرية لذلك، ولكن قبل أن ينتهي من إعدادها، وافته المنية، فتوفي بعد خروجه من الديار المصرية، وكانت وفاته بالقرب من المطرية في ٦ ذي القعدة ٦٨٩هـ، وتولى ابنه **الأشرف صلاح الدين خليل** سدة السلطنة بعده، وخرج من مصر بجيش كان والده قد هبأه له لفتح عكا.

◀ العساكر الشامية تخرج من مدن شامية متعددة لملاقاة العساكر المصرية، بناء لطلبه؛ ولما التقى الجمعان (الشامي والمصري) أنقى المسلمون الحصار على مدينة عكا أول جمادى الأولى سنة ٦٩٠هـ = ٥ نيسان ١٢٩١م، وضاق الخناق عليها، لدرجة أن كل محاولة كانت تجري من قبل الصليبيين لفكته تنتهي بالفشل الذريع.

أطلس اكملات الصليبية على المشرق الإسلامي





تحرير عكا من أيدي الصليبيين

سلطنة المماليك

حماة

حمص

دمشق

سلطنة المماليك

عمّان

الكرك

أنطاكية

حلب

اللاذقية

طرطوس
ج. أرواد

طرابلس

بيروت

صور

حيفا

بيت المقدس

بيت لحم

البحر الميت



١ ملك قبرص (هنري الثاني) يصل بـ ٤٠ سفينة حربية، تنقل ٢٠٠ من الفرسان، و ٥٠٠ من المشاة لمساعدة صليبي عكا في ٤ أيار سنة ١٢٩١ م.

٢ معسكر الجيش الإسلامي بقيادة الأشرف خليل، يتعرض معسكره لضرب متعمد من أحد منجنيقات الصليبيين؛ مما أغضب السلطان، وأوقف المفاوضات، وعادت المناوشات تشتد بين المحاصرين والمحاصرين الذين أبدوا مقاومة قوية بعد مجيء قوات ملك قبرص.

٣ الداوية والاسبتارية، وجان دي غرايي قائد الفرقة الفرنسية، وأوت دي غرانسون قائد الفرقة الإنجليزية، وهو فارس سويسري إضافة إلى ملك قبرص (هنري الثاني).

٤ دمشق وطرابلس وحماة والكرك | منطلق الجيش الشامي لحصار عكا |.



مدينة عكا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)

المدينة القديمة



سور مدينة عكا الفلسطينية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط

مكرر للأهمية



ميناء عكا من الفضاء الخارجي

اشدت الحصار الإسلامي على الصليبيين في عكا والذي دام ثلاثة وأربعين يوماً، وعجز الصليبيون عن الاستمرار في المقاومة، ودب اليأس في قلوبهم؛ فخارت قواهم، وشق المسلمون طريقهم إلى القلعة، وأجبروا حاميتها على التراجع؛ فدخلوا المدينة التي استسلمت، وشاعت الفوضى في المدينة، بعد أن زلزلت صيحات جنود المماليك (الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر) جنبات المدينة، وهز الرعب والفرع قلوب الجنود والسكان؛ فاندفعوا إلى الميناء في غير نظام يطلبون النجاة بقواربهم إلى السفن الراسية قبالة الشاطئ؛ ففرق بعضهم بسبب التدافع وثقل حمولة القوارب وانهارت المدينة ووقع عدد كبير من سكانها أسرى في قبضة المماليك، وسقطت في يد الأشرف خليل في (١٧ من جمادى الأولى ٦٩٠هـ = ١٨ مايو ١٢٩١م)، ثم واصل سعيه لإسقاط بقية المعاقل الصليبية في الشام كما سيتضح لنا في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.



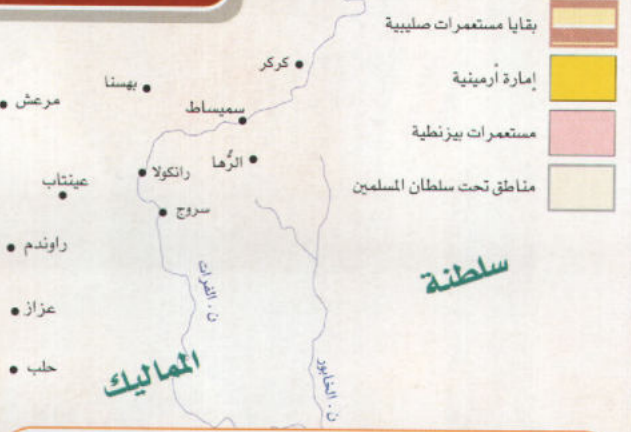


أطلس اكملات الصليبية على المشرق الإسلامي





الاجهاز على البقية الباقية من الصليبيين (الفرنجة) في بلاد الشام



قال أبو الفداء: وخرج الفرنج (الصليبيون) في أثناء مدة الحصار بالليل، وكبسوا العسكر، وهزموا اليزكية، واتصلوا إلى الخيام، وتعلقوا بالأطناب، ووقع منهم فارس في جورة مستراح بعض الأمراء فقتل هناك، وتكاثر عليهم العساكر فولى الفرنج منهزمين إلى البلد، وقتل عسكر حماة عدة منهم، فلما أصبح الصباح، علق الملك المظفر صاحب حماة، عدة من رؤوس الفرنج في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف، واشتدت مضايقة العسكر لعلًا حتى فتحها الله تعالى لهم، في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف، ولما هاجمها المسلمون، هرب جماعة من أهلها في المراكب، وكان في داخل البلد عدة أبرجة عاصية، بمنزلة قلاع، دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها، وقتل المسلمون وغنموا من عكًا شيئاً ينفوت الحصر من كثرتة، ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالأبرجة، ولم يتأخر منهم أحد، فأمر بهم فضربت أعناقهم عن آخرهم حول عكًا، ثم أمر بمدينة عكًا فهدمت إلى الأرض، ودكت دكًا، ومن عجائب الاتفاق، أن الفرنج استولوا على عكًا وأخذوها من صلاح الدين، ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، سنة سبع وثمانين وخمسائة، واستولوا على من بها من المسلمين، ثم قتلوهم، فقدر الله عز وجل في سابق علمه، أنها تفتتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الأشرف صلاح الدين، فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه، وكذلك لقب السلطانين.

ذكر فتوح عدة حصون ومدن؛ لما فتحت عكًا، ألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام، فأخلوا صيدا وبيروت، وتسلمها الشجاع في أواخر رجب، وكذلك هرب أهل مدينة صور، فأرسل السلطان وتسلمها، ثم تسلم عثيث في مستهل شعبان، ثم تسلم أنطرطرس في خامس شعبان، جميع ذلك في هذه السنة، أعني سنة تسعين وستمائة. واتفق لهذا السلطان من السعادة، ما لم يتفق لغيره، من فتح هذه البلاد العظيمة، الحصينة، بغير قتال ولا تعب، وأمر بها فخرت عن آخرها، وتكاملت بهذه الفتوحات، جميع البلاد الساحلية الإسلامية، وكان أمراً لا يطمع فيه ولا يرام، وتطهر الشام والسواحل من الفرنج (الصليبيين)، بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية، وعلى ملك دمشق، وغيرها من الشام، فله الحمد والمنة على ذلك، ولما تكاملت هذه الفتوحات العظيمة، رحل السلطان الملك الأشرف، ودخل دمشق وأقام مدة، ثم عاد إلى الديار المصرية ودخلها في هذه السنة، المختصر في أخبار



فرار الصليبيين من عكًا ثم نحو صور ثم اتجاه جزيرة أرواد السورية



تحرير آخر معاقل الصليبيين (الفرنجية)





بلاد الشام بعد جلاء الصليبيين (الفرجة) منها سنة ٦٩٠ هـ ١٢٩١ م



نظم شعراء كثيرون في فتح السلطان الأشرف بقايا قلاع وحصون الصليبيين في بلاد الشام، فمن ذلك ما نظممه شهاب الدين محمود: الحمد لله زالت دولة الصلب ... وعز بالترك دين المصطفى العربي هذا الذي كانت الآمال لو طلبت ... رؤياه في اليوم لاستحيت من الطلب ما بعد عكا وقد هدت قواعدها ... في البحر للشرك عند الدين من أرب كم رامها ورماها قبله ملك ... جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب لم ترض همته إلا الذي قصدت ... هجر عنها ملوك العجم والعرب فأصبحت وهي في بحرين مائلة ... ما بين مضطرب النار ومضطرب جيش من الترك ترك الحرب عندهم ... عاراً وراحتهم ضربت من الوصب وأطلع الله جيش النصر فانتشرت ... طلائع النصر بين السمير والقضب أجرت إلى البحر بحراً من دمائهم ... فراح كالراح إذ عرفاه كالحبيب بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الرتب لقيتها يا صلاح الدين الدين معتقداً ... فإن ظن صلاح الدين لم يخب أدركت ثار صلاح الدين إذ عصيت ... عنه لسر طواه الله في الكتب

وأشد أبي غانم بيتين عند فتح عكا في هذا المعنى وهما:

مليكان قد لقبنا بالصلاح ... فهذا خليل وهذا يوسف فيوسف لا شك في فضله ... ولكن خليل هو الأشرف

ومن نظم شمس الدين ابن الصائغ:

يا أشرف الدنيا تهن فإنه ... فتح سواك بمثله لم يحلم أشبهت معتصم الخلافة همة ... فالروم منك ديارها لم تعصم قاتلت بلق جيوشهم بسوايق ... غر عليها الريح لم تتقدم كم رعتها بسواد ليل الليل ... وصدمتها ببياض يوم أيوم وأعدتها للمسلمين ولم يكن ... منهم يرى التطهير إلا بالدم فالجمعة الغراء كان صباحها ... وجه الزمان بمثله لم يرقم



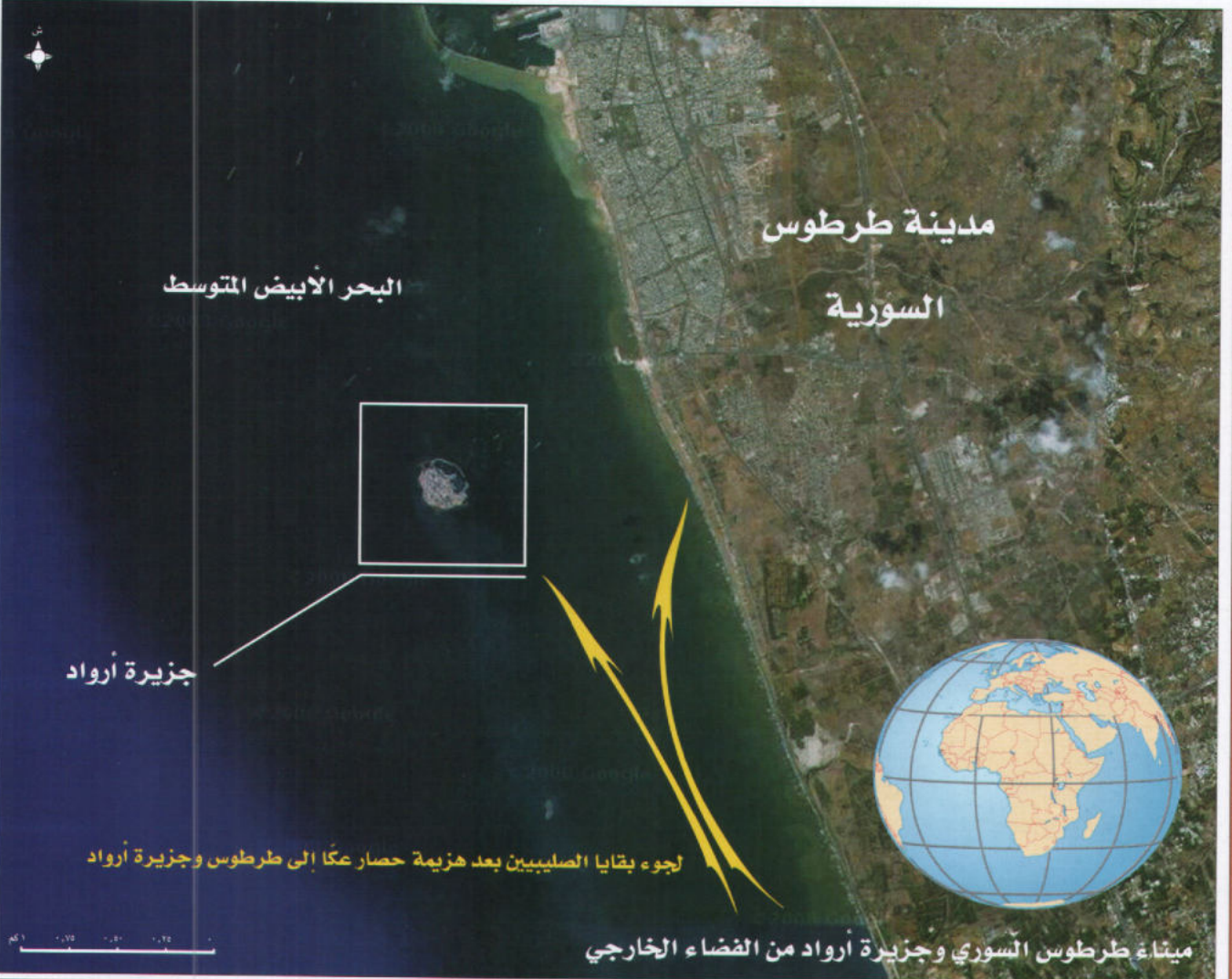


مدينة صيدا اللبنانية من خلال قبتها التاريخية



لقطات متنوعة لقلعة
صيدا، والذي
تركها الصليبيون بعد
هزيمة حصار عكا.





مدينة طرطوس

السورية

البحر الأبيض المتوسط

جزيرة أرواد

لجوء بقايا الصليبيين بعد هزيمة حصار عكا إلى طرطوس وجزيرة أرواد

ميناء طرطوس السوري وجزيرة أرواد من الفضاء الخارجي

قام الأشرف خليل بالاستيلاء بسهولة على بقية ما تبقى بأيدي الصليبيين مثل صور وحيفا اللتين قاومتا مقاومة كبيرة، ثم اضطرتا للتسليم فنجتا بذلك من التخريب، ثم استولى الأشرف خليل على عنتابت وصيدا وطرطوس، وبهذا تم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في الشام، وإن كان الصليبيون في جزيرة إرواد المقابلة للساحل الشرقي؛ قد ظلوا يغيرون على السواحل بين الفينة والأخرى ويقطعون الطرق، مما أزعج نائب السلطنة المملوكية على الشام، وجعله يطلب معونة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فجهز أسطولاً ووجهه نحو هذه الجزيرة بعد أن ضم إليه جيش طرابلس ففتحها وملكها وقتل من أهلها خمسمائة وذلك عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م).



جزيرة أرواد



جزيرة قبرص: بحكم موقعها الجغرافي، تصلها، من كل حذب وصوب، منتجات المناطق التي حباها الله تعالى بالتنوع الغذائي. فهي على مسافة يومين بحراً من مصر، وعلى عدة ساعات من سواحل الشام وآسيا الصغرى. ومع ذلك، فإن البحر يفصلها عن هذه المناطق، مما يحفظ لها استقلالها. على أن الجبال العالية والوعرة المسالك المحيطة بها من الشمال والشرق تقيها خطر الهجمات المحتملة من جهة آسيا الصغرى وبلاد الشام؛ لجأ إليها الكثير من **الصليبيين** إبان حصار أنطاكية، وبخاصة فرسان **الداوية**، واستقروا فيها؛ كما ارتادت مرافئها سفن التجار اللاتين، منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وهي في طريقها إلى القسطنطينية أو إلى الإسكندرية، وكذلك سفن الحجاج الأوروبيين القاصدين زيارة الديار المقدسة في فلسطين بعد تحرير **صلاح الدين لبيت المقدس** على أثر معركة حطين عام ١١٨٧م، نزحت أعداد غفيرة من اللاتين عن الشرق **قاصدة قبرص**، لتتبع الجزيرة البيزنطية الطابع في قبضة اللاتين، عام ١١٩١م، حين انتزعها ريتشارد قلب الأسد (Richard Cœur de Lion)، ملك أنكلترا، من إسحق كومنين (Isaac Comnène) المتمرد على السيادة البيزنطية، وباعها **لفرسان الداوية** ثم انتقلت بالشراء، بعد أقل من سنة، إلى أسرة لوزينيان (Lusignan) اللاتينية، بعد أن ثار السكان على الداوية وبطل البيع، فأقامت فيها مملكة استمرت نحو ثلاثة قرون، كان أمراً محتملاً أن يحظى **الدور العسكري لجزيرة قبرص بتعاطف البابوية التي رأت فيه فرصة جديدة لمعاودة الاستيلاء على بيت المقدس**، وخاصة بعد أن أحسن القبارصة استقبال فلول **الاسبتارية** الهاربين من الشام، وساعدوهم على انتزاع **رودوس** من السيادة البيزنطية عام ١٣٠٩م، فاتخذها هؤلاء قاعدة صليبية شاركت قبرص في سياستها الحربية والاقتصادية ضد المسلمين.

أهم مصادر ومراجع الباب الحادي عشر

- ١ - د . أحمد حطيط ، تاريخ لبنان الوسيط (دراسة في مرحلة الصراع المملوكي الصليبي) .
الجامعة اللبنانية
- ٢ - د . أحمد حطيط ، دور قبرص في العلاقات بين المماليك والغرب الأوروبي في أواخر القرون
الوسطى ، الجامعة اللبنانية .
- ٣ - أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر .
- ٤ - Google Earth .
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى .
دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ٧ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر
والقاهرة .
- ٨ - أحمد بن علي المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .
- ٩ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .



الباب الثاني عشر



من نتائج الحملات الصليبية

الحملات الصليبية معبر من معالم الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ★

الاعتذار المسيحي عن الحروب الصليبية في العصر الحديث ★





من نتائج الحملات الصليبية

النهضة الأوروبية الحديثة

استفاد الأوروبيون في فترة الحروب الصليبية من معين الشرق على مختلف المستويات، لا سيما الجانب الفكري والعلمي، حيث كان الشرق هو المتفوق علمياً وحضارياً، ما جعل هذا التفاعل يشكل إحدى ركائز نهضة الغرب الحديثة.

وسنشير إلى بعض تلك الجوانب:

أولاً: الطب: في الوقت الذي كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لاعتقادها أن المرض عقاب إلهي لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عن مستحقه، في هذا الوقت كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك، فقد توسع المسلمون فيه وترجموا موسوعات فارسية ويونانية وهندية في الطب إلى اللغة العربية، وألّفوا موسوعات لم يوضع لها نظير في الضخامة والتعميق، وكانت بعض أمهات هذه الكتب تدرس في جامعات أوروبا لمدى زمني طويل.

ثانياً: الرياضيات: أما سائر العلوم كالرياضيات والفلك وعلوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والمعادن والصيدلة، فقد تفوق فيها المسلمون قبل عصر النهضة بوقت كبير، فأخذوا يترجمون الذخائر العلمية وينقلون إلى العربية علوم الإغريق والرومان والفرس والهنود، وأقيمت دور الكتب والمكتبات، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء وتنافسوا في رعاية العلم وأهله، وأضاف العلماء كثيراً من الآراء والنظريات التي نسبت لغيرهم.

وبرزت أسماء كبيرة مثل: ابن مسكويه، والخازن، وابن خلدون، وابن النفيس، وابن الهيثم، والبستاني، والفرغاني، والكندي، والخوارزمي، والبيروني، والغافقي، والقزويني، وجابر بن حيان، وابن البيطار، وداود الانطاكي... قراءة مشرقية في الحروب الصليبية: نورة بنت أحمد حامد الحارثي

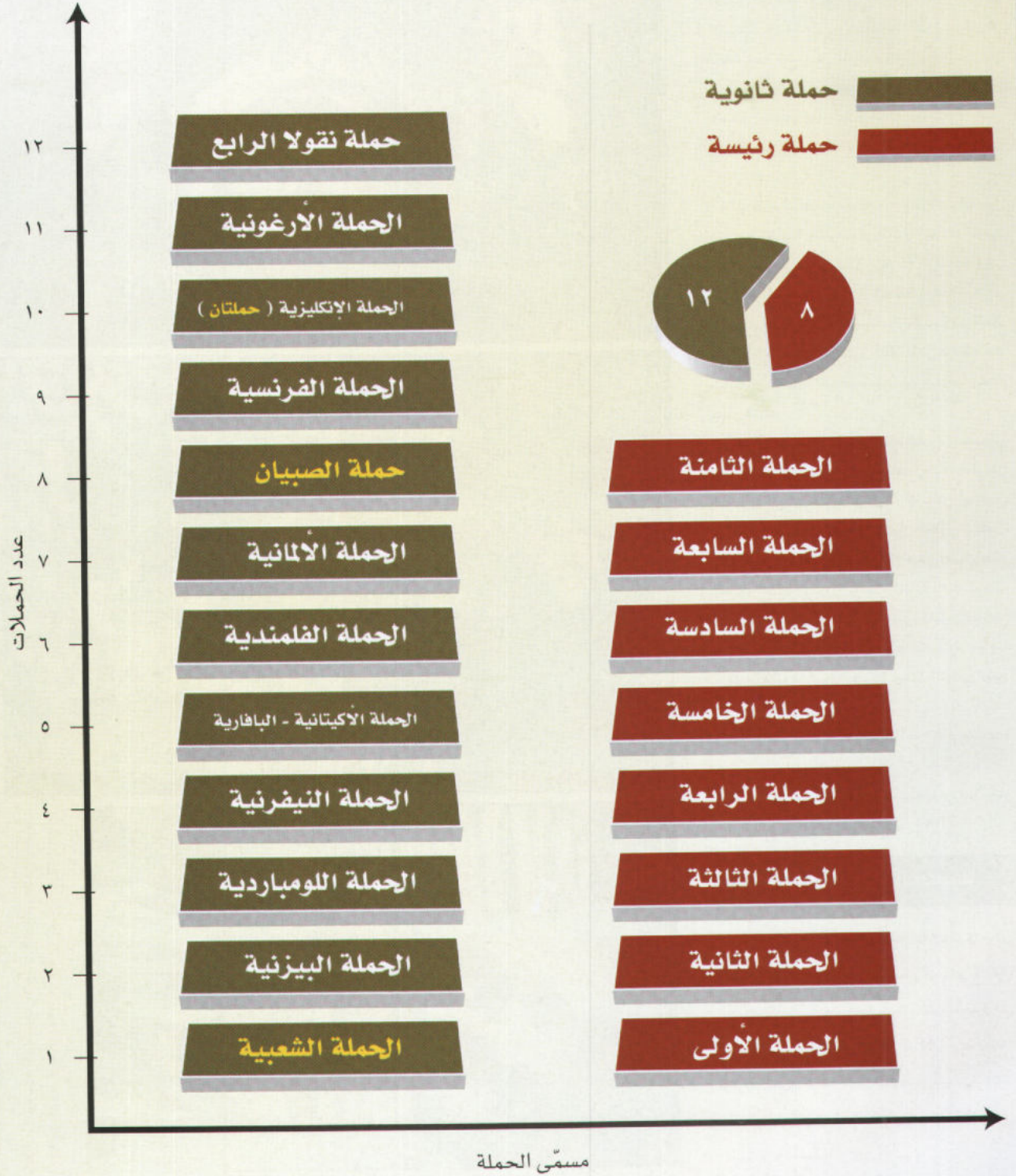
اتجهت أوروبا في العصور الوسطى إلى الزهد في الدنيا بطريقة مخالفة للأوامر الإلهية السماوية (لا إفراط ولا تفريط) ، وذلك نتيجة هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين وفلاسفة في القانون الروماني، فحاربوا المفكرين، وحاكموهم بقسوة، احتكروا زعامة المجتمع، فتفشيت فيه الخرافات وعم الجهل، فلم ينتفع الجمهور باللغة اللاتينية، لأنها كانت محتكرة لدى طائفة من رجال الكنيسة، ولهذا كان المجتمع الأوروبي متخلفاً ويئن تحت وطأة الإقطاع، ويعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتجزئة السياسية.

وبعد إعلان **الباباوات الحرب المقدسة** لتخليص المقدسات من قبضة المسلمين طيلة فترة الحروب الصليبية، حيث بدأها أوربان الثاني في مجمع كليرمونت الشهير سنة ١٠٩٥ م، ثم تتابعت الحملات بعد ذلك، من هنا وجد المجتمع الأوروبي ضالته للخروج من نير القهر والذل والتخلف إلى ميدان الحضارة والرقى آنذاك (العالم الإسلامي) ، وحدث من جراء ذلك احتكاك مباشر عن طريق احتلالهم للبلاد الشامية، حتى تم طردهم نهائياً على يد الأشرف خليل ابن قلاوون سنة ١٠٩٦ م. ولا شك أن هذه الفترة أفرزت الكثير والكثير من وشائج الاحتكاك والتأثر على شتى الأصعدة لعل من أهمها:

إضعاف نظام **الإقطاع** السائد في المجتمع الأوروبي آنذاك، حيث كانت الحروب الصليبية فرصة للعبيد للهروب من عناء الإقطاع، ولم يكن السادة قادرين على منعهم من المشاركة في تلك الحروب الدينية؛ لأن الكنيسة باركتها ومن يشارك فيها، ولقد أدى ذلك إلى أن يبحث أصحاب الإقطاع عن عمال من الأحرار الذين يأخذون على عملهم أجراً ويشترطون حقوقاً ولا يعملون مسخرين مقهورين، وأدى ذلك إلى تصدع نظام الإقطاع وانقراضه فيما بعد، ولقد أدت الحروب الصليبية إلى تقوية السلطة المركزية للملوك أوروبا، لكن الأهم في ذلك هو التحليق في أفاق النهضة العلمية والحضارية الإسلامية إبان الحروب الصليبية حيث تعرفت دول غرب أوروبا على الحضارة الإسلامية بشكل أعمق وأعرض، وتركت في حضارة أوروبا في عصر النهضة سمات ودلائل تشير إلى التأثر بالحضارة الإسلامية والنقل عنها.

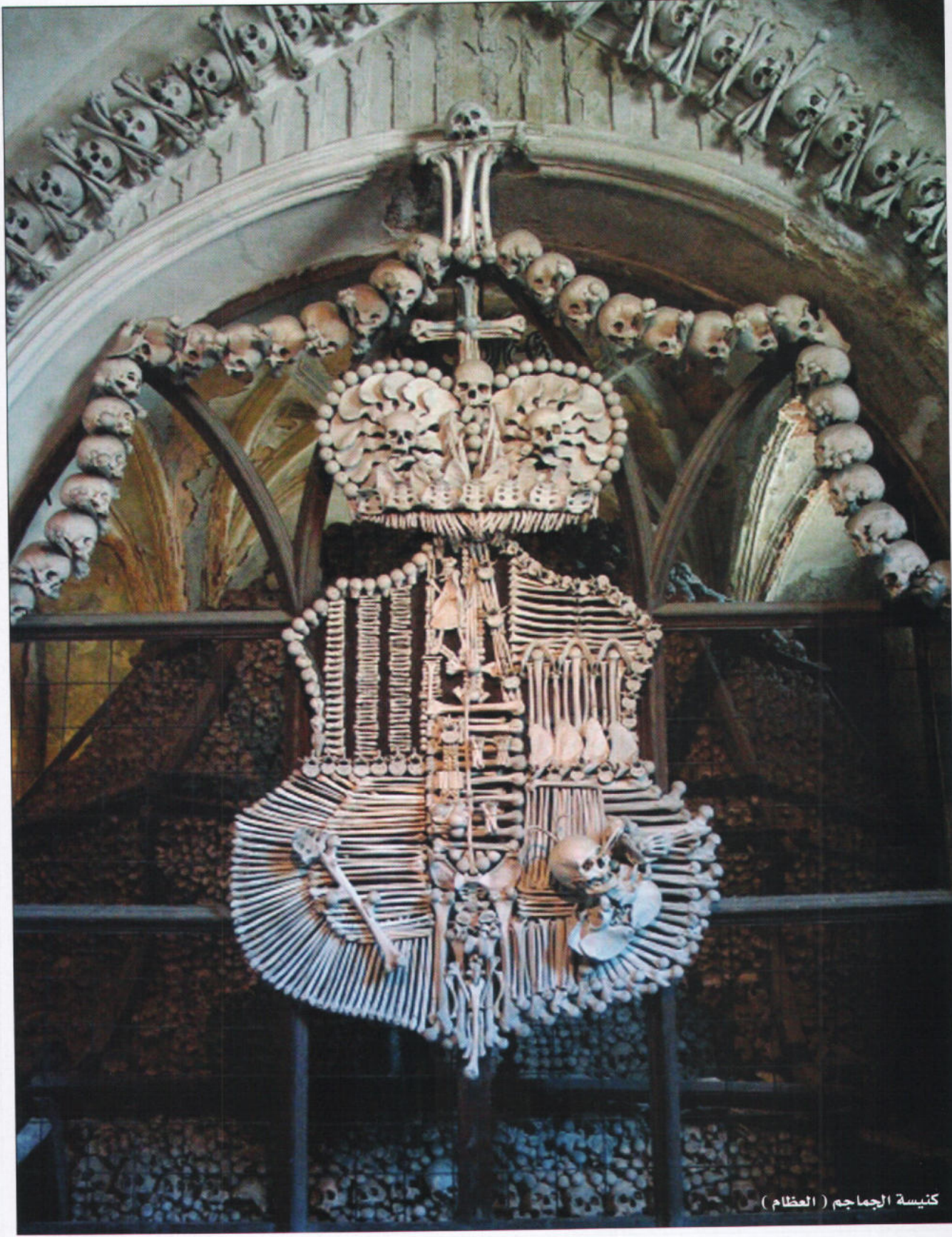


الحملة الصليبية على المشرق الإسلامي (إبان الحروب الصليبية)





اطلس اكملات الصليبية على امثرف الإسلامى



كنيسة الجماعم (المظام)



الحقيقة المرة: أننا ما زلنا نعيش في مرحلة ما بعد الحضارة الإسلامية ولم ندخل بقوة مرة ثانية لصنع هذه الحضارة. هذه المرحلة يصفها مالك بن نبي بقوله: "لو أردنا أن نسمي هذه المرحلة الخالية من الروح والعقل لكل حضارة لأطلقنا عليها بلا تردد اسم المرحلة "السياسية" بالمعنى السطحي لكلمة سياسة" ويبدو أننا نفهم السياسة كما يصفها أحد الغربيين "بارتيلمي سانتهيلر": "إن السياسة وهي مستغرقة في مشاكل الساعة لا يسعها أن تسمو إلى المبادئ".

الحضارة الإسلامية: نشأت في بيئة عذراء، ومن قبائل هي أقرب للفطرة من الشعوب المجاورة لها، ثم صاغها الوحي فخرجت زرعاً «يُعِجُّ الزُّرَاعُ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» الفتح ٢٩، هذه النبتة الأصيلة زاد عطاؤها ونما خيرها حينما وجدت الأبناء الأوفياء الذين رعوها حق رعايتها، حتى تقياً العالم بأسره ظلها الوارف وخيرها المتدفق. فقد كانت العصور الوسطى عصور جهل وظلام، باستثناء البلاد الإسلامية التي نعمت بهذه الحضارة الزاهية؛ فالحضارة الإسلامية؛ حضارة قامت على التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر، وتتمثل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرت من الفضائل التي لا تقوم بغير هاتيك المقومات وغدت منها مفلسة. لذلك رأت أوروبا في عصورها المظلمة الخروج من هذا الظلام الدامس بالتعرف على هذه الحضارة الزاهية والنهل منها، فأصبحت بغداد ودمشق وبيت المقدس والقيروان وفاس وقرطبة وصقلية؛ قبلة طلاب العلم ورواد المعرفة من كل أرجاء الدنيا. إن هذا النور الذي استمر شعاعه أكثر من ألف سنة، يدعونا إلى التساؤل المنطقي: ما الذي تغير حتى عاد المسلمون فانتكسوا؟ وكيف حط التخلف رحاله في ديارنا بعد أن ظلت الحضارة الإسلامية أولى الحضارات تقدماً ورفقياً على مدى قرون عديدة؟ إن الإجابة على ذلك يكمن في "البعد عن منهج الله تعالى".



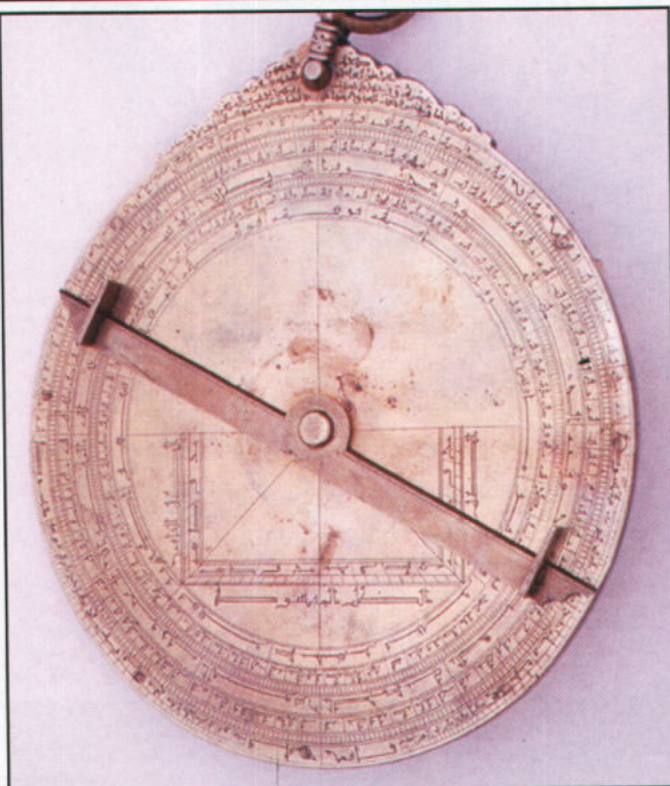
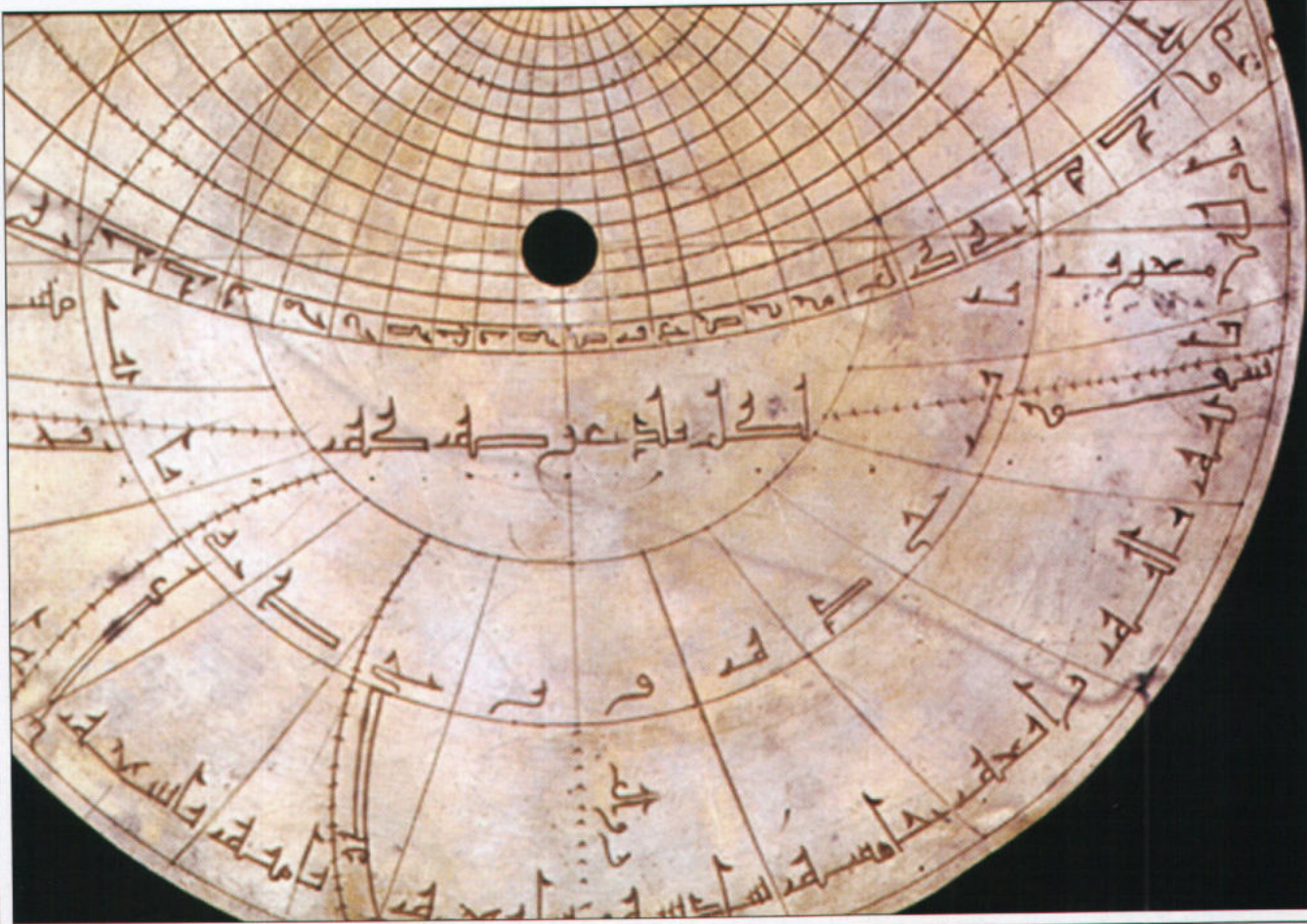
كحل ليام حنك لاليام تعسد سلبته م
 او قلتس لاعام لائلية اعان حنكته م
 م لاعا المتاحتنا اعصفت اعان حنكته م
 م اعان حنكته م لائلية م لائلية م



اطلس اكمارت الصليبية على المطرف الإسلامي



الأسطرلاب: آلة دقيقة تُصوّر عليها حركة النجوم في السماء حول القطب السماوي. وتُستخدم هذه الآلة لحل مشكلات فلكية عديدة، كما تستخدم في الملاحة وفي مجالات المساحة. وتُستخدم، إضافة إلى ذلك، في تحديد الوقت بدقة ليلاً ونهاراً. وقد اهتم بها المسلمون اهتماماً كبيراً، واستخدموها في تحديد مواقيت الصلاة، كما استخدموها في تحديد مواعيد فصول السنة. ووجه الأسطرلاب يحتوي على خريطة القبة السماوية، كما يحتوي على أداة تشير إلى الجزء المنظور من القبة السماوية في وقت معين. وقد رسمت القبة المنظورة على وجه الأسطرلاب المسطح بطريقة حسابية دقيقة، وهي الطريقة ذاتها التي استخدمت في رسم خريطة العالم (الكرة الأرضية) على مساحة مسطحة. وهذه الطريقة تسمح بتحويل الدوائر من أشكال كروية إلى أشكال مسطحة دون أي تغيير للقيمة الحقيقية للزاوية التي تُرسم بين خطين على الشكل الكروي. وعلى هذا، فإن خط الأفق، وخطوط المدارات، وخط الاستواء، والخطوط السماوية تظل في شكل دوائر، أو في شكل أجزاء من دوائر. (انظر نماذج مختلفة من الأسطرلاب الإسلامي في هاتين الصفحتين).



أطلس أعمال الصليبية على المشرق الإسلامي



صورة الأرض
للشريف الإدريسي (٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م) وقد أقيمت
الخارطة على الطريقة القديمة
وهو وضع اتجاه الشمال في
أسفل الخارطة.

استخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوروبية. حيث لجأ إلى تحديد اتجاهات الأنهار والممرات والبحيرات، وضمنها أيضاً معلومات عن المدن الرئيسية بالإضافة إلى حدود الدول. اختار الإدريسي الانتقال إلى صقلية بعد سقوط الدولة الإسلامية، لأن الملك النورماني في ذلك الوقت روجر الثاني كان محباً للمعرفة. شرح الإدريسي لروجر موقع الأرض في الفضاء مستخدماً في ذلك البيضة لتمثيل الأرض، شبه الإدريسي الأرض بصفاير البيضة المحاط ببياضها تماماً كما تهيم الأرض في السماء معاطة بالمجرات. أمر الملك الصقلي روجر الثاني له بالمال لينقش عمله خارطة العالم والمعروف باسم "لوح الترسيم" على دائرة من الفضة. في إحدى المرات قدم وصفاً عن وضع السودان، وعن حالة مدن مثل:

هو العالم العربي؛ الشريف الإدريسي وإسمه أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الصقلي، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ومن هنا جاء لقبه بالشريف لنسبه لرسول الله ﷺ. أحد كبار الجغرافيين في علم التاريخ وأحد المؤسسين لعلم الجغرافيا، كما أنه كتب في الأدب، والشعر، والنبات ودرس الفلسفة، والطب، والنجوم، في قرطبة.

"المواقع بدقة متناهية تماماً، كما هي على أرض الواقع، مع أنها كانت فقط من خلال الاستماع إلى بعض القصص والكلمات. استخدم الإدريسي خطوط العرض أو الخطوط الأتقية على الخريطة الكرة الأرضية التي صنعها. استخدمت خطوط الملون من قبله إلا أن الإدريسي أعاد تدقيقها لشرح اختلاف الفصول بين الدول. دُمّرت تلك الكرة خلال اضطرابات مدنية في صقلية بعد وفاة الملك " روجر الثاني".



خريطة العالم للشريف الإدريسي كما كونها ميلر من الخرائط الجزئية التي عملها الإدريسي ووجدت في مخطوطات كتابه في صور يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيراً وقد جمعها ونشرها ميلر في كتابه الخرائط العربية . وقد استفاد منها البحارة الإيطاليون استفادة كبيرة .

أطلس أكمالات الصليبيات على المشرق الإسلامي

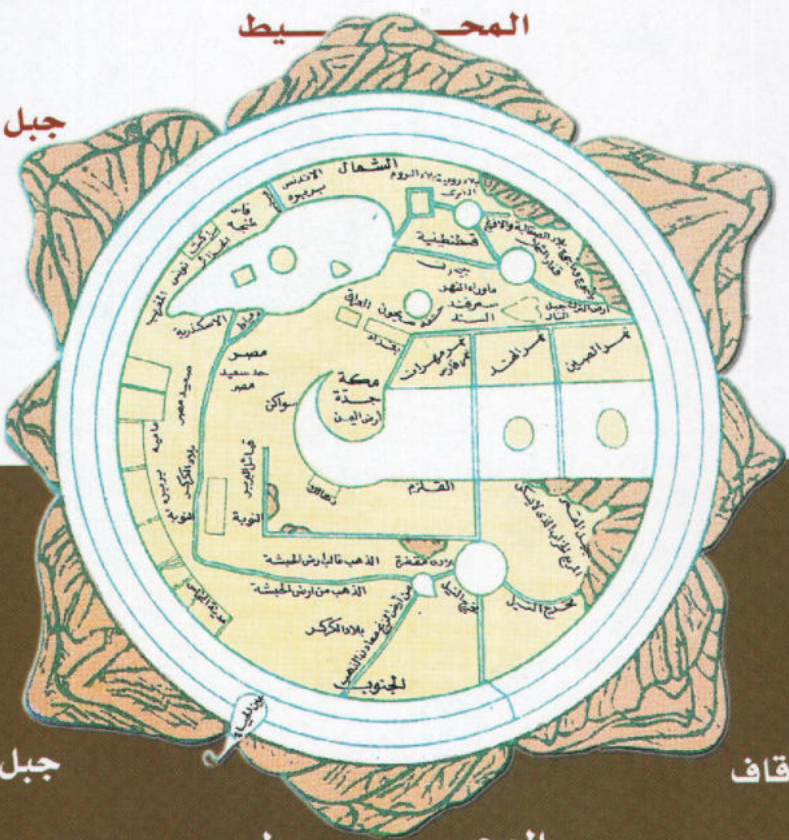
المحيط

جبل قاف

جبل قاف

البحر

البحر



خريطة العالم للقزويني (600 - 682 هـ م 1203 - 1283 م) .

جبل قاف

جبل قاف

المحيط



أطلس اكملات الصليبية على المشرق الإسلامي

خريطة تاريخية للقسم الغربي من أوروبا وإفريقيا والمواجه للامريكتين. عليها كتابات عربية تعود إلى بداية الكشوفات الجغرافية.



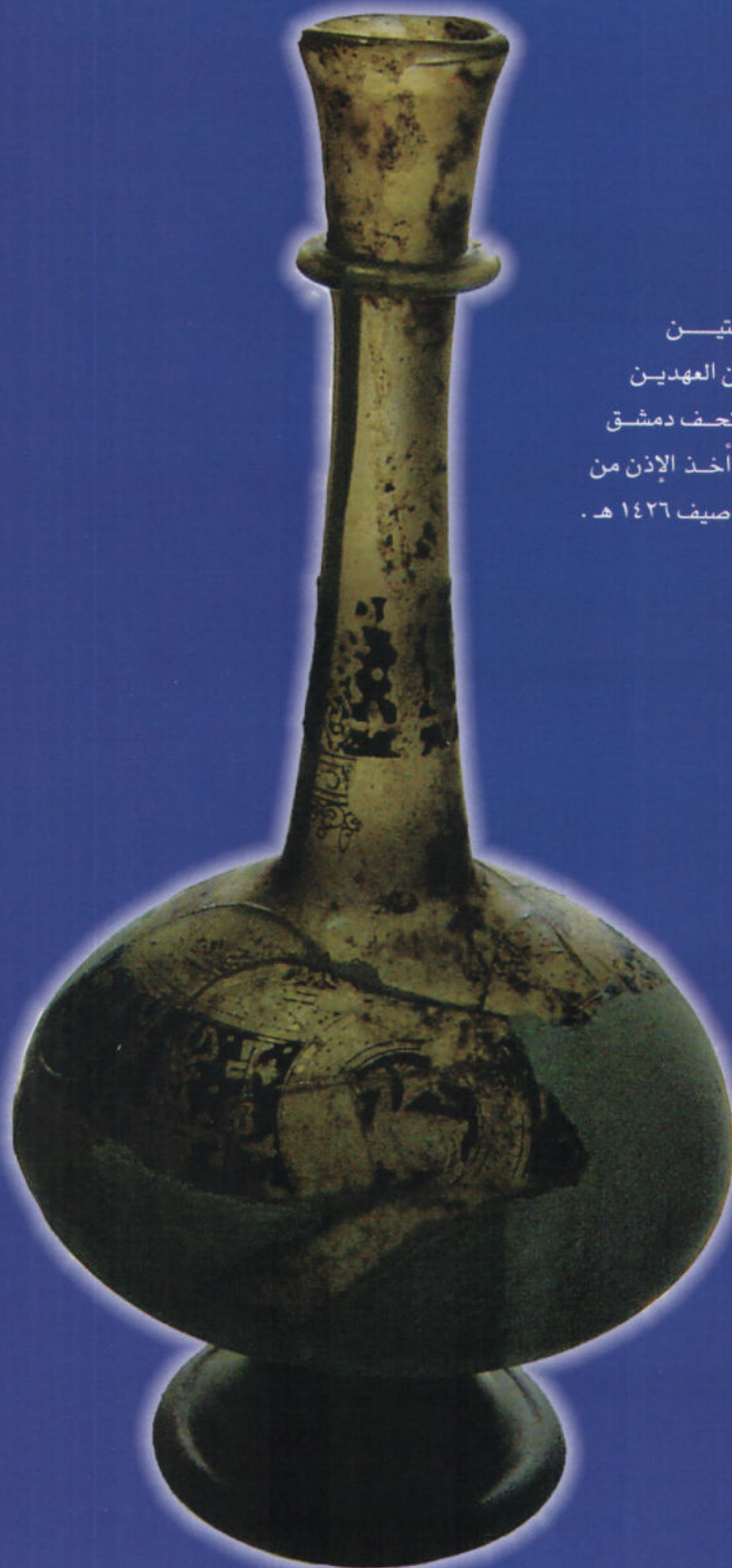
في الأعلى مخطوط لكتاب طبي يشرح الطريقة المثلى للكي، وفي الأسفل مخطوط مصور لطريقة التعامل مع المريض المراد علاجه .



وضع الأطباء المسلمون خرائط لجسم الإنسان ، استطاعوا من خلالها معرفة مواضع المرض ، وحددوا فيها مواضع الكي بالنسبة لكل مريض، وقد يكون الكي في أكثر من موضع للمرض الواحد، وابتكر الأطباء المسلمون أنواعاً من الآلات المحمّاة، من بينها الإبر الدقيقة ذات السن الواحد أو شعبتين أو ثلاثة، وصنعوها من الحديد أو النحاس أو الذهب أو الفضة وحددوا درجة الحرارة المناسبة للعلاج عند كل مريض، وقد استفاد الصليبيون خلال احتلالهم لبلاد المشرق الإسلامي من هذه الخبرات الكبيرة، فكانت مناهجهم في المراكز العلمية معتمدة على الكثير من المصنفات الإسلامية في هذا الشأن .



صندوق خشبي أمر بصنعه الظاهر بيبرس - رحمه الله تعالى - سنة ٦٦١ هـ: لضريح خالد بن الوليد رضي الله عنه



في
هاتين الصنفتين
نماذج متنوعة من العهدين
الأيوبي والمملوكي بمتحف دمشق
الفيحاء، التقطتها بعد أخذ الإذن من
المسؤولين عن المتحف في صيف ١٤٢٦ هـ.



أطلس أعمال الصليبية على المشرق الإسلامي



الاعتذار عن الحروب الصليبية

حقيقة أم مجاملات؟

جاء ذلك في رسالة بعنوان "حب الله وحب الجار"، تم كشف النقاب عنها في العاصمة الإماراتية أبوظبي الاثنين ٢٦-١١-٢٠٠٧م، والتي تعتبر كردّ من رجال الدين النصارى على رسالة سابقة وقعها ١٣٨ عالم ومفكر مسلم للقادة النصارى، وفق ما نقلت صحيفة الشرق الأوسط .



حوار سابق بين الأديان في قطر

وبحسب الرسالة المسيحية، قال رجال الدين النصارى: "نود البدء بالإقرار بأن العديد من المسيحيين في الماضي، في

الحروب الصليبية مثلاً، وفي الحاضر، في تجاوزات ما يسمى الحرب على الإرهاب مثلاً، أذنبوا بارتكابهم آثاماً ضد جيراننا المسلمين فقبل إن نصافحكم رداً على رسالتكم؛ نطلب مغفرة الله الرحيم وصفح الأمة الإسلامية من جميع أنحاء العالم".

وبالرغم من الاعتذار الذي أبدوه في رسالتهم هذه، إلا أن قسماً مهماً من رجال الدين غابوا عن التوقيع عن هذا الرد !!!!!، في حين أن ٣٠٠ عالم ورجل دين نصراني في مختلف بلدان العالم أيدوا الاعتذار غير المسبوق، إلا أن الفاتيكان وإحدى الكنائس الأرثوذكسية لم يشاركا في هذا الرد، الذي يعتبر خطوة مهمة باتجاه التعايش بين المسلمين والمسيحيين.



ومن أجل التعايش السلمي بين أرباب الديانات كافة والسماوية على وجه الخصوص دعا خادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية (عبد الله ابن عبد العزيز آل سعود) سلمه الله، إلى عقد حوار بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وقال حفظه الله: لدى استقباله المشاركين في ندوة بالرياض حول حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان إن هذه الخطوة تأتي في ظل أزمة تتعرض

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز مع بابا الفاتيكان البابا بينديكتس السادس عشر



لها البشرية أخلت بموازين العقل والأخلاق والإنسانية". وأضاف أنه عرض هذا الأمر على العلماء في المملكة وقد وافقوا على ذلك وأنه بصدد عقد مؤتمرات لأخذ رأي المسلمين في جميع أنحاء العالم حول فكرة "الاجتماع مع إخوانهم في إيمان وإخلاص لكل الأديان لأننا نتجه إلى رب واحد". وأشار الملك عبد الله إلى أن من دواعي هذه اللقاءات مواجهة التفكك الأسري وتفشي الإلحاد "وهذا لا يجوز من جميع الأديان (الكتب) السماوية لا من القرآن ولا التوراة ولا من الإنجيل". وأكد على ضرورة الوصول لاتفاق "على شيء يكفل صيانة الإنسانية من العبث الذي يعبث بها".

ونتيجة لهذه الدعوة الكريمة من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك « عبد الله بن عبد العزيز » للحوار بين الأديان؛ لقيت هذه الدعوة المباركة ترحيباً عالمياً واسعاً، إذ رحبت المراكز الثقافية والمؤسسات الإسلامية المنتشرة في العالم بالمؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، وشاركت في فعالياته، والذي عقده « رابطة العالم الإسلامي » في رحاب البلد الحرام في الفترة من ١ إلى ٣ حزيران (يونيو) سنة ٢٠٠٨ م، وخرج المؤتمر بوصايا جيدة نافعة كان من أبرزها: إقامة (مركز الحوار بين الأديان).



شعار رابطة العالم الإسلامي

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة

سجل الأب الأرشمندريت المطران عطا الله حنا، موقفاً مشرفاً لبعض نصارى فلسطين حينما رفض استقبال الرئيس الأمريكي جورج بوش في كنيسة المهد ببيت لحم الفلسطينية، أثناء زيارة الأخير لأرض فلسطين المغتصبة. وقد أثار امتناع المطران عطا الله حنا من استقبال بوش ارتياحاً كبيراً في الأوساط الشعبية الفلسطينية، ولا سيما المسيحية؛ نظراً لدور الرئيس الأمريكي بوش ببيت الروح العدائية على الأرض العربية والإسلامية بين المسلمين والنصارى من خلال احتلال أفغانستان والعراق، وتسمية ذلك بالحرب الصليبية !!.

وقال أحد المواطنين المسيحيين في بيت لحم: « رفض استقبال مطران القدس عطا الله حنا للرئيس الأمريكي جورج بوش في مكان مقدس لنا رفع معنوياتنا » وأضاف « من العار استقبال صانع الحروب في عهد المسيح صانع السلام ».

وكان حنا قد صرح في لقاء مع اللاجئين الفلسطينيين في مخيم البقعة في الأردن، بأن « الرئيس الأمريكي جورج بوش وما يقوم به لا علاقة له بالمسيحية، ولا علاقة له بالأخلاق المسيحية، ولا بالقيم المسيحية، وبالتالي نحن نرفض أيضاً السياسات الأمريكية ودعمها المطلق لإسرائيل واحتلالها للعراق ».



المطران عطا الله حنا

أهم مصادر ومراجع الباب الثاني عشر

- ١ - أ . محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٢ م .
- ٢ - أ . زكريا هاشم، أثر الحضارة الإسلامية العربية على العالم .
- ٣ - أ . نورة بنت محمد الحارثي، قراءة مشرقية في الحروب الصليبية.
- ٤ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الأديان، طبع ونشر مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ .
- ٧ - أ . سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت لبنان .
- ٩ - أ . الحسيني الحسيني معدي، حروب الغرب المقدسة على الإسلام، دار الكتاب العربي، ط . الأولى ٢٠٠٧ م، دمشق - سوريا .
- ١٠ - salim t s al - hassani. muslim heritage in our world
- ١١ - john whitney hall. history of the world



المختاريس

٢٤٥	فهرس العناوين والأبواب
٢٤٧	فهرس الخرائط التاريخية والجغرافية
٢٥٢	فهرس المنمنمات والمرتسمات
٢٥٦	فهرس الصور والأشكال

٢٦١	

مقدمة الكتاب

الباب الأول

١١ دوافع الحملات الصليبية

٢٦ أهم مصادر ومراجع الباب الأول

الباب الثاني

٢٧ الحملة الشعبية (الحملة العامة)

٤٠ معركة سيفيتوت

٢٨ حملة بطرس الناسك

٤٤ أهم مصادر ومراجع الباب الثاني

الباب الثالث

٤٥ الحملة الصليبية الأولى

٤٨ حصار أنطاكيا واحتلالها

٥٢ سقوط الرُّها

٦٠ حصار طرابلس وسقوطها

٦٤ احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيها

٧٦ أهم مصادر ومراجع الباب الثالث

الباب الرابع

٧٧ يقظة العالم الإسلامي ومجيء الحملة الصليبية الثانية

٨١ استرداد الرُّها

٨٨ صمود دمشق في وجه الصليبيين

١٠٤ معركة حطين واسترجاع بيت المقدس

١١٤ حصار عكا

١١٦ أهم مصادر ومراجع الباب الرابع

الباب الخامس

١١٧ الحملة الصليبية الثالثة

١٢٠ سقوط عكا بأيدي الصليبيين

١٢٦ معركة أرسوف وسقوط اللد وصلح الرملة

١٢٨ وفاة القائد الرباني (صلاح الدين الأيوبي)

١٣٢ أهم مصادر ومراجع الباب الخامس

الباب السادس

١٣٣ الحملة الصليبية الرابعة

١٣٥ احتلال الصليبيين للقسطنطينية بدلاً من القدس

١٤٤ حملة الأطفال

١٤٦ أهم مصادر ومراجع الباب الخامس

الباب السابع

الحملة الصليبية الخامسة

١٤٧

موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ

١٥٤

معركة المنصورة الأولى

١٥٥

أهم مصادر ومراجع الباب السابع

١٥٨

الباب الثامن

الحملة الصليبية السادسة

١٥٩

اتفاقية يافا وتسليم بيت المقدس للصليبيين

١٦٣

استرداد بيت المقدس مرة ثانية على يد الملك الصالح أيوب

١٦٤

أهم مصادر ومراجع الباب الثامن

١٦٨

الباب التاسع

الحملة الصليبية السابعة

١٦٩

١٧١ لويس التاسع يغزو مصرًا ١٧٥ معركة المنصورة الثانية الظاهر بيبرس ١٧٨

١٧٨

١٧٣ سقوط دمياط ١٧٧ وقوع لويس التاسع في الأسر موقعة عين جالوت ١٨٤

١٨٤

أهم مصادر ومراجع الباب التاسع

١٨٦

الباب العاشر

الحملة الصليبية الثامنة

١٨٧

نزول الصليبيين بقيادة لويس التاسع إلى قرطاجنه التونسية

١٨٩

وفاة لويس التاسع في تونس

١٩٠

أهم مصادر ومراجع الباب العاشر

١٩٤

الباب الحادي عشر

تصفية الوجود الصليبي (الفرنجة) من البلاد الشامية

١٩٥

١٩٧ في عهد السلطان بيبرس تحرير عكا في عهد الأشرف خليل ٢١٠

٢١٠

١٩٨ في عهد السلطان محمد بن قلاوون تحرير آخر معاقل الصليبيين (الفرنجة) ٢١٥

٢١٥

أهم مصادر ومراجع الباب الحادي عشر

٢٢٢

الباب الثاني عشر

من نتائج الحملات الصليبية

٢٢٣

٢٢٨ الحملات الصليبية معبر من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

٢٢٨

٢٤٠ الاعتذار المسيحي عن الحروب الصليبية في العصر الحديث

٢٤٠

أهم مصادر ومراجع الباب الثاني عشر

٢٤٢

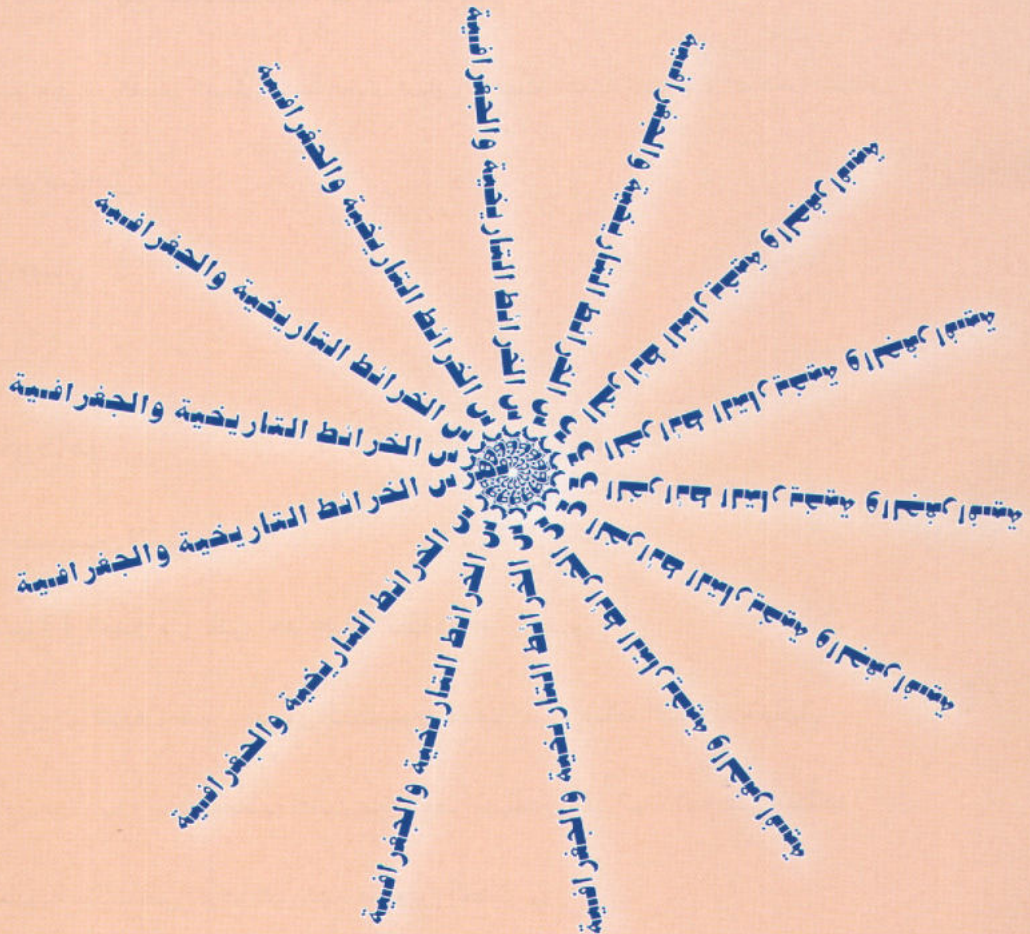
الصفحة	عنوان الخارطة (الخريطة)
١٣	خريطة أوروبية لحملات الإسكندر المقدوني الإستعمارية على أجزاء من بلاد المشرق، تعود إلى سنة ١٧٣٥م
١٤	خريطة أوروبية من أطلس أوروبي قديم، للتوسع الإستعماري الإمبراطورية الرومانية على أجزاء من بلاد المشرق والشمال الإفريقي
١٤	انقسام الإمبراطورية الرومانية
١٧	موقعة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١م
٢٥	الموانئ الإيطالية الشهيرة ودورها الإقتصادي في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي
٢٩	الحملة الصليبية الشعبية
٣١	خارطة أوروبا في العصر الحديث
٣٥	صربيا
٣٦	موقع القسطنطينية
٤٠	معركة سيفيتوت
٤٧	الحملة الصليبية الأولى
٤٩	زحف القوات الصليبية نحو أنطاكية
٥٢	زحف القوات الصليبية نحو الرُّها
٦٥	المستعمرات الصليبية في بلاد المشرق الإسلامي
٦٩	موقع بيت المقدس على أرض فلسطين
٧٩	بطولات شرف الدولة (مودود) حاكم الموصل
٨١	فتوحات عماد الدين زنكي (حاكم الموصل) واسترداد الرُّها سنة ٥٣٩هـ - ١١٤٥م
٨٥	الموقف العام على الساحة الشامية بعد مقتل عماد الدين زنكي

الصفحة	عنوان الخارطة (الخريطة)
٨٧	الحملة الصليبية الثانية
٨٨	الصليبيون على أبواب دمشق
٩٠	فتوحات نور الدين محمود على أرض الشام
٩٥	الدولة الزنكية في أقصى إتساع لها
٩٩	فتوحات صلاح الدين الأيوبي
١٠١	الصراع بين المسلمين والصليبيين في البحر الأحمر
١٠٥	معركة حطين
١٠٥	مخطط تقريبي للقاء الفريقين يوم حطين
١٠٩	فتوحات صلاح الدين بعد حطين
١١١	فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ
١١٤	حصار عكا قبل مجيء الحملة الصليبية الثالثة
١١٩	الحملة الصليبية الثالثة
١١٩	حصار عكا
١٢٠	سقوط عكا بأيدي الصليبيين
١٢١	مدينة عكا من الفضاء الخارجي
١٢٤	دخول حيفا تحت حكم الصليبيين
١٢٥	مدينة حيفا من الفضاء الخارجي
١٢٧	الوضع السياسي بعد صلح الرملة

الصفحة	عنوان الخارطة (الخريطة)
١٢٩	الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين الأيوبي
١٣٥	الحملة الصليبية الرابعة
١٣٦	موقع البندقية (فينيسيا) بالجمهورية الإيطالية
١٣٦	موقع البندقية
١٤٠	موقع مدينة (زارا) في إيطاليا
١٤١	الإمبراطورية البيزنطية
١٤٥	حملة الأطفال
١٤٩	الحملة الصليبية الخامسة
١٤٩	مرئية فضائية تصور طبيعة ميناء (برندسي) في إيطاليا
١٥٣	هجوم الصليبيين على مصر
١٥٤	موقع حصار دمياط سنة ٦١٦هـ - ١٢١٩م
١٥٥	مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية الخامسة
١٦١	الحملة الصليبية السادسة
١٦٧-١٦٦	خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة
١٧١	الحملة الصليبية السابعة
١٧٢	الصراع الأيوبي مع الحملة الصليبية السابع على أرض مصر
١٧٣	سقوط دمياط صورة فضائية
١٧٤	مشهد الثاني زحف القوات الصليبية نحو القاهرة

الصفحة	عنوان الخارطة (الخريطة)
١٧٥	مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية السابعة
١٧٥	موقع مدينة المنصورة من الفضاء الخارجي
١٧٧	خروج لويس من مصر إلى عكا بعد إطلاق سراحه بفدية
١٨٢	الغزو المغولي للبلاد الإسلامية
١٨٢	بغداد من الفضاء الخارجي
١٨٤	موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م
١٨٩	الحملة الصليبية الثامنة
١٩١	موقع صقلية بالنسبة لقرطاجة التونسية
١٩٧	بداية تصفية التجمعات الصليبية في بلاد الشام في عهد بيبرس
١٩٩	تصفية التجمعات الصليبية في بلاد الشام في عهد قلاوون
٢٠٩	تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام في عهد الأشرف خليل
٢١٠	تحرير عكا من أيدي الصليبيين
٢١١	مدينة عكا من الفضاء الخارجي
٢١٢	ميناء عكا من الفضاء الخارجي
٢١٤	الإجهاز على البقية الباقية من الصليبيين (الفرنجة) في بلاد الشام
٢١٥	تحرير آخر معاقل الصليبيين (الفرنجة)
٢١٦	بلاد الشام بعد جلاء الصليبيين (الفرنجه) سنة ٦٩٠هـ - ١٢٩١م
٢٢٠	ميناء طرطوس السوري وجزيرة أرواد من الفضاء الخارجي

الصفحة	عنوان الخارطة (الخريطة)
٢٢١	فرار بقايا اللاجئين الصليبيين إلى جزيرة قبرص بعد مطاردة الجيش المملوكي لهم
٢٢٨	معايير الحضارة الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى
٢٣٢	صورة الأرض للشريف الإدريسي
٢٣٣	خريطة العالم للشريف الإدريسي
٢٣٣	خريطة العالم للقزويني
٢٣٤	خريطة تاريخية للقسم الغربي من أوروبا وإفريقيا والمواجه للأمريكتين



الصفحة	عنوان المنمنمة أو المرسم
١٧	مرتسم أوروبي لسقوط رومانوس أسيراً عند ألب أرسلان
١٨	مرتسم أوروبي لمؤتمر (كلير مونت)
١٩	أوربان الثاني
٢١	مرتسم حربي
٢٢	التدرج الهرمي للنظام الإقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى
٢٣	السيد والفارس والقن واستدلال الطبقة الكادحة في النظام الإقطاعي
٣٧	الجيش السلجوقي التركي المسلم الذي أحبط آمال قادة الحملة الشعبية عند نيقية
٣٩	صورة لمرتسم تقريبي للقسطنطينية عاصمة بيزنطة
٤١	صورة لمرتسم تخيلي من العصور الوسطى لهزيمة الجيش الصليبي (الحملة الشعبية) على أيدي السلاجقة المسلمين
٤٧	ريموند دي سنجيل
٤٧	قود فري بويون
٤٧	بوهيومند
٤٧	روبرت كورت هوز
٤٨	حصار الصليبيين لأنطاكيا
٥٠	نقش لشبية (العذراء) على أحد جبال أنطاكيا
٥١	مرتسم أوروبي قديم يصور حصار الصليبيين لأنطاكيا ، واستعدادهم لدخولها
٥١	مرتسم أوروبي قديم ؛ يصور وحشية الصليبيين لبعض المسلمين عند إستلائهم على أنطاكيا
٥٢	عملة صليبية سكت في الرها في عهد بودوين الصليبي

الصفحة	عنوان المنمنمة أو المرسم
٥٢	دخول غود فري بويون الصليبي (بلدوين) وشقيقه
٥٤	قطعة تاريخية من الموزاييك (الرُّها)
٦٧	اقتحام الصليبيين لبيت المقدس
٦٨	خريطة فسيفسائية بيزنطية رائعة تظهر القدس والأماكن التاريخية الأخرى
٦٨	خريطة تاريخية تصور حصار الصليبيين لبيت المقدس من أرض فلسطين
٧١	مرسم أوروبي قديم آخر، محاصرة الصليبيين لبيت المقدس
٨٢	عملتان برونزيتان؛ باسم الملك عماد الدين زنكي ، الأولى سكت في نصيبين، والثانية سكت في سنجار
٨٦	الراهب الفرنسي (سان برنارد)
٨٩	القائد الرباني؛ يوسف صلاح الدين الأيوبي
٧٧	التحركات الرومية الأخيرة على الساحة الشامية
٧٨	مشاركة أهل الكوفة في نجدة أهل الشام
٨٩	خارطة (ابن حوقل) للجبل وطبرستان وجبال الديلم
١٠٠	عملة صليبية تعود إلى أرناط (صاحب الكرك)
١٠٧	مرسم أوروبي قديم لمعركة حطين
١٠٨	مرسم لصلاح الدين الأيوبي في الأدب الأوروبي القديم
١١٨	ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا
١١٨	ملك فرنسا (فيليب أغسطس)
١١٩	إمبراطور ألمانيا (فريدريك بربروسا)

الصفحة	عنوان المنمنمة أو المرسم
١٢٣	ريتشار قلب الأسد الإنجليزي يتقدم بجحافل الصليبية نحو حيفا
١٢٦	مرسم لريتشارد قلب الأسد في الأدب الأوروبي القديم
١٢٨	عملة نقدية لصالح الدين الأيوبي
١٣٤	البابا (أنوسنت الثالث)
١٤٢	مرسم لإحتلال القسطنطينية
١٤٤	(ستيفن) مستمعاً لحديث شبيه المسيح
١٤٥	حملة الأطفال في الأدب الأوروبي القديم
١٥٢	هجوم الصليبيين على دمياط
١٦٢	الإمبرطور فريدريك الثاني (١٦١) ومرسم أوروبي لفريدريك و الكامل الأيوبي
١٧٠	الملك الفرنسي (لويس التاسع)
١٧١	مدينة ليون الفرنسيه ، مجمع ليون الكنسي
١٧٧	عملة لويس التاسع - متحف اللوفر (فرنسا)
١٧٩	دراهم فضية وقلوس نحاسية تعود إلى عهد السلطان المملوكي الظاهر (بيبرس)
١٨٣	كتيبة من الجيش المغولي
١٨٥	خوذة واقية تعود إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس
١٩٠	بقايا لأثار لويس التاسع موجودة في (اللوفر) الفرنسي
٢١٣	مرسم تخيلي لتحرير عكا من أيدي الصليبيين
٢٢٥	الحملة الصليبية على المشرق الإسلامي إبان (الحروب الصليبية)

الصفحة	عنوان الصورة
١٥	مؤلف ومصمم الأطلس أمام أحد المعبد الرومانية
١٥	معبد روماني من القرن الثالث الميلادي - مدينة قنوات - سوريا
٢٥	مدينة بيزا الإيطالية والتي شكلت مع جنو والبندقية موانئ رئيسة لنقل الصليبيين والتجارة مع المشرق
٢٩	مدينة (أمينس) الفرنسية
٣٠	مدينة كولونيا (كولون) الألمانية والتي تطل على نهر الراين
٣٢	متحف (ماينتس) التاريخي
٣٢	كاتدرائية (ماينتس)
٣٣	ريجنسبرج الألمانية
٣٣	بابا الفاتيكان (بندكتس السادس عشر)
٣٤	الساحة الرئيسة (فيينا)
٣٤	كاتدرائية (فيينا)
٣٥	مدينة (بلغراد) القديمة
٣٨	كنيسة (أيا صوفيا) بتركيا
٤٢	ممر تاريخي في إزنيق (نيقية) يعود إلى العهد السلجوقي
٤٣	صور بانورامية لمدينة أزيق (نيقية) بالجمهورية التركية
٤٣	تصريف مائي قديم في (نيقية)
٤٩	نهر العاصي وهو يخترق أنطاكية
٥٤	جامع في مرحلة الترميم بمدينة الرها بالجمهورية التركية

الصفحة	عنوان الصورة
٥٥	لقطات متنوعة من الرُّها (أورفة) اليوم
٥٧	قلعة (معرّة النعمان)
٥٨	حصن (مصيف)
٥٩	المؤلف أمام قاعة الفرسان بقلعة الحصن (حصن الأكراد)
٦١	قلعة (طرابلس) الأثرية بלבنا
٦١	المؤلف ومصمم الأطلس أمام بوابة قلعة (طرابلس)
٦٢	أعمدة رومانية مقابل متحف بيروت (لبنان)
٦٣	المؤلف عند مدخل قلعة (جبيل) الصليبية بلبنا
٦٣	بيبلوس الفينيقية (جبيل) لبنان
٦٣	القلعة الصليبية بجبيل اللبنانية من مكان آخر
٦٨	المؤلف بجانب خريطة القدس الفسيفسائية
٧٣	جامع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المجاور لكنيسة القيامة ببيت المقدس
٨٢	الموصل قاعدة القتال الإسلامي ضد الصليبيين
٨٣	كنيسة أثرية في (ديار بكر) بتركيا
٨٩	المصمم داخل صحن الجامع الأموي بدمشق
٩١	قلعة شيزر - الجمهورية العربية السورية
٩٢	من أثار (أفاميا) - الجمهورية العربية السورية
٩٢	قلعة المضيق (أفاميا)

الصفحة	عنوان الصورة
٩٣	لقطة ثانية للجامع الأموي بدمشق
٩٧	مأذنة الجامع النوري المائلة بالموصل
٩٧	منبر نور الدين زنكي (رحمه الله)
٩٧	بناء يعود إلى العهد النوري - دمشق
١٠٢	قلعة (الكرك) بالمملكة الأردنية الهاشمية
١٠٢	المؤلف داخل قلعة الكرك الأردنية
١٠٣	قلعة الشوبك (مونتريال) بالمملكة الأردنية الهاشمية
١٠٣	المؤلف داخل قلعة الشوبك الأردنية
١٠٦	سهل حطين الذي دارت على ثراه معركة حطين الحامسة بين المسلمين والصليبيين
١٠٦	مدينة طبرية بفلسطين المحتلة
١١٢	صورة بانورامية للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة داخل السور القديم بمدينة القدس
١١٢	صخرة المعراج بمسجد قبة الصخرة
١١٣	المسجد الأقصى من جهة أخرى
١١٣	صورة تاريخية لقبة الصخرة قبل سقوط القدس في أيدي الصهاينة
١١٥	لقطتان لمدينة عكا على ساحل البحر الأبيض المتوسط
١٢١	جزء من سور عكا الشهير
١٢٢	سور عكا من جانب آخر
١٢٢	الكنيسة المعمدانية بعكا

الصفحة	عنوان الصورة
١٢٣	بقايا السور الأثري في عكا
١٢٣	المدينة قديمة بعكا
١٢٣	السوق البحري بعكا
١٢٥	حيفا الفلسطينية
١٢٨	قبر صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله تعالى) بدمشق
١٣٠	قلعة عجلون (الرض) بالمملكة الأردنية الهاشمية
١٣٠	حارسان؛ لقلعة الرض بلباس عسكري تاريخي يعود إلى العهد الأيوبي
١٣٠	لقطات متنوعة لقلعة عجلون (الرض)
١٣١	قلعة عجلون التاريخية أو قلعة صلاح الدين الأيوبي
١٣٧	الكاتدرائية الرئيسية في البندقية (فينيسيا)
١٣٧	جسر مسلح يربط بين الضفتين
١٣٨ - ١٣٩	لقطات متنوعة من البندقية الإيطالية
١٤٠	مدينة (زارا) بجمهورية كرواتيا اليوم
١٤٠	الكاتدرائية القديمة في (زارا)
١٤٣	كنيسة (أيا صوفيا) باسطنبول
١٥١	قلعة الفرسان (الإسبانية)
١٥١	برج القائد بحصن الأكراد - سوريا
١٥٥	شاطئ مدينة (دمياط) المصرية

الصفحة	عنوان الصورة
١٥٥	جامع النصر بمدينة (المنصورة) بجمهورية مصر العربية
١٥٦	جامع (محمد علي) داخل قلعة صلاح الدين الأيوبي - القاهرة
١٥٧	اتجاه الصليبيين نحو القاهرة
١٥٧	جامع عمرو بن العاص (رضي الله عنه) بمصر القديمة
١٧٣	سفينتان عصريتان تمخران نهر النيل (فرع دمياط)
١٧٦	مدينة المنصورة بجمهورية مصر العربية
١٧٦	نهر النيل (فرع دمياط)
١٧٧	دار ابن لقمان الذي سُجن فيه (لويس التاسع)
١٩١	المؤلف بين أطلال قرطاج الأثرية (تونس)
١٩٢	باب البحر عند مدخل (تونس القديمة) المطل على شارع فرنسا
١٩٣	جامع الزيتونة التاريخي - تونس
٢٠٠	المؤلف أمام (قلعة المرقب) في شمال غربي سوريا
٢٠٠	قلعة (المرقب) من الداخل
٢٠١	المكان الذي حوله السلطان (قلاوون) إلى مسجد بعد تحريره من الصليبيين
٢٠٢	شاطئ اللاذقية بالجمهورية العربية السورية على البحر المتوسط
٢٠٢	ميدان اللاذقية الرئيس
٢٠٣	قلعة صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله تعالى) في اللاذقية
٢٠٤	قلعة طرابلس من الداخل - الجمهورية اللبنانية

الصفحة	عنوان الصورة
٢٠٤	واجهه قلعة طرابلس الأثرية - الجمهورية اللبنانية
٢٠٥	أحد الجوامع الحديثة في طرابلس اللبنانية
٢٠٥	المؤلف أمام الجزيرة المقابلة لطرابلس
٢٠٦	أحد المداخل الرئيسة في (بيروت) العاصمة اللبنانية
٢٠٦	متحف بيروت - لبنان
٢٠٧	أحد جوامع لبنان الحديثة ؛ جامع فوزية الرفاعي من دولة الكويت
٢٠٧	لقطات من الطبيعة الخلابة في محيط بيروت
٢١١	سور مدينة عكا الفلسطينية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط
٢١٧	قوس النصر في مدينة (صور) اللبنانية
٢١٨	مدينة (صيدا) اللبنانية من خلال قلعتها التاريخية
٢١٩	لقطات متنوعة لقلعة صيدا، والتي تركها الصليبيون بعد هزيمة حصار عكا
١٢٧ - ٢٢٦	لقطات مختارة من داخل كنيسة الجماجم (العظام) - براغ ، تشيكيا
٢٢٧	صندوق خشبي أمر بصنعه (الظاهر بيبرس) سنة ٦٦١ هـ
٢٣٩ - ٢٣٨	نماذج متنوعة من العهدين الأيوبي والملوكي بمتحف دمشق الفيحاء
٢٤٠	حوار سابق بين الأديان في قطر
٢٤٠	خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (حفظه الله) مع بابا الفاتيكان ببنديكتس السادس عشر
٢٤١	شعار رابطة العالم الإسلامي
٢٤١	المطران عطا الله حنا

